بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل الكتاب المبين على اشرف الانبياء
والمرسلين وقص عليه اخبار المتقدمين والمتاخرين
واعلمه ما كان وما يكون الى يوم الدين نحمده اذ جعلنا من امته
ونشكره على عطاياه ومننه ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له اذ من علينا بمعرفة احوال من تقدم من الامم ولم
يكشف عنا ستره اذ ازال منا القدم وجعل امته عدلا
وسطا فشهد لنا شاهد في الكتاب المعظم المكرم فقال الله تعالى
كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن
المنكر فظهر الفضل بما جاء به وتكرم ونشهد ان سيدنا ونبينا
محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عبده ونبيه ورسوله الذي
قال ادبني ربي فاحسن تاديبي فصلى بجميع الانبياء وعليهم تقدم

وبعد فيقول العبد الفقير الضعيف ذو العجز و
التقصير والتفريط في ايامه وكثير التخليط وزيادة اثامه
محمد عرف ذياب الاقليد من اقاليد المدينة الحدبة
انه سالني بعض الاخوان الموفقين من لا يسعني مخالفته
ان اجمع له شيئا مما وقع في زمن الخلفاء المتقدمين من بني امية
وبني العباس فاجبته الى ذلك مع علمي اني لست اهلا لذلك
فقد قالوا الامتثال خير الادب وسميته اعلام الناس
مما وقع من بني امية وبني العباس وابتدات في ذلك بخليفة الثاني

تبركا ذكر نبذة مما وقع في زمن امام المسلمين عمر بن الخطاب ومحاسن شيمه باثره

لما رجع عمر بن الخطاب من الشام الى المدينة انفرد عن الناس
ليتعرف اخبار رعيته فمر بعجوز في خباء لها فقصدها فقالت يا
هذا ما فعل عمر قال قد اقبل من الشام سالما فقالت لا جزاه الله
عني خيرا قال ولم قالت لانه ما اتاني من عطاياه منذ ولي امر المسلمين
دينارا ولا درهما فقال وما يدري عمر بحالك وانت في هذا
الموضع فقالت سبحان الله والله ما ظننت ان احدا يلي على الناس
وما يدري ما بين مشرقها ومغربها فبكى عمر وقال واعمراه
كل احد افقه منك حتى العجائز يا عمر ثم قال لها يا امة الله بكم

تبيعيني ظلامتك من عمر فانی ارحمه من النار فقالت لا نهز ابنا يرحمك
الله فقال لها عمر لست اهزا فلم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسه
وعشرين دينارا فبينما هو كذلك اذ اقبل عليه على بن ابي
طالب عليه السلام وعبد الله بن مسعود فقالا السلام
عليك يا امير المؤمنين فوضعت العجوز يدها على راسها وقالت
واسواتاه شتمت امير المؤمنين في وجهه فقال لها عمر لا باس
عليك يرحمك الله ثم طلب قطعه جلد يكتب فيها فلم يجد فقطع
قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم
هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها من منذ ولى الى يوم كذا وكذا
بخمسه وعشرين دينارا بما تليق عند وقوفه في المحشر بين يدي
الله تعالى فعمر بريء منه شهد على عليه السلام وابن مسعود
ثم دفعها الى ولده وقال اذا انا مت فاجعلها في كفني القى بها ربي

وقال شرف الدين حسين بن ريان ان اغرب ما نقلته من الاخبار واعجبها ما ذكره بعض الرواة

ممن كان يحضر مجلس عمر ابن الخطاب خليفة الاسلام ويستمع
كلامه قال بينما في بعض الايام وعنده اكابر الصحابة و
اهل الراى والاصابة وهو يفصل في القضايا ويحكم بين
الرعايا اذ اقبل شاب حسن الشباب نظيف الثياب يكتنفه

شابان

شابان من احسن الشبان قد جذباه وسحباه واوقفاه بين
يدى الخليفة ولبباه فلما وقفوا بين يديه نظر اليهما واليه
فامرهما بالكف عنه وادنوه منه فقال احدهما يا امير المؤمنين
نحن اخوان شقيقان جديران باتباع الحق حقيقان كان
لنا اب شيخ كبير حسن التدبير معظم في قبائله منزه عن رذائله
معروف بفضائله ربانا صغارا واولانا متناعزا اكما قيل
لنا والد لو كان في الناس مثله ٭ ابا آخر اغناهم بالمناقب
خرج اليوم الى حديقة له يتنزه في اشجارها ويقتطف يانع ثمرها
فقتله هذا الشاب وعدل عن طريق الصواب ونسال القصاص
عما جناه والحكم فيه بما اراك الله قال الراوي فنظر عمر الى الشاب
وقال له قد سمعت فما الجواب والغلام مع ذلك ثابت الجاش خال
عن الاستيحاش قد خلع ثياب الهلع ونزع لباس الجزع فتبسم عن مثل
الجمان وتكلم بافصح لسان وحياه بكلمات حسان ثم قال يا امير المؤمنين
والله لقد وعيا ما ادعيا وصدقا فيما نطقا وخبرا بما جرى
وعبرا بما طرا وسانهى قصتي بين يديك والامر فيه اليك اعلم
انى من عرب العرب العرباء بعت في منازل البادية وصحبت على
اسود السنين العادية فاقبلت الى ظاهر هذا البلد بالاهل

والمال والولد فافضت بي بعض طرايقها الى المسير بين حدايقها
بنيا في جبيات الي عزات على بينهن فحل كريم الاصل كثير النسل
مليح الشكل حسن النتاج يمشي بينهن كانه ملك عليه تاج فدنت
بعض النوق الى حديقة قد ظهر من الحايط شجرها فتناولته بمشفرها
فطردتها عن تلك الحديقة فاذا شيخ قد ظهر وزفر وتسور الحايط
وفي يده اليمنى حجر يتهادى كالليث اذا خطر فضرب الفحل بذلك الحجر
فقتله واصاب مقتله فلما رايت الفحل قد سقط لجنبه وانقلب
توقدت في جمرات الغضب فتناولت ذلك الحجر بعينه فضربته به
فكان سبب حينه ولقي سوء منقلبه والمرء مقتول بما قتل به بعد
ان صاح صيحة عظيمة وصرخ صرخة اليمة فاسرعت من مكاني
فلم اكن اسرع من هذين الشابين فامسكاني واحضراني كما تراني
قال عمر قد اعترفت بما اقترفت ووجب القصاص ولات
حين مناص فقال الشاب سمعا لما حكم به الامام ورضيت بما
اقتضته شريعة الاسلام لكن لي اخ صغير كان له اب كبير خصه
قبل وفاته بمال جزيل وذهب جليل واحضره بين يدي وسلم
امره الي واشهد الله علي وقال هذا لاخيك عندك فاحفظه
جهدك فاتخذت لذلك مدفنا ووضعته فيه ولا يعلم الا انا

فان

فان حكمت الان بقتلي ذهب الذهب وكنت انت السبب وطالبك
الصغير بحقه يوم يقضي الله بين خلقه وان انظرتني ثلاثة ايام
اقمت من يتولى امر الغلام وعدت وافيا بالذمام ولي من يضمنني
على هذا الكلام فاطرق عمر ثم نظر الى من حضر وقال من يقوم على
ضمانه والعود الى مكانه فنظر الغلام الى وجوه اهل المجلس الناظرين
واشار الى ابي ذر دون الحاضرين وقال هذا يكفلني ويضمنني قال عمر
تضمنه يا اباذر على هذا الكلام قال نعم اضمنه الى ثلاثة ايام فرضي
الشابان بضمان ابي ذر وانظراه الى ذلك القدر فلما انقضت مدة
الامهال وكاد وقتها يزول او زال حضر الشابان الى مجلس عمر و
الصحابة حوله كالنجوم حول القمر وابو ذر قد حضر والخصم ينتظر
فقالا اين الغريم يا اباذر كيف رجوع من فر كيف يرجع من فر لا نبرح
من مكاننا حتى تفي بضماننا فقال ابو ذر وحق الملك العلام
ان انقضى تمام الايام وما حضر الغلام وفيت بالضمان واسلمت نفسي
وبالله المستعان فقال عمر والله ان تاخر الغلام لامضين في ابي ذر
ما اقتضته شريعة الاسلام فهمت عبرات الحاضرين وارتفعت زفرات
الناظرين وعظم الضجيج وتزايد النشيج فعرض كبار الصحابة على الشابين
اخذ الدية واغتنام الاثنية فاصرا على عدم القبول وابيا الا الاخذ

بثار المقتول فبينما الناس يمرجون تلطاكما مر ويعجبون تاسفا على ابي ذر
اذا اقبل الغلام ووقف بين يدي الامام وسلم اتم السلام ووجهه
يتهلل شرقا ويتكلل عرقا وقال قد اسلمت الصبي الى اخواله وعرفتهم
خفي احواله واطلعتهم على مكان ماله ثم اقتحمت هاجرات الحر ووفيت وفاء
الحر فعجب الناس من صدقه ووفائه واقدامه على الموت واجترائه فقال
من عذر ولم يعف عنه من قدر ومن وفاء رحمه الطالب وعفى و
تحقق ان الموت اذا حضر لم ينج منه احتراس كيلا يقال ذهب الوفاء
من الناس فقال ابو ذر والله يا امير المؤمنين لقد ضمنت هذا الغلام
ولم اعرفه من اي قوم ولا رايته قبل ذلك اليوم ولكن نظر الي من حضر فقصدني
وقال هذا يضمنني فلم استحسن رده وابت المروة ان تخيب قصده اذ ليس في
اجابة القصد من باس كيلا يقال ذهب الفضل من الناس فقال الشابان
عند ذلك يا امير المؤمنين قد وهبنا هذا الغلام دم ابينا فبدل وحشتنا
بايناس كيلا يقال ذهب المعروف من الناس فاستبشر الامام بالعفو
عن الغلام وصدقه ووفائه واستغزر مروة ابي ذر دون جلسائه واستحسن
اعتماد الشابين في اصطناع المعروف واثنى عليهما احسن ثنائه وتمثل بهذا البيت
من يصنع المعروف لم يعدم جوازيه ✧ لا يذهب العرف بين الله والناس
ثم عرض عليهما ان يصرف من بيت المال دية ابيهما اليهما فقالا انما عفونا

ابتغاء

ابتغاء وجه الله الكريم ومن قصده كذا لا يتبع احسانه منا ولا اذى
قال الراوي فاثبتها في ديوان الغرايب وسطرتها في نوادر العجايب
واحضر الهرمزان بين يدي امير المسلمين عمر بن الخطاب ماسورا فدعاه
الى الاسلام فابى فامر بضرب عنقه فقال يا امير المؤمنين قبل ان
تقتلني اسقني شربة ماء ولا تقتلني ظمانا فامر له عمر بقدح مملوا
ماء فلما صار القدح في يد الهرمزان قال اذا آمن حتى اشربه قال
عمر نعم لك الامان حتى تشربه فالقى الهرمزان الاناء من يده فاراقه
ثم قال الوفاء يا امير المؤمنين فقال عمر دعوه حتى انظر في امره
فلما رفع السيف عنه قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
فقال عمر لقد اسلمت خير الاسلام فما اخرك قال خشيت ان
يقال اسلمت خوفا من السيف فقال عمر انك لفارس خليق بما
استحقيت ما كنت فيه من الملك ثم ان عمر بعد ذلك كان يشاوره
في اخراج الجيش الى ارض فارس ويعمل برايه وسياتي لها نظير
في اخذ الامان بالحيلة ومما ذكره عبد الملك بن عمير شارح
قصيدة عبد الملك بن عبدون مما وقع لجبلة ابن ايهم حين لطم
الفزاري على وجهه لما داس على ردائه وقال له عمر دعه يقتص
منك او ما هذا معناه فقال لعمر هل استوى انا وهو سواء

فقال له نعم ان الاسلام ساوى بينكما فقال اجلني الى غدٍ
فلما اصبح مضى الى قيصر ملك الروم وارتد وندم

وقال ابياتا في ذلك

تنصرت الاشراف من اجل لطمةٍ … وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفني منها لجاج ونخوة … فبعت بها العين الصحيحة بالعور
فيا ليت امي لم تلدني وليتني … رجعت الى القول الذي قاله عمر
ويا ليتني ادم المخاض بقفرة … وكنت اسيرا في ربيعة او مضر
ويا ليت لي بالشام ادنى معيشةٍ … اجالس قومي ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة ابن الايهم ولحق بهرقل صاحب القسطنطينية اقطعه هرقل الاموال والضياع وبقي ما شاء الله ثم ان عمر بعث الى قيصر رسولا يدعوه الى الاسلام والى الجزية فلما اراد الانصراف قال هرقل للرسول لقيت ابن عمك هذا الذي عندنا يعني جبلة الذي اتانا راغبا في ديننا قال لا قال القه ثم ائتني اعطيك جواب كتابك قال الرسول فذهبت الى دار جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجمع مثل ما على باب هرقل قال فلم ازل اتلطف في الاذن حتى اذن لي فدخلت عليه فرايته اصهب اللحية ذا سرو وكان عهدي به اسود اللحية والراس فانكرته فاذا هو قد دعا بجالة

الذهب فذرها على لحيته حتى عاد اصهب وهو قاعد على سرير من قوارير قوائمها اربعة اسود من الذهب فلما عرفني رفعني معه على السرير فجعل يسالني عن المسلمين فذكرت له خيرا وقد اضعفوا اضعافا على ما تعرف قال وكيف تركت عمر ابن الخطاب قلت بخير قال فرايت الغم في وجهه لما ذكرت من سلامة عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم تابى الكرامة التي اكرمناك بها قلت ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم نهى عن هذا قال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك ولا تبالي على ما قعدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت له ويحك يا جبلة الا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله قال ابعد ما كان مني قلت نعم وقد فعل رجل من فزارة اكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام وقبل منه وكان فزاريا لان الرجل الذي كان تنصر جبلة من اجله حين لطمه واراد عمر ان يقيده منه وكان فزاريا ايضا فقلت له امرك اخف من امره لو رجعت الى الاسلام فانك لم تضرب وجوه المسلمين بالسيف كما فعل قال دعني من هذا ان كنت تضمن لي ان يزوجني عمر ابنته ويوليني الامر من بعده رجعت الى الاسلام فضمنت له التزويج ولم اضمن له الامر

قال ثم اومى الى خادم كان على راسه واقفا فذهب مسرعا فاذا خدم
قد جاوا يحملون الصناديق فيها الطعام فوضعت ونصبت موايد الذهب
والفضه وقال لي كل فقبضت يدي وقلت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى عن الاكل في انيه الذهب والفضه قال نعم صلى الله
عليه واله وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما احببت فاكل في الذهب
واكلت في اناء الخلنج ثم جي بطشوت الذهب واباريق فغسل يديه
في الذهب وغسلت انا في الصين ثم اومى الى خادم بين يديه فمر مسرعا
وسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسي مرصعه بالجواهر والدر فوضعت
عشرة عن يمينه وعشرة لشماله ثم جاءت الجواري عليهن تيجان الذهب
فقعدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسي ثم جاءت جارية
حسنا كانها الشمس على راسها تاج على ذلك التاج طاير لم ير احسن
منه وفي يدها جامة فيها مسك فتيت وفي يدها اليسرى جامه
فيها ماء ورد فصفرت تلك الجارية بالطاير الذي على تاجها فوقع
في جامة ماء الورد فاضطرب فيها ثم اومات اليه فطار حتى نزل
على صليت في تاج جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما في ريشه عليه
فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت انيابه ثم التفت الى
الجواري اللواتي عن يمينه فقال لهن اضحكنا فاندفعن يتغنين يخفق عيدانهن ويقلن

لله در عصابة نادمتهم	يوما بجلق في الزمان الاول
يسقون من برد البريص عليهم	رحات صفقوا بالرحيق السلسل
اولاد جفنة حول قبر ابيهم	قبر ابن مارية الكريم المفضل

(في الهامش: يردى يصفقوا بالرحيق السلسل)

فضحك جبلة حتى بدت انيابه ثم قال اتدري من يقول هذا قلت
لا قال لحسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم
ثم اشار الى الجواري اللواتي عن يساره فقال ابكيننا
فاندفعن يتغنين يخفق عيدانهن ويقلن شعرا

لمن الدار اقفرت بمعان	بين اعلى اليرموك فالجمان
ذاك مغنى لال جفنة في	الدهر محلا لحادثات الزمان

قال فبكى جبلة حتى سالت الدموع على لحيته ثم قال اتدري
من يقول هذا قلت لا قال لحسان ثم انشد الابيات التي اولها
تنصرت ثم سالني عن حسان احي هو قلت نعم فامر له بكسوة ولي ايضا
كذلك وامر لحسان بمال ونوق موقرة برا ثم قال لي ان وجدته
حيا فادفع اليه الهديه واقراء عليه مني السلام وان وجدته
ميتا فادفعها الى اهله وانحر النوق على قبره فلما اخبرت عمر
بخبره وما اشترط علي وما ضمنت له قال فهلا ضمنت له الامر
فاذا افاء الله بحكمه قضى علينا بحكمته ثم جهزني عمر ثانية الى

هرقل وان اضمن له ما اشترط فلما دخلت القسطنطنيه وجدت
الناس منصرفين من جنازته فعرفت ان الشقا غلب عليه في ام
الكتاب انتهى وقيل انه قدم اهل الكوفة على عمر بن الخطاب
يشكون سعد بن ابي وقاص قال من يعذرني من اهل الكوفه
ان وليت عليهم التقي ضعفوه وان وليت عليهم القوي فجروه
قال له المغيرة ابن شعبه يا امير المؤمنين ان التقي الضعيف
له تقاه وعليك ضعفه وان القوي الفاجر لك قوته وعليه
فجوره قال صدقت فانت القوي الفاجر فاخرج اليهم فلم يزل
عليهم ايام عمر وصدرا من ايام عثمان وايام معاويه حتى مات
المغيرة انتهى وقيل دخل عمرو بن معديكرب الزبيدي
على عمر بن الخطاب فقال له عمر اخبرني يا عمرو عن اشجع
من لقيت واجل من لقيت واجبن من لقيت قال نعم يا امير المؤمنين
خرجت مرة اريد الغاره فبينما انا اسير اذ بفرس مشدود ورمح
مركوز واذا رجل جالس لا اعظم منه من الرجال خلقا وهو محتبي
بحمايل سيفه فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك فقال ومن انت
فقلت انا عمرو بن معديكرب الزبيدي فشهق شهقة فمات
فهذا يا امير المؤمنين اجبن من رايت وخرجت مره حتى انتهيت الى

حي

حي فاذا انا بفرس مشدود ورمح مركوز واذا صاحبه في
وهدة يقضي حاجته فقلت له خذ حذرك فاني قاتلك قال
ومن انت فاعلمته بي فقال يا ابا ثور ما انصفتني انت على ظهر
فرسك وانا في وهدة فاعطني عهدا انك لا تقتلني حتى اركب
فرسي فاعطيته عهدا فخرج من الموضع الذي كان فيه واحتبى
بحمايل سيفه وجلس فقلت ما هذا قال ما انا براكب فرسي ولا
بمقاتلك فان نكثت عهدك فانت اعلم فتركته ومضيت
فهذا يا امير المؤمنين احيل من رايت وخرجت مرة حتى انتهيت
الى موضع كنت اقطع فيه فلم ار احدا فاجريت فرسي يمينا وشمالا
فاذا انا بفارس فلما دنى مني فاذا هو غلام حين ابقل عذاره
ومن اجمل من رايت من الفتيان واحسنهم واذا هو قد اقبل من نحو
اليمامه فلما قرب مني سلم فرددت السلم وقلت من الفتى
قال الحارث بن سعد فارس الشهبا فقلت له خذ حذرك فاني
قاتلك قال الويل لك من انت قلت عمرو بن معديكرب الزبيدي
قال الذليل الحقير والله ما يمنعني من قتلك الا استصغارك
فصاغرت يا امير المؤمنين نفسي الي وعظم عندي ما استقبلني به
فقلت له دع هذا وخذ حذرك والله لا ينصرف الا احدنا

قال اغرب ثكلتك امك فانا اهل بيت ما نكلنا عن فارس قط فقلت
هو الذي تسمع قال فاختر لنفسك اما ان تطردني او اطرد لك
فاغتنمها منه فقلت اطرد لي فطرد وحملت عليه حتى اذا قلت اني
وضعت الرمح بين كتفيه اذا هو صار حزاما لفرسه ثم عطف
علي فقرع بالقناة راسي وقال يا عمرو خذها اليك ثم اخذه
من الله لولا اني اكره قتل مثلك لقتلتك قال فتصاغرت
نفسي عندي وكان الموت يا امير المؤمنين احب الي مما رايت فقلت
له والله لا ينصرف الا احدنا فعرض علي مقالته الاولى فقلت له اطرد لي
فطرد وظننت اني تمكنت منه واتبعته حتى اذا ظننت اني و
ضعت الرمح بين كتفيه اذا هو قد صار لببا لفرسه ثم اتبعني فقرع
بالقناة راسي وقال خذها اليك يا عمرو ثانية فتصاغرت نفسي
الي جدا وقلت والله لا ينصرف الا احدنا فاطرد لي حتى اذا
قلت اني وضعت الرمح بين كتفيه فوثب عن فرسه فاذا هو على الارض
فاخطاته فاستوى على فرسه واتبعني حتى قرع بالقناة راسي
وقال خذها اليك يا عمرو ثالثة ولولا كراهتي لقتل مثلك
لقتلتك فقلت اقتلني احب الي ولا تسمع فرسان العرب فقال يا
عمرو انما العفو عن ثلاث وان استمكنت منك الرابعة قتلتك [و يقول]

وكدت اغلاظا من الايمان	ان عدت يا عمرو الى الطعان
لتوجدن لهب السنان	او لا فلست من بني شيبان

فهبته هيبة شديدة وقلت له ان لي اليك حاجة قال وما هي
قلت له اكون لك صاحبا فقال لست من اصحابي وكان ذلك
والله اشد علي واعظم مما صنعت فلم ازل اطلب اليه صحبته
حتى قال ويحك تدري من اريد قلت لا والله قال اريد الموت
الاحمر عيانا قلت اريد الموت معك قال امض بنا فسرنا يومنا
اجمع حتى اتانا الليل وذهب شطره فوردنا على حي من احياء العرب
فقال يا عمرو في هذا الحي الموت الاحمر ثم اومى الى قبة
في الحي وقال في تلك القبة الموت الاحمر فاما ان تمسك على فرسي
فانزل فاتي بحاجتي واما ان تنزل وامسك فرسك فتاتيني
بحاجتي فقلت بل انزل انت فانت اخبر بحاجتك فرمى الي بعنان
فرسه ورضيت والله يا امير المؤمنين ان اكون له سائسا ثم
مضى الى القبة فاستخرج منها جارية لم تر عيناي مثلها حسنا
وجمالا فحملها على ناقة ثم قال يا عمرو قلت لبيك قال اما
تحميني واقود انا الناقة او احميك وانت تقودها قلت بل اقودها
وتحميني انت فرمى الي بزمام ناقته ثم سرنا حتى اذا اصبحنا

يا عمرو وقلت ما تشا قال الفتى هل ترى احدا فالتفت فاري
رجالا لا اعرف الكثير ثم قال يا عمرو وانظر فان كان القوم قليلا
والجلد والقوة وهو الموت الاحمر وان كانوا كثيرا فليسوا بشيء
فالتفت وقلت هم اربعة او خمسة قال اعرف الكثير ففعلت
ووقفت وسمع وقع حوافر الخيل عن قريب قال يا عمرو
كن يمين الطريق وقف حول وجوه دوابنا الى الطريق ففعلت
ووقفت عن يمين الراحله ووقف عن يسارها ودنا القوم
منا فاذا هم ثلثة نفر شابان وشيخ كبير وهو ابو الحادير و
الشابان اخواها فسلموا فرددنا السلام فقال الشيخ خل عن
الجارية يابن اخي فقال ما كنت لاخليها ولا لهذا اخذتها
فقال لاحد ابنيه اخرج اليه فخرج اليه وهو يجر رمحه فحمل
عليه الحارث وهو يقول شعرا

من دون ما ترجوه خضب الذابل — من فارس ملتثم مقاتل
ينمى الى شيبان خير وايل — كان يرى نحوها بباطل

ثم شد على ابن الشيخ بطعنة قد منها صلبه فسقط ميتا فقال الشيخ
لابنه الاخر اخرج اليه فلا خير في الحيوة على الذل فخرج اليه فاقبل
الحارث وهو يقول

لقد

لقد رايت كيف طعني — والطعن للقرن شديد التهتي
والموت خير من فراق خلتي — فقتلي اليوم ولا مذلتي

ثم شد على ابن الشيخ وطعنه طعنة سقط منها ميتا فقال له
الشيخ خل عن الضعينه يا ابن اخي فاني لست كمن رايت فقال
ما كنت لاخليها ابدا ولا لهذا قصدت فقال الشيخ يا ابن اخي
اختر لنفسك فان شئت نازلتك وان شئت طاردتك فاغتنمها الفتى
ونزل ونزل الشيخ وهو ينشد ويقول شعرا

ما ارتجي عند فنا عمري — ساجعل التسعين مثل شهر
شيخ يحامي عن بيض الخدر — ان استباح البيض قسم الظهر

فاقبل عليه الحارث وهو ينشد ويقول

بعد ارتحالي وطول سفري — وقد ظفرت وشفيت صدري
فالموت خير من لباس العذر — والعار اهديه لال بكر

ثم دنى فقال له الشيخ يا ابن اخي ان شئت ضربتك فان ابقيت فيك
بقية فاضربني وان شئت فاضربني فان ابقيت في بقية
ضربتك واغتنمها الفتى وقال انا ابدا فقال هات فرفع الحارث
السيف فلما نظر الشيخ انه قد اهوى به الى راسه ضرب بطنه
ضربة قد منها امعاؤه ووقعت ضربة الفتى على راس الشيخ

فسقطا ميتين فاخذت يا امير المؤمنين اربعه افراس واربعه
اسياف ثم اقبلنا الى الناقه فقالت الجاريه يا عمرو الى اين ولست
بصاحبي ولست كمن رايت فقلت اسكتي قالت فان كنت صادقا
فاعطني سيفا او رمحا فان غلبتني فانا لك وان غلبتك قتلتك فقلت
لها ما انا بمعطيك ذلك وقد عرفت اهلك وجراة قومك وشجاعتهم
فرمت نفسها على البعير ثم اقبلت وهي تقول شعرا
ابعد شيخي ثم بعد اخوتي يطيب عيشي بعدهم ولذتي هلا يكون قبل
ذا منيتي ثم اهوت الى الرمح وكادت تنزعه من يدي فلما رايت
ذلك منها خفت ان ظفرت بي ان تقتلني فقتلتها فهذا اشجع من رايت
يا امير المؤمنين اني عمر بن الخطاب يستحمله فقال له خذ لك
بعيرا من ابل الصدقه فتناول بعيرا فجذبه فاقتلعه فتعجب عمر
من شدته وقوته فقال له هل رايت اشد منك من احد قال نعم
خرجت بامراة من اهلي اريد بها زوجا فنزلت منزلا اهله خلوف
على حوض فاقبل رجل ومعه ذودة الى الحوض فسار رها يعني المراة
فنادتني فما انتهيت اليها حتى خالطها فجئت لادفعه عنها فاخذ براسي
بين عضده وجنبه فما استطعت التحريك حتى قضى وطره فقالت
المراة اي فحل هذا لو كان منيحه فامهلته حتى امتلا نوما فقمت اليه

بالسيف

بالسيف فضربت ساقه فابنتها وانتبه فتناول رجله فرماني
بها فاسوانى اي فاتني واصاب راس بعيري فقتله فقال
عمر ما فعلت المراة فقال هذا حديث الرجل فكرر السؤال فلم يزد
على هذا فظن انه قتلها انتهى ويحكى ان عبد الله بن رواحه
كان عنده جارية جميلة وكان يحبها حبا شديدا ولا يتمكن
منها خوفا من زوجته فمضت زوجته يوما لحاجة ثم عادت فوجد
هو والجارية نائمين معتنقين فقالت افعلتها قال لم اكن فاعلها
قالت اقرا قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويقول شعرا

علمت بان وعد الله حقا	وان النار مثوى الكافرينا
وان العرش فوق الماء طاف	وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام	ملائكة الاله مسومينا

قالت صدق الله وكذبت عيناي قال فذهبت واخبرت النبي صلى الله
عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وصار يكررها ويقول كيف قلت

اول دولة بني امية وذكر لطائف اخبارهم ومحاسن اثارهم

اول خلفاء بني امية معاوية ابن ابي سفيان قيل جلس يوما
في مجلس كان له بدمشق وكان الموضع مفتح الجوانب الاربعة يدخل
فيه النسيم من كل جانب فبينما هو جالس ينظر الى بعض الجهات وكان

يوما شديد الحر لا نسيم فيه وسط النهار وقد لفح الهواء اذ نظر
الى رجل يمشي نحوه وهو يتلظى من حر التراب ويحجل في مشيه حافيا
فتأمله وقال لجلسائه هل خلق الله اشقى ممن يحتاج الى الحركة
في هذا الوقت ومثل هذه الساعة مثل هذا قال بعضهم
لعله يقصد امير المؤمنين فقال والله لئن كان قاصدي لاعطينه
واستجلب الاجر فيه او مظلوما لانصرنه يا غلام قف بالباب فان
طلبني هذا الاعرابي فلا تمنعه من الدخول علي فخرج فوافاه
فقال ما تريد قال امير المؤمنين قال ادخل فدخل وسلم فقال
له معاوية من الرجل قال من تميم قال وما الذي جاء بك في
هذا الوقت قال جئتك مشتكيا وبك مستجيرا قال ممن قال من
مروان بن الحكم عاملك وانشد يقول

معاوي يا ذا الجود والفضل والحلم	ويا ذا الندى والعلم والرشد والنبل
اتيتك لما ضاق في الارض مذهبي	فيا غوث لا تقطع رجائي من العدل
وجد بانصافي من الجائر الذي	بلاني بشيء كان ايسره قتلي
سباني سعدى وانبرى لخصومتي	وجار ولم يعدل واغصبني اهلي
وهم بقتلي غير ان منيتي	بانت ولم استكمل الرزق من اجلي

فلما سمع معاوية انشاده والنار تتوقد من فيه قال له مهلا

يا اخا

يا اخا العرب اذكر قصتك وابن عن امرك فقال يا امير المؤمنين كان
لي زوجة وكنت لها محبا وبها كلفا وبها قرير العين طيب النفس
وكانت لي حزمة من الابل فكنت استعين بها على قوام حالي وكفاية
اودي فاصابتنا سنة اذهبت الخف والحافر فبقيت لا املك شيئا
فلما قل ما بيدي وذهب مالي وفسد حالي بقيت مهانا ثقيلا على الذي
كان بالغنى وابعدني من كان يشتهي قربي وازور من كان يرغب
في زيارتي فلما علم ابوها ما بي من سوء الحال وشر المال اخذها مني
وجحدني وطردني واغلظ علي فاتيت الى عاملك مروان بن الحكم
راجيا لنصرته فلما احضر اباها وسأله عن حالي قال ما اعرفه قط
فقلت اصلح الله الامير ان رأى ان تحضرها وتسألها عن قول
ابيها فعل فبعث خلفها واحضرها بين يديه فلما وقفت بين يديه
وقعت منه موقع الاعجاب فصار لي خصما وعلي منكرا واظهر
لي الغضب وبعث بي الى السجن فبقيت كانما خررت من السماء واستهوت
بي الريح في مكان سحيق ثم قال لابيها هل لك ان تزوجها مني
على الف دينار وعشرة الاف درهم وانا ضامن خلاصها من هذا
الاعرابي فرغب ابوها في البذل واجابه الى ذلك فلما كان من الغد
بعث الي واحضرني ونظر الي كالاسد الغضبان فقال

يا اعرابي طلق سعاد قلت لا فسلط جماعة من غلمانه فاخذوا
يعذبوني بانواع العذاب فلم اجد لي بدًّا الا من طلاقها ففعلت
فاعادني الى السجن فكنت فيه الى ان انقضت العدة تزوج بها و
الطلقني وقد اتيت راجيا وبك مستجيرا واليك منتجبا وانشد

في القلب مني نارُ ... للنار فيه استعار
والجسم مني سقيمٌ ... فيه الطبيب يحارُ
وفي فؤادي جمرٌ ... والجمر فيه شرار
والعين تهطل دمعًا ... فدمعها مدرارُ
وليس الا بربي ... وللامير انتصارُ

ثم اضطرب فاصطكت لهاه وصار مغشيا عليه واخذ يتلوى كالحية
المقتولة فلما سمع معاوية كلامه وانشاده قال تعدى ابن الحكم
في الدين وظلم واجترى على حرم المسلمين ثم قال للاعرابي لقد
اتيتني بحديث لم اسمع بمثله قط ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب الى
مروان ابن الحكم لقد بلغني انك تعديت على رعيتك في حدود
الدين وينبغي لمن كان واليا ان يكف بصره وشهواته ويزجر نفسه
عن لذاته ثم كتب في الكتاب بعد كلام طويل من التهديد والتخويف هذه

وليت ويحك امرًا ليس تدركه ... واستغفر الله من فعل ابن مروانِ

وقد اتاني الفتى المسكين منتحبًا ... يشكو الينا ببثٍّ ثم احزانِ
اعطى الالف عينًا لا اكفرها ... نعم وابرأ من دينٍ وايمانِ
ان كنت خالفتني فيما كتبت به ... لاجعلنك لحمًا بين عقبانِ
طلق سعاد وعجلها مجهزةً ... مع الكميت ومع نصر ابن ذبيانِ

ثم طوى الكتاب وطبعه بخاتمه واستدعا الكميت ونصر ابن ذبيان وكان
يستنهضهما في المهمات فاخذا الكتاب وصارا حتى قدما المدينة
فدخلا على مروان ابن الحكم وسلما عليه وسلما له الكتاب
واعلماه بصورة الحال فصار مروان يقرؤه ويبكي ثم قام الى سعاد
واخبرها ولم يسعه مخالفة معوية فطلقها بحضرة من الكميت و
نصر ابن ذبيان وجهزها وصحبتهما سعاد ثم كتب مروان كتابا يقول فيه

لا تغضبن امير المؤمنين فقد ... وفى بنذرك في رفقٍ واحسانِ
وما اتيت حرامًا حين اعجبني ... فكيف ادعى باسم الخائن الزاني
اعذر فانك لو ابصرتها لجرت ... فيك الاماني على تمثال انسانِ
فسوف تاتيك شمسٌ ليس يدركها ... عند الخليقة من انسٍ ولا جانِ

وختم الكتاب ودفعه الى الرسولين فسارا حتى وصلا معاوية
وسلما اليه الكتاب فقراه قال لقد احسن في الطاعة واطنب
في ذكر الجارية ثم امر باحضارها فلما راها راى صورة حسناء لم

لم يوصلها في الحسن والجمال والقد والاعتدال فخاطبها
فوجدها فصيحة اللسان حسنة البيان فاقبل على الاعرابي فاتي
به وهو في غاية من قصر الحال فقال يا اعرابي هل لك عنها
من سلوة ولعوضك بها ثلاث جوار نهدا ابكارا كانهن الاقمار
مع كل جارية الف دينار واقسم لك في بيت المال في كل سنة
ما يكفيك وما يغنيك فلما سمع الاعرابي كلام معاوية شهق
شهقة ظن معاوية انه قد مات فقال له ما بالك قال بشر الـ
وسوء حالي استجرت بعدلك من جور ابن الحكم فبمن استجير من جورك ثم انشد يقول

لا تجعلني فداك الله من ملك … كالمستجير من الرمضاء بالنار
اردد سعاد على حيران مكتئب … يمسي ويصبح في هم وتذكار
اطلق وثاقي ولا تبخل علي بها … فان فعلت فاني غير كفار

ثم قال والله يا امير المؤمنين لو اعطيتني ما حوته الخلافة ما
اخذته دون سعدى وانشد يقول شعرا

ابى القلب الا حب سعدى وبغضت … الي نساء ما لهن ذنوب

فقال له معاوية انك مقر بانك طلقتها ومروان مقر بانه
طلقها ونحن نخيرها فان اخترت سواك زوجناها به وان اختارتك
حولناها اليك قال افعل قال معاوية ما تقولين يا سعدى

انما احب اليك امير المؤمنين في شرفه وعزه وقصوره وسلطانه
وامواله وما ابصرته عندك او مروان وعسفه وجوره
او هذا الاعرابي في جوعه وفقره فانشدت وتقول

هذا وان كان في جوع واضرار … اعز عندي من قومي ومن جار
وصاحب التاج او مروان عامله … وكل ذي درهم عندي ودينار

ثم قالت والله يا امير المؤمنين ما انا بخاذلته لحادث الزمان
ولا لغدرات الايام وان له صحبة قديمة لا تنسى ومحبة
لا تبلى وانا احق من صبر معه في الضراء كما نعمت معه في السراء
فتعجب معاوية من عقلها ومودتها وموافاتها وامر له بعشرة
الاف درهم ودفعها للاعرابي

ومن ثمرات الاوراق

عن الاجوبة الهاشمية وبلاغتها في المحل الرفيع ما روي انه
اجتمع عند معاوية عمرو ابن العاص والوليد ابن عتبة ابن ابي
معيط وعتبة ابن ابي سفيان والمغيرة ابن شعبة فقالوا يا امير
المومنين ابعث الى الحسن ابن علي عليه السلام احضره لنا قال
لهم فيم قالوا كي نوبخه ونعرفه ان اباه قتل عثمان فقال
لهم معاوية انكم لا تنتصفون منه ولا تقولون شيئا الا
اظهر كذبكم ولا يقول لكم شيئا لبلاغته الا صدقه الناس

فقالوا ارسل اليه فانا نكفيكه فارسل اليه معاويه فلما احضر
قال يا حسن اني لم ارسل اليك ولكن هؤلاء ارسلوا اليك
فاستمع مقالتهم فقال الحسن عليه السلام فليتكلموا ونسمع فقام
عمرو بن العاص فحمد الله واثنى عليه وقال يا حسن هل تعلم ان اباك
اول من اثار الفتنة وطلب الملك فكيف رايت صنع الله ثم قام الوليد
فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا بني هاشم كنتم اصهار عثمان بن عفان
فنعم الصهر كان لكم يقربكم ويفضلكم ثم بغيتم عليه فقتلتموه وقد اردنا
قتل ابيك فانقذنا الله منه ولو قتلناه بعثمان ما كان علينا من الله
ذنب ثم قام عتبة بن ابي سفيان وقال يا حسن ان اباك عدا على عثمان
فقتله حسدا على الملك والدنيا فسلبها الله منه ولقد اردنا قتل
ابيك حتى قتله الله تعالى ثم قال المغيرة بن شعبه وكان كلامه كله
سبا لعلي عليه السلام وتعظيما لعثمان فقام الحسن عليه السلام
فحمد الله واثنى عليه وقال بك ابدا يا معاويه ولم يشتمني هؤلاء
ولكن انت شتمتني بغضا وعداوة لجدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم التفت الى الناس وقال انشدكم الله ان شتمت هؤلاء
اما كان ابي عليه السلام هو اول من امن بالله وصلى للقبلتين
وانت يومئذ يا معاويه كافر مشرك بالله وكان مع ابي لواء النبي

صح

صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومع معاويه لواء المشركين ثم
قال انشدكم الله اما معويه يكتب لجدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فارسل اليه يوما فرجع اليه الرسول فقال
هو ياكل فرد الله والرسول ثلث مرات كل ذلك يقول هو ياكل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اشبع الله بطنه يا معاويه
اما تعرف ذلك من بطنك ثم قال انشدكم الله اما تعلمون ان
معاويه كان يقود بابيه وهو على جمل واخوه هذا يسوقه فقال
رسول الله صلعم لعن الله الجمل وراكبه وقائده وسائقه هذا كله لك
يا معويه واما انت يا عمرو تنازع عليك خمسه من قريش فغلب عليك شبهه الامهم
وهو اقلهم حسبا واشرهم منصبا ثم قمت وسط قريش فقلت
اني شانئ محمد بثلاثين بيتا من الشعر فقال صلى الله عليه
وسلم اني لا احسن الشعر اللهم العن عمرو بن العاص بكل
بيت لعنة ثم انطلقت الى النجاشي بما علمت وعملت فكذبك
وردك خائبا وانت عدو بني هاشم في الجاهلية والاسلام
فلم نلمك على بغضك الان واما انت يا ابن ابي معيط فكيف الومك على
سبك لابي وقد جلدك في الخمر ثمانين جلدة وقتل اباك
بامر جدي وقتله جدي بامر ربي ولما قدمه للقتل قال من

للصبيه بعدي يا محمد قال لجدي لهم النار فلم يكن لهم عند
جدي غير النار ولم يكن عند ابي غير السوط والسيف واما انت
يا عتبة كيف تعد احدا بالقتل فلم لا قتلت الذي وجدته على فراشك
مضاجعا لزوجتك ثم امسكتها بعد ان بغت واما انت يا اعور ثقيف
ففي اي شيء تسب عليا في بعده من رسول الله ام بحكم جاير في رعيته
فان قلت من ذلك في شيء كذبت وكذبك الناس وان زعمت
عليا عليه السلام قتل عثمان فقد كذبت وكذبك الناس
واما وعيدك فانما مثلك كمثل بعوضة وقعت على نخلة فقالت
استمسكي فاني اريد ان اطير فقالت النخلة ما علمت بوقوعك
فكيف يشق على طيرانك فكيف يا اعور يشق علينا سبك ثم نفض
ثيابه وقام فقال معاوية الراقل لكم انكم لا تنتصفون منه
فوالله لقد اظلم علي البيت حتى قام وروي ان معاوية خرج
يوما حاجا فمر بالمدينة ففرق في اهلها اموالا جزيلة ولم يحضر
الحسن ابن علي عليه السلام فقال له معاوية مرحبا برجل تركنا
حتى نفد ما عندنا وتعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن عليه السلام
فكيف ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك قال معاويه
قد امرت لك بمثل ما امرت به لاهل المدينة فانا ابن هند

فقال

فقال له الحسن عليه السلام قد رددته عليك وانا ابن
فاطمه عليها السلام ونقل ان معاويه جلس يوما بين اصحابه
اذا اقبلت قافلتين من البريه فقال لبعض من بين يديه انظروا
لهؤلاء القوم وائتوني باخبارهم فمضوا وعادوا وقالوا انها امير
المؤمنين احدهما من قريش والاخرى من اليمن فقال ادعوا
اليهم ودعوا قريشا يا توننا واما اهل اليمن فنزلوا اماكنهم الى
ان ناذن لهم بالدخول فلما دخلت قريش سلم عليهم وقربهم
وقال اتدرون يا اهل قريش لم اخرت اهل اليمن وقدمتكم
قالوا لا والله يا امير المؤمنين قال لانهم لا يزالوا يتطاولون
علينا بالفخار ويقولون ما ليس فيهم واني اريد اذا دخلوا و
اخذوا اماكنهم من الجلوس اقوم فيهم نذيرا والقي عليهم من المسائل
ما اقل به اكرامهم وادحض به مقامهم فاذا دخلوا واخذوا اماكنهم
من الجلوس وسألوا عن شيء فلا يجيبهم غيري قال وكان المقدم
على اهل اليمن رجل يقال له الطرماح بن الحكم الباهلي فاقبل على
اصحابه وقال اتدرون يا اهل اليمن لم اخركم ابن هند وقدم قريشا
قالوا لا قال لانه غداة غد يقوم فيكم نذيرا ويلقي عليكم من المسائل
ما يقل به اكرامكم ويدحض به مقامكم فاذا دخلتم عليه واخذتم

اما كنكم من الجلوس وسئلكم عن شيء فلا يجيبه احد عزيزي فلما كان
من العند دخلوا عليه واخذوا اماكنهم نهض معاوية قائما على
قدميه وقال يا ايها الناس من تكلم بالعربية قبل العرب و
على من انزلت العربية فقام الطرماح وقال نحن يا معاوية ولم
يقل يا امير المؤمنين فقال لم ذا قال لانها لما نزلت العرب بابل
وكانت العبرانية لسان الناس كافة ارسل الله تعالى العربية
على لسان يعرب بن قحطان ابا اهلي وهو جدنا فقرا العربية
المعرب وتداولها قومه من بعده الى يومنا هذا فنحن يا معويه
عرب بالجنس وانت عرب بالتعليم فسكت معوية زمانا ثم رفع راسه
وقال يا ايها الناس من اقرب ايمانا ومن شهد له بذلك فقال
الطرماح نحن يا معاويه قال ولم ذا قال لان الله لما بعث محمدا
صلى الله عليه وسلم كذبتموه وسفهتموه وجعلتموه مجنونا فاويناه
ونصرناه فانزل الله تعالى والذين اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون
حقا وكان النبي صلى الله عليه محسنا الينا ومتجاوزا عن سيئاتنا
فلم لا تفعل انت كذلك كانك خالفت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسكت معاويه زمنا ثم رفع راسه وقال ايها الناس من
افصح الناس لسانا ومن شهد له بذلك فقال الطرماح نحن يا

معوبه

معويه قال ولم ذلك قال لان امرؤ القيس بن حجر الكندي منا قال في بعض قصايده

يطعمون الناس غبا … في السنين المحلات
في جفان كالجوابي … وقدورا راسيات

وقد تكلم بالقران قبل ان ينزل وشهد له رسول الله صلى الله عليه
وسلم بذلك فسكت معاويه زمانا وقال ايها الناس من
اقوى العرب شجاعة وذكرا ومن شهد قال الطرماح نحن يا معاويه
قال ولم ذا قال لان منا عمرو بن معديكرب الزبيدي وكان قديما
في الجاهليه فارسا في الاسلام وشهد له بذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال معاويه واين انت به وقد اتى به مصفدا في
الحديد فقال الطرماح ومن اتى به قال معاويه اتى به علي فقال
الطرماح والله لو عرفت مقدارك لسلمت له الخلافة ولا طمعت فيه ابدا
قال معاويه اهجتني يا عجوز اليمن قال نعم اهجك يا عجوز مصر قال
ولم ذا قال لان عجوز اليمن بلقيس وقد امنت بالله وتزوجت بنبيه
سليمان ابن داود عليهما السلام وعجوز مصر جدتك التي قال الله تعالى
في حقها وامراته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد فسكت
معاويه زمانا ثم رفع راسه وقال جزاك الله خيرا من صاحب امرك
ووفر عقلك ورحم سلفك واعطاه واحسن اليه انتهى وخطب

معاويه يوما فقال ايها الناس ان الله تعالى يقول وَاِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا
عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ اِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ فعلى م تلوموني اذا قصرت
عنكم في عطاياكم فقال له الاحنف انا والله لا نلومك على ما في خزائن
الله ولكن على ما انزل الله من خزائنه فجعلته في خزائنك وحلت بيننا
وبينه ومما روي عن الشعبي قال استاذنت سوده بنت عمار بن
الاسد على معاويه ابن ابي سفيان فاذن لها فلما دخلت قال لها يا بنت الاسك الست القائله شعر

شمر كفعل ابيك يا ابن عمارة … يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر عليا والحسين ورهطه … واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام اخا النبي محمد … علم الهدى ومنار الايمان
وقد الجيوش وسر امام لوائه … وامرهم بابيض صارم وسنان

قالت بلى يا معاويه وما مثلي من رغب عن الحق واعتذر قال فما حملك
قالت حب علي واتباع الحق قال والله ما ارى عليك من اثر علي شيئا
قالت انشدك الله يا معاويه لا تذكر اعادة ما مضى قال هيهات
وما مثلك ومثل مقام اخيك قالت صدقت يا معويه لم يكن اخي
ذميم المقام ولا خفي والله كقول الخنسا

وان صخرا لتأتم الهداة به … كانه علم في راسه نار

وانا اسال يا معاويه اعفاؤك مما استعفيت به قال قد فعلت

فما

فما حاجتك قالت يا معاويه انك اصبحت للناس سيدا ولامورهم
واليا والله سائلك عن امرنا وما افترض عليك من حقنا ولا تزال
تقدم علينا من هو يعز بك ويبطش بسلطانك فيحصدنا حصد
السنبل ويدرسنا درس العفر ويسومنا الخسف ويسلبنا
الجليل هذا ابن ارطاه قدم علينا وقتل رجالي واخذ مالي
ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فاما عزلته فاقدرته فعرفناك
فقال لها ابقولك تهددين حملت ابن ذلك ان احملك على قتب جمل
اسوس وارسلك اليه لينفذ فيك حكمه فاطرقت وبكت وانشدت تقول

صلى الاله على روح تضمنه … قبر فاصبح فيه الحق مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا … فصار بالحق والايمان مقرونا

قال معاويه ومن ذلك قالت امير المؤمنين وامام المسلمين علي ابن ابي
طالب عليه السلام قال ولم قالت اتيته في رجل ولاه علينا
ولم يكن بيننا وبينه الا كما بين الغث والسمين فوجدته قائما
يصلي فلما نظر الي انفتل من صلاته ثم قال برافة ورحمة وتعطف
الك حاجة فاخبرته فبكى ثم قال اَللّٰهُمَّ اَشْهَدُ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ اِنِّي لَمْ آمُرْهُمْ
بِظُلْمِ خَلْقِكَ وَلَا بِتَرْكِ حَقِّكَ ثم اخرج من جيبه قطعة جلد كهيئة طرف الجراب
فكتب بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ فيها

قد جاءتكم موعظة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس
اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقيت الله خير لكم ان كنتم
مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ اذا قرات كتابي هذا فاحفظ
عما في يديك حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام فاخذ
منه والله فقال معاويه اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها
فقالت ذا لي خاصته ام لي ولقومي قال بل لك قالت هي والله اذا
الفحشاء واللوم اما عدلا شاملا والا انا كاير قومي قال اكتبوا
بحاجتها وقومها ولما اتصلت ميسون بنت بجدول بمعاويه و
نقلها من البدو الى الشام كانت تكثر الحنين على اناسها و
التذكر بمسقط راسها فاستمع عليها ذات يوم وهي تنشد وتقول

لبيت تخفق الارياح فيه	احب الي من قصر منيف
واكل كسيرة في قعر بيتي	احب الي من نقر الدوف
وكلب ينبح الطراق حولي	احب الي من قط الوف
وبكر تتبع الاظعان صعب	احب الي من بغل زفوف
وعرب من بني عمي نحيف	احب الي من علج حلوف

فلما سمع معاويه الابيات قال ما رضيت ابنة بجدول حتى جعلتني
علجا عنيفا حكاية اجنبية عن الفاحكى ان بهرام ابن بهرام لما ولى

الملك

الملك بعد ابيه اقبل على اللهو واللذات والتنزه في الصيد
لا يفكر في ملكه ولا في رعيته حتى خربت البلاد في ايامه و
وقلت بيوت الاموال فلما كان في بعض الايام ركب الى بعض متنزهاته
وصيده وهو يسير نحو المداين وكانت ليلة قمرا فدعا بالموبذان
والموبذان عند المجوس كالربي عند اليهود والقسيس عند النصارى
لامر خطر بباله فجعل يحادثهم فتوسطوا في مسيرهم بين خرابات
كانت من امهات الضياع قد خربت في مدة ملكه لا انيس فيها
الا البوم واذا البوم يصيح وصاحبه يجاوبه من تلك الخرابات فقال
الملك اترى احدا من الناس اعطي فهم لغة هذا الطاير المصوت
في هذه الليله فقال له الموبذان ايها الملك انا ممن خصه الله
بذلك قال فما يقول هذا الطاير وما الذي يقول الطاير الاخر
فقال الموبذان هذا بوم ذكر يخاطب بومه انثى ويقول لها
امتعيني بنفسك حتى يخرج من بيننا اولاد يسبحون الله تعالى
ويبقى لنا في هذا العالم عقب يكثرون الترحم علينا فاجابته البومة
ان الذي تدعوني اليه فيه الحظ الاكبر والنصيب الاوفر في
العاجل والاجل الا اني اشترط عليك خصالا لان اعطيتها
اجبتك الى ذلك فقال لها الذكر وما تطلبيه مني قالت ان

تقطعني خربات امهات الضياع عشرين قريه اخربت مما خربت
في ايام هذا الملك السعيد **فقال** له الملك ما الذي قال
لها الذكر قال المؤبذان كان من قوله ان دامت ايام هذا
الملك السعيد اقطعتك منها الف قرية خراب فما تصنعين بها
قالت في اجتماعنا ظهور النسل وكثرة الذكر فنقطع لكل ولد من
الاولاد ضيعة من هذه الخربات فقال لها الذكر هذا اسهل
امر سالتنيه وانا املي بذلك ما ارجو هذا الملك السعيد **فلما**
سمع الملك الكلام من المؤبذان عمل في نفسه واستيقظ من نومه
وفكر فيما خوطب به فنزل من ساعته ونزل بنزوله الناس وخلا
بالمؤبذان **فقال** ايها القائم بامر الدين والناصح للملك والمنبه
له على ما غفله من امور ملكه واضاعة بلاده ورعيته ما هذا
الكلام الذي خاطبتني به فقد حركت ما كان مني ساكنا فقال المؤبذان
صادفت من الملك السعيد حده وقت سعد البلاد والعباد فجعلت
الكلام مثلا وموقظا على لسان الطائر عند سؤال الملك اياي عما
سال **فقال** له الملك ايها الناصح اكشف لي عن هذا الغرض ما
المراد فقال ايها الملك ان هذا الامر لا يتم الا بالشريعة والقيام
لله بطاعته ولا قوام للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال

ولا قوام للرجال الا بالمال ولا سبيل للمال الا بالعمارة ولا سبيل
للعمارة الا بالعدل وهو الميزان المنصوب بين الخليقة نصبه
الرب جل وعلا وجعله قيما وهو الملك **قال** اما ما وصفت
فهو الحق فابن لي مما اليه يقصد واوضح لي في البيان قال نعم ايها الملك
انك عمدت الى الضياع فاقطعتها الخدم واهل البطالة فعمدوا
الى ما يتعجل من غلاتها فاستعجلوا المنفعة وتركوا العمارة و
النظر في العواقب وما يصلح الضياع وسومحوا في الخراج لقربهم
من الملك ووقع الحيف على الرعية وعمار الضياع فانجلوا
عن ضياعهم فقلت الاموال وهلكت الجنود والرعية وطمع
وطمع في ملك فارس من اطاف بها من الملوك والامم لعلمهم بانقطاع
المواد التي بسببها يستقيم دعائم الملك **فلما** سمع الملك اقام
في موضعه ثلاثة ايام واحضر الوزراء والكتاب وارباب الدواوين
فانتزعت الضياع من ايدي الخاصة والحاشية وردت الى اربابها
وحملوا على رسومهم السالفة واخذوا في العمارة وقوي من ضعف
منهم فعمرت البلاد بذلك واخصبت وكثرت الاموال عند
الجباة وقويت الجنود وانقطعت مواد الاعداء واقبل الملك يباشر
الامور بنفسه فحسنت سيرته وانتظم ملكه حتى كانت بعد تدعى

بالاعياد ثمّا عم الناس من الخصب وشملهم من العدل انتهى

حكاية اخرى في قضى المقا

حكي عن الاصمعي انه قال دخلت البصرة اريد باديةبني سعد وكان على البصرة يومئذ خالد بن عبد الله القرشي فدخلت عليه يوما فوجدت قوما متعلقين بشابٍ ذات جمال وكمال وادب ظاهر بوجه ازهر حسن الصورة طيب الرايحة جميل البزه عليه سكينة ووقار فقدموه الى خالد فسالهم عن قصته فقالوا هذا لص اصبناه البارحة في منازلنا فنظر اليه خالد فاعجبه حسن هيئته وفطانته فقال خلوا عنه ثم ادناه منه وساله عن قصته فقال ان القول ما قالوه والامر على ما ذكروه فقال له خالد ما حملك على ذلك وانت في هيئة جميله وصورة حسنة قال حملني الشره على الدنيا وبذا قضى الله سبحانه وتعالى فقال له خالد ثكلتك امك اما كان لك في جمال وجهك وكمال عقلك وحسن ادبك زاجر لك عن السرقة قال دع عنك هذا ايها الامير وانفذ ما امر الله تعالى به فذلك بما كسبت يداي وما الله بظلام للعبيد فسكت خالد ساعة متفكرا في امر الفتى ثم ادناه منه فقال له ان اعترافك على روس الاشهاد قد رابني وما اظنك سارقا وان لك قضية غير السرقة فاخبرني بها قال

ايها الامير لا يقع في نفسك شي سوى ما اعترفت به عندك وليس لي قصة اشرحها لك الا اني دخلت دار هؤلاء فسرقت منها ما لا فادركوني واخذوه وحملوني اليك فامر خالد بحبسه وامر منادياً ينادي بالبصرة الا من احب ان ينظر الى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغد فلما استقر الفتى في الحبس ووضع في رجليه الحديد تنفس الصعدا ثم انشا يقول شعرا

هددني خالد بقطع يدي ... ولم ابح عنده بقصتها
فقلت هيهات ان ابوح بها ... تضمن القلب من محبتها
فقطع يدي بالذي اعترفت به ... اهون للقلب من فضيحتها

فسمعه الموكلون به فاتوا خالدا فاخبروه بذلك فلما جن الليل امر باحضاره عنده فلما حضر استنطقه فراه اديبا عاقلا لبيبا ظريفا فاعجب به فامر له بطعام واكلا وتحادثا ساعة ثم قال له خالد قد علمت ان لك قصة غير السرقة فاذا كان غدا وحضر الناس والقضاة وسالتك عن السرقة فانكرها واذكر فيها شبهة تدرا عنك القطع فقد قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات ثم امر به الى السجن فلما اصبح لم يبق بالبصرة رجل ولا امراة الا حضر ليرى عقوبة ذلك

الفتى وركب خالد ومن وجوه اهل البصرة وغيرهم ثم دعا بالقضاة
وامر باحضار الفتى فاقبل في قيوده ولم يبق احد من النساء الا
بكى عليه وارتفعت اصوات النساء بالنحيب فامر بتسكين الناس ثم قال
له خالد ان هؤلاء القوم يزعمون انك دخلت دارهم وسرقت
مالهم فما تقول قال صدقوا ايها الامير دخلت دارهم وسرقت
مالهم قال خالد لعلك سرقت دون النصاب قال بل سرقت
نصابا كاملا قال فلعلك شريك القوم في شيء منه قال بل هو
جميعه لهم لا حق لي فيه فغضب خالد وقام اليه بنفسه وضرب
على وجهه بالسوط وقال متمثلا بهذا البيت **شعر**

يريد المرء ان يعطى مناه	ويابى الله الا ما يريد

ثم دعا بالجزار ليقطع يده فحضر واخرج السكين ومد يده ووضع
عليها السكين فبادرت جارية من صف النساء عليها اطمار وسخ
فصرخت وارمت بنفسها عليه ثم اسفرت عن وجه كانه البدر
وارتفع للناس ضجة عظيمة كادت ان يقع منها فتنة ثم نادت
باعلى صوتها ناشدتك الله ايها الامير لا تعجل بالقطع حتى تقرا هذه
الرقعة ودفعت اليه الرقعة ففضها خالد فاذا هو مكتوب فيها هذه الابيات

اخالد هذا مستهام متيم	رمته لحاظي عن قسي الحمالق

فاصماه سهم اللحظ مني فقلبه	حليف الجوى من دائه غير فائق
اقر بما لم يقترفه لانه	راى ذاك خيرا من هتكه عاشق
فمهلا على الصب الكئيب لانه	كريم السجايا في الهوى غير سارق

فلما قرا الابيات تنحى وانفرد عن الناس واحضر المراة ثم سالها عن
القصة فاخبرته ان هذا الفتى عاشق لها وهي له كذلك وانه
اراد زيارتها وان يعلمها بمكانه فرمى بحجر الى الدار فسمع ابوها
واخوها صوت الحجر فصعدوا اليه فلما احس بهم جمع قماش البيت
كله كانه فاخذوه وقالوا هذا سارق واتوا به اليك فاعترف
بالسرقة واصر على ذلك حتى لا يفضحني وهان عليه قطع يده لكي
يستر علي ولا يفضحني كل ذلك لغزارة مروته وكرمه **فقال**
خالد انه خليق بذلك ثم استدعى بالفتى وقبل ما بين عينيه وامر
باحضار ابي الجارية وقال له يا شيخ انا كنا عزمنا على انفاذ الحكم في هذا
الفتى بالقطع وان الله عز وجل عصمه من ذلك وقد امرت له
بعشرة الاف درهم لبذله يده وحفظه لعرضك وعرض ابنتك
وصيانته لكما من العار وقد امرت لابنتك بعشرة الاف درهم وانا اسالك
ان تاذن لي في تزويجها منه **فقال** الشيخ قد اذنت ايها
الامير بذلك قال فحمد الله واثنى عليه وخطب خطبة حسنة وقال للفتى

قد رزقتك هذه الجارية فلانة الحاضرة برضاها
وأذنها وإذن أبيها على هذا المال

وقدره عشرة آلاف درهم فقال الفتى قبلت منك التزويج
وامر بحمل المال الى دار الفتى مزفوفا في الصواني وانصرف
الناس مسرورين ولم يبق احد في سوق البصرة الا نثر عليهما
الجوز والسكر حتى دخلا منزلهما مسرورين مزفوفين قال
الاصمعي فما رايت يوما اعجب منه اوله بكاء واخره سرور و
نشاط وانبساط وهذا من محاسن العدل والانصاف انتهى
وهذه الحكاية تشابه ما تقدم قال حماد الراوية كنت عند
جعفر بن سليمان بالبصرة اذ اتي بشاب نظيف الثياب
حسن الوجه ومعه جارية كأنها قضيب بان فقال صاحب
الشرطه اصلح الله الامير اني وجدت هذا وهذه مجتمعين في
خلوة وليس لها بمحرم فقال جعفر للفتى ما تقول قال صدق
ولقد والله طال غرامي منذ ثلاث سنين والله ما امكنني
الخلوة بها الا في هذا الوقت وانشد يقول شعرا

تمنيت من دنيا اموز بقربها ... فلما تهيأ لي المنى عاقنا العسر
فوالله ثم الله ما كان ريبة ... وما كان الا اللفظ والضحك والبشر

فدونكما جلدي ولا تجلدونها ... فكم من حرام كان من دونها ستر

ثم جعلت الجارية تبكي بكاء شديدا فقال لها وانت لم
تبكين فقالت والله شفقة لما حل بنا وكيف احتلت حتى
خرجت وكيف بنا بهذه البلية فقال اتحبينه قالت
نعم قال لها انت حرة ام مملوكة قالت مملوكة فامر بها فدخلت الدار
واحضر مولاها فاشتراها منه بمائتي دينار واعتقها وزوجها
الفتى ووهب له مائة دينار وكساهما وانشد الفتى يقول شعرا

لقد جدت يا ابن الاكرمين بنعمة ... جمعت لنا بين المحبين في ستر
فلا زلت بالاحسان كهفا ومنعما ... وقد جل ما كان منك على الشكر

قال فضحك وامر لهما بجائزة انتهى

ذكر خلافة عبد الملك ابن مروان وشيء مما وقع في دولته

وهو اول من سمي عبد الملك في الاسلام كان يلقب برشح الحجر
كذا ذكر في حيوة الحيوان وذكر ابن واسع الهيثمي ان عبد الملك
ابن مروان بعث كتابا الى الحجاج ابن يوسف الثقفي يقول فيه

بسم الله الرحمن الرحيم

من امير المؤمنين عبد الملك الى الحجاج بن يوسف اذا ورد
عليك كتابي هذا وقرأته فسر الى ثلاث جوار مولدات نهدا

ابكارا يكون اليهن المنتهى في الجمال والكمال واكتب لي بصفة كل
واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال والسلام فلما
ورد الكتاب على الحجاج دعى النخاسين ثم امرهم بما امره امير
المومنين وامرهم ان يغوصوا في البلد حتى يقعوا على الغرض فلم يزالوا
من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقعوا على المقصود ورجعوا
الى الحجاج بثلاث جوار نهدا ابكارا مولدات ليس لهن مثل وكان
الحجاج فصيحا ويتكلم بهن فينظر الى كل واحدة منهن وثمنها
من المال فوجدهن لا يقاوم لهن بقيمته وان ثمنهن ثمن واحدة
منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثنا
الجميل وصلني كتاب امير المؤمنين متعني الله ببقاه يقول فيه
ان اشتري له ثلاث جوار مولدات ابكار وان اكتب له بصفة
كل واحدة منهن وثمنها فاما الجارية الاولى اطال الله بقاء امير
المؤمنين عطاء السوالف عظيمة الروادف كحلاء العينين
حلوة الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كانها
ذهب شيب بفضة وهي كما قيل

بيضا اذا ما استقبلتها دعج	كانها فضة قد شابها ذهب

وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم واما الجارية الثانية

فانها فاتنة في الجمال معتدلة القد والكمال يشفي السقيم كلامها
الرخيم وثمنها يا امير المؤمنين ثلاثون الف درهم واما الجارية الثالثة
فانها فاترة الطرف لطيفة الكف عميمة الردف شاكرة للقليل
مساعدة للخليل بديعة الجمال كانها خشف غزال وثمنها يا
امير المؤمنين ثمانون الف درهم ثم اطنب في الشكر والثنا على امير المؤمنين
وطوى الكتاب وختمه ودعا بالنخاسين وقال تجهزوا للسفر
بهؤلاء الجوار لامير المؤمنين فقال احد النخاسين ايد الله الامير
اني رجل كبير وضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني فان اذن ان
اجهزه قال فجهزوا وخرجوا ففي بعض سيرهم نزلوا ليستريحوا
في بعض الاماكن فمن الجوادى فهبت ريح فانكشف احدهن
وهي الكوفية فظهر نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها
ابن النخاس وكان شابا جميلا فافتتن بها الساعة فاتيها على
غفلة من اصحابه وجعل يقول شعرا

امكتوم عن عاشق قتل الهوى	وقلبي رهين كيف لا اتعشق

فاجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا	ليلا اذا هجعت عيون الحسد

فلما جن الليل انتضى ابن النخاس سيفه واتى نحو الجارية فوجدها

فا ثمه ننتظر قدومه فاخذها واراد الهرب ففطن به اصحابه فا
خذوه وكتفوه واوثقوه بالحديد ولم يزل ماسورا معهم
الى ان قدموا الى عبد الملك فلما قدموا بالجوارى بين يديه
واخذ الكتاب ففتحوه وقراه وجد الصفة موافقة فى اثنتين
ولم توافق الثالثة وراى بوجهها صفرة وهى الجارية الكوفية
فقال للنخاسين ما لهذه الجاريه لم توافق حليتها التى ذكرها
الحجاج فى كتابه وما هذا الاصفرار الذى بها وهذا الانحال
فقالوا يا امير المومنين تقول وعلينا الامان قال
ان صدقتم امنتم وان كذبتم هلكتم فخرج احد النخاسين واتى
بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدى امير المومنين
بكى بكاء شديدا وايقن بالعذاب ثم انشد يقول شعرا

امير المومنين اتيت رغما ... وقد شدت الى عنقى يديا
مقرا بالقبيح وسوء فعلى ... ولست بما رميت به بريا
فان تقتل ففى القتل ذنبى ... وان تعفوا فمن جود عليا

فقال له عبد الملك يا فتى ما حملك على ما فعلت استخفافا بنا
ام هوى بالجاريه فقال وحقك يا امير المومنين وعظم قدرك
ما هو الا هوى بالجارية فقال هى لك بما اعد لها فاخذ الغلام

الجاريه

الجاريه بكل ما اعد لها امير المومنين من الحلى والعقيان
وصار بها فرحا مسرورا حتى اذا كان ببعض الطريق نزلا بمرحلة
ليلا فتعانقا فلما اصبح الصباح واراد الناس الرحيل
وجدوهما ميتين فبكوا عليهما ودفنوهما فى الطريق ومضى
خبرهما الى امير المومنين عبد الملك بن مروان فبكى عليهما

وهذه الحكاية تشابه لما تقدم فى العشق واصطناع المعروف وتعجب من ذلك

قد روى بعض الثقات عن عبد الله بن معمر القيسى انه قال
حججت سنة الى بيت الله الحرام فلما قضيت حجى عدت لزيارة
قبر النبى صلى الله عليه واله وسلم فبينا انا ذات ليلة جالس
بين القبر والروضة اذ سمعت انينا عاليا وحنينا باديا و
انصت اليه واذا هو يقول شعرا

اشجاك نوح حمايم البدر ... فاهيج منك بلابل الصدر
ام غر نومك ذكر غانيته ... اهدت اليك وساوس الفكر
يا ليلة طالت على دنف ... ليشكوا الغرام وقلة الصبر
اسلمت من يهوى بحر جوى ... متوقد كتوقد الجمر
فالبدر يشهد انى كلف ... مغرى بحب شبيهة البدر
ما كنت احسب بها شجيا ... حتى ملت وكنت لا ادرى

قال ثم انقطع الصوت ولم ادر من اين جا فبقيت حايرًا واذا به قد
اعاد البكا والحنين وانشا يقول شعرا

اشجاك من ريا خيال زائر … والليل مسود الذوائب عاكر
ناديت ليلا والظلام كانه … يم تلاطم موج داخر
والبدر يرمي في السما كانه … منك ترحل والنجوم عساكر
يا ليل طلت على محب ما له … الا الصباح مساعدا وموازر
فاجابني مت حتف انفك واعلمن … ان الهوى لهو الهوان الحاضر

قال ففهمت ونهضت عند ابتدائه الابيات ام الصوت
فما انتهى الى اخر الابيات الا وانا عنده فرايت غلاما كما تم اعذاره
وقد خرق الدمع وجنتيه حرفين فقلت نعمت على ما فقال وانت
فمن الرجل قلت عبد الله ابن معمر القيسي قال الك حاجة قلت له كنت
جالسا في الروضه فما راعني هذه الليله الا صوتك فبنفسي افديك
ما الذي تجد قال اجلس فجلست قال انا عتبة ابن الحباب ابن المنذر ابن الجموح الانصاري
غدوت الى مسجد الاحزاب فبقيت راكعا وساجدا ثم اعتزلت
غير بعيد واذا بنسوة يتهادين كالاقمار وفي وسطهن جارية
بديعة الجمال كاملة الملاحه فوقفت علي وقالت يا عتبه ما
تقول في وصل من تطلب وصلك ثم تركتني وذهبت فلم اسمع لها

خبرا

خبرا ولا وقفت لها على اثر فانا حيران انتقل من مكان ثم صرخ وانكب
على الارض مغشيا ثم افاق وكانما صبغت ديباجة خديه بورس ثم انشد يقول شعرا

اراكم بقلبي من بلاد بعيدة … تراكم تروني بالقلوب على بعد
فؤادي وطرفي ياسفان عليكم … وعندكم روحي وذكركم عندي
ولست الذ العيش حتى اراكم … ولو كنت في الفردوس او جنة الخلد

فقلت له يا ابن اخي تب الى ربك واستقل من ذنبك فان بين يديك
هول الموقف فقال هيهات ما انا بسال حتى يؤوب القارضان
ولم ازل به حتى طلع الفجر الثاني فقلت له قم بنا الى مسجد الاحزاب
فجلسنا حتى صلينا الظهر واذا بنسوة قد اقبلن واما الجارية فليست
فيهن فقلن يا عتبه ما ظنك بطالبة وصلك وكاسبة ما لك قال
وما بالها قلن اخذها ابوها وارتحل الى السماوات فسالتهن
عن الجارية فقلن هي فرفع راسه وانشا يقول شعرا

خليلي ريا قد اجد بكورها … وسارت الى ارض السماوه وغيرها
خليلي اني قد غشيت من البكا … فهل عند غيري عبرة استعيرها

فقلت له يا عتبه اني وردت بمال جزيل اريد به اهل الستر والله
لابذلنه امامك حتى تبلغ رضاك وفوق الرضى فقم بنا الى المجلس
الانصار فقمنا حتى اشرفنا على ملأهم فسلمت فاحسنوا الرد ثم قلت

ايها الملا ما تقولون في عتبه وابيه قالوا من سادات العرب قلت
فانه رمى بداهيه من الهوى فاريد منكم المساعدة الى السماوة
قالوا سمعا وطاعة وركبنا وركب القوم معنا حتى اشرفنا على منازل
البادية من منازل بنى سليم فاعلم الغطريف بمكاننا ونزولنا
فخرج مبادرا واستقبلنا وقال حييتم باكرام قلنا وانت حييت
انا لك اضياف فقال نزلتم باكرام منزل ثم نادى يا معاشر
العبيد انزلوا فنزل العبيد ففرشت الانطاع والنمارق وذبحت
النعم والغنم فقلنا لسنا بذائقي طعامك حتى تقضى حاجتنا
فقال وما حاجتكم قلنا نخطب ابنتك الكريمه لعتبة ابن الحباب
ابن المنذر العالى المفخر الطيب العنصر فقال يا اخى ان التى تخطبونها
امرها الى نفسها وانا ادخل اخبرها ثم نهض مغضبا ودخل اليها
فقالت يا ابت مالى ارى الغضب بينا عليك فقال ورد على قوم
من الانصار يخطبونك منى فقالت سادات كرام استغفر
لهم النبى صلى الله عليه واله وسلم فلمن الخطبه فيهم فقال
لفتى يعرف بعتبه بن الحباب قالت سمعت عن عتبه هذا
انه يفى بما وعد ويدرك ما طلب فقال اقسمت لا ازوجك ابدا
فقد نمى الى بعض حديثك معه فقالت ما كان ذلك ولكن حيث

اقسمت فان الانصار لا يردون مردا قبيحا فاحسن الرد فقال
باى شىء قالت اغلظ عليهم المهر فانهم يرجعون قال
ما احسن ما قلت ثم خرج مبادرا فقال ان فتاة الحى قد اجابت
ولكن اريد لها مهر مثلها فمن القايم به قال عبد الله فقلت
انا قال اريد الف سوار من ذهب احمر وخمسة الاف درهم
من ضرب هجر ومائة ثوب من الابراد والحبر وخمسة اكرشة
من العنبر قال قلت لك ذلك فهل اجبت قال اجل فانفذ عبد الله
نفرا من الانصار الى المدينة المنورة فاتوا بجميع ما ضمنه و
ويستدعى بمن ذبحت النعم والغنم وهيئ ما يحتاج اليه
واجتمع الناس لاكل الطعام قال فاقمنا على هذا الحال اربعين
يوما ثم قال خذوا فتاتكم فحملناها على هودج وجهزها بثلثين
راحلة من التحف ثم ودعنا وانصرفنا وسرنا حتى اذا بقى بيننا
وبين المدينه المنورة مرحلة خرجت علينا خيل تريد الغارة واحسب
انها من بنى سليم فحمل عليها عتبه ابن الحباب فقتل عدة رجال
وانحرف راجعا وبه طعنه ثم سقط الى الارض واتتنا من النصرة
سكان تلك الارض فطردوا عنا الخيل وقد قضى عتبه نحبه اى
مات فقلنا واعتباه فسمعت الجاريه بقول واعتباه فالقت نفسها

من على البعير وانكبت عليه وجعلت تصيح وتقول بحرقة شعرا

تصبرت لا اني صبرت وانما ... اعلل نفسي بانها بك لاحقة
ولو انصفت نفسي لكانت الى الردى ... امامك من دون البرية سابقة
فما احد بعدي وبعدك منصف ... خليلا ولا نفس لنفس موافقة

ثم شهقت شهقة واحدة وقضت نحبها اي ماتت واحتفر لهما قبرا واحدا وواريناهما بالتراب ورجعت الى ديار قومي فاقمت سبع سنين ثم عدت الى الحجاز ووردت المدينة المنورة للزيارة فقلت والله لاعودن الى قبر عتبة فاتيت الى القبر فاذا شجرة عليها عصائب حمر وصفر وخضر فقلت لارباب المنزل ما يقال لهذه الشجرة فقالوا شجرة العروسين فاقمت عند القبر يوما وليلة وانصرفت وكان اخر العهد به انتهى

وايضا نظير لما تقدم في العشق والايصال الى الجنون

ما حكي عن بعض المعمرين من ذوي النعم قال بينما انا في منزلي اذ دخل علي خادم ومعه كتاب فقال رجل بالباب دفع الي هذا الكتاب ففتحته فاذا فيه شعر

تحبك البلاء وقلت خيرا ... وبخالك المليك من الغموم
فهذا لو وجدت شفا نفس ... واعضاء ضنين من الكلوم

فقلت عاشق والله وقلت للخادم اخرج واتني به فخرج ولم ير احدا فعجب من امره واحضرت الجواري كلهن من يخرج منهن ومن لم تخرج منهن فسالتهن عن ذلك فحلفن انهن لا يعرفن من حديث هذا الكتاب شيئا فقلت اني لم افعل ذلك بخلا بمن يهوى منكن من عرف بحال هذا الفتى فهي هبة مني له ومائة ومائة دينار وكتبت جوابه اشكره على ذلك واساله قبولها ووضعت الكتاب في جنب البيت ومائة دينار وقلت من عرف شيئا فلياخذه فمكث الكتاب والذهب اياما لا ياخذه احد فغمني ذلك وقلت هذا اقنع ممن يحبه بالنظر فمنعت من يخرج من جواري من الخروج فما كان الا يوم او بعض يوم اذ دخل الخادم ومعه كتاب وقال هذا من بعض اصدقائك بعث به اليك فقلت اخرج فاتني به فخرج فلم يجده ففتحت الكتاب فاذا فيه هذه الاشعار

ما ابتغي الى روح معلقة ... عند التراقي وحادي الموت حاديها
حثثتها ظالما فجد بها ... في السير حتى تخلت عن تراقيها
والله لو قيل لي ياتي بفاحشة ... وان عقباك دنيانا وما فيها
فقلت لا والذي اخشى عقوبته ... ولا باضعافها ما كنت آتيها
لولا الحيا لبحنا بالذي سكنت ... بنت الفؤاد وابدينا امانيها

قال ضمنى امره وقلت للخادم لا يأتيك احد بكتاب الا قبضت
عليه قال وقرب موسم الحاج قال فبينما قد افضت من عرفة واذا فتى
الى جانبى على ناقة لم يبق منه الا الخيال فسلم على فرددت عليه
السلام ورحبت به فقلت وما انكرك بسوء فقال لصاحب الكتابين
فانكببت عليه وقلت لربما اخى غمنى امرك واقلقنى كتمانك لنفسك وقد
وهبت لك طلبتك ومائة دينار فقال بارك الله لك انما اتيتك
مستحلا من نظر كنت انظره على غير حكم الكتاب والسنة فقلت غفر الله
لك والجارية فسر معى الى منزلى لاسلمها لك الجارية ومائة دينار ومثلها
اعطيك فى كل سنة فقال لا حاجة لى بذلك فالتمست منه
والححت عليه فلم يفعل فقلت له اما اذا ابيت فعرفنى من هى
من جوارى لاكرمها من اجلك ما حييت فقال ما كنت لاسميها
لاحد وودعنى وانصرف وعدنا الى الكلام على ما وقع من عبد الملك
روى انه لما ولى الحجاج بن يوسف الحرمين الشريفين خطب على ابرهيم
بن محمد بن طلحة فلما اراد الحجاج الرجوع الى الشام الى عبد الملك
بن مروان وفد معه ابرهيم بن محمد بن طلحة وقال اتيتك برجل
من الحجاز فى الشرف والابوة والفضل والمروة يا امير المومنين مع
ما هو عليه من حسن الطاعة وجميل المناصحة والله لم يكن فى الحجاز

له نظير فبالله عليك يا امير المومنين الا فعلت معه من الخير ما هو
مستحقه فقال عبد الملك يا ابا محمد من هو قال له
ابرهيم بن محمد بن طلحة قال له عبد الملك لقد ذكرتنا بحق
واجب ائذن له بالدخول فلما دخل على عبد الملك امر بجلوسه
فى صدر المجلس ثم قال ان ابا محمد الحجاج ذكر لنا ما نعرفه من كمال
مروتك وحسن نصيحتك فلا تدع فى صدرك حاجة الا اعلمتنا
واخبرتنا بها حتى نقضيها ونرعى جانبك ولا نخيب ولا
نضيع شكر ابا محمد الحجاج فيك فقال ابرهيم ان الحاجة التى اسعى
بها وجه الله تعالى والتقرب الى النبى صلى الله عليه وآله
وسلم فى يوم القيمة ونصيحة امير المؤمنين فانا ابديها
يا امير المؤمنين قال قل قال لا اقولها وبينى وبينك ثالث قال
ولا صديقك الحجاج قال لا قال قم فقام خجلا وهو لا يعرف
بطا رجله ثم امر الحجاج بالانصراف فلما مضى قال هات نصيحتك
فقال ابرهيم يا امير المومنين وليت الحجاج الحرمين الشريفين
وفيها من تعرف من اولاد المهاجرين والانصار وصحابة رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم مع ما تعلمه من ظلمه وعسفه
وجوره وبعده عن الحق وقربه الى الباطل يسومهم الخسف ويطاهم

العسف فاى جواب اعددته لرسول الله عليه واله وسلم
اذا سئلك فى عرصات القيمه عن ذلك فبالله عليك يا امير المؤمنين
الا عزلته وادخرته قربة الى الله تعالى فقال عبد الملك
لقد ظن الحجاج الخير بغير اهله ثم قال ابرهيم فقمت على احسن
حال وخرجت من المجلس وقد اسودت الدنيا فى وجهى فتبعنى
حاجبه وقبض على زندى وجلست فى الدهليز ثم دعى عبد
الملك بالحجاج فدخل فمكث طويلا فما شككت الا انهما يتشوران
فى قتلى ثم دعانى فقمت ودخلت فوافانى الحجاج فعانقنى وقال
جزاك الله عنى خيرا فى هذه النصيحة اما والله لئن عشت لارفعن قدرك
وتركنى وخرج وانا يقول يهزانى ويهددنى وهو معدد وقد دخلت
على عبد الملك بن مروان فاجلسنى مجلسى الاول ثم قال لى قد علمت
صدقك وعرفت نصحك ورضيت بقولك وقد عزلته عن الحرمين
الشريفين ووليته العراق وانك تطلب له الزيادة فى الاعمال وهو
يظن انك السبب فى توليته العراق وقد تهلل وجهه فرحا فيما
توجه يوليك الله خيرا ولا تقطع نصحك عنا بما يحب الله ويرضى
وفى مروج الذهب للمسعودى وشرح السيرة وغيرهما ان ام الحجاج
ابن يوسف وهى الفارعة بنت همام ولدته مشوها لا دبر له فثقب

ديره وابى ان يقبل ثدى امراة امه وغيرها فاعياهم امره فيقال
ان الشيطان تصور لهم فى صورة الحارث بن كلده فقال ما
خبركم فقالوا ولد ليوسف الثقفى من الفارعة ولد وقد ابى
ان يقبل ثدى امه فقال اذبحوا له تيسا اسود واولغوه دمه
فذبحوا تيسا اسود سالخا واولغوه دمه وطلوا به وجهه ثلاثة
ايام فقبل الثدى فى اليوم الرابع فكان لا يصبر عن سفك الدماء
وارتكاب امور لا يقدر عليها غيره انتهى من حيوة الحيوان من حرف
التاء وحكى ان الحجاج انفرد يوما عن عسكره فلقى اعرابيا فقال يا
وجه العرب كيف الحجاج فقال ظالم غشوم قال هلا شكوته الى
عبد الملك بن مروان قال اظلم واغشم لعنة الله عليهما فبينما هما كذلك
اذا تلاحقت به عسكره فعلم الاعرابى انه الحجاج فقال الاعرابى
ايها الامير السر الذى بينى وبينك لا يطلع احدا الا الله
فتبسم الحجاج واحسن اليه وانصرف وذكر اهل التواريخ
ان الحجاج بن يوسف الثقفى سهر ليلة وعنده جماعة منهم
خالد بن عرفطه فقال يا خالد ايتنى بمحدث من المسجد و
الناس اذ ذاك يطلبون المقام فى المسجد فانتهى الى شاب قائم
يصلى فجلس حتى سلم ثم قال اجب الامير قال ابعثك الامير الى

قاصدا قال نعم فمضى معه حتى انتهى الى الباب فقال له خالد
كيف انت ومحادثة الامير قال ستجدني كما يجب ان شاء الله
تعالى فلما دخل عليه قال له الحجاج هل قرات القران قال نعم
وقد حفظته قال فهل تروي من الشعر قال ما من شاعر الا
واروي عنه قال فهل تعرف من انساب العرب ووقايعها
قال لا يذهب عني شيء من ذلك فلم يزل يحدثه بكل ما احب
حتى اذا هم بالانصراف قال يا خالد امر للفتى ببرذون وغلام
ووظيفة واربعة الاف درهم فقال الفتى اصلح الله الامير بقي
من حديثي اظرفه واعجبه فعاد الحجاج الى مجلسه وقال
حدثني فقال اصلح الله الامير هلك والدي وانا طفل
صغير فنشات في حجر عمي وله ابنة تيمي وكان في الصبا من
التصابي ما كنا فيه اعجوبه حتى اذا بلغت وبلغت تنافس الخطاب
فيها وبذلوا فيها الاموال لجمالها وكمالها فلما رايت ذلك خامرني
السقم وضنيت ورميت على الفراش ثم عمدت الى جابيه
عظيمة فملاتها رملا وصخرا واقررت راسها ودفنتها تحت فراشي
فلما تم على ذلك ايام بعثت الى عمي فقلت يا عم اني اريد ان
اسافر فوقعت على مال عظيم وخفت ان اموت ولا يعلم احد

فان

فان حدث بي امر فاخرجه واعتق عني عشر نسمات وحج عني
عشر حجج وجهز عني عشرة رجال بخيولهم واسلحتهم وتصدق
عني بالف دينار ولا تبال يا عم فان المال كثير فلما سمع مقالتي
انى امراته فاخبرها بقولي فما كان باسرع من ان اقبلت بجواريها
حتى دخلت علي فوضعت يدها على راسي ثم قالت والله يا ابن اخي
ما علمت بسقمك وما حل بك حتى اخبرني ابن فلان الساعة واقبلت
تلاطفني وتعالجني بالادويه وحملت الي الطافا وودت الخطاب من ابنتها
فلما رايت ذلك تحاملت ثم بعثت الى عمي فقلت يا عم ان الله عز وجل
وجل قد احسن الي وعافاني فابتع لي جاريه من خصالها وجمالها
وكمالها كيت وكيت ولا يسالونك شيئا الا اعطيتهم ثم قال
والله يا ابن اخي ما يمنعك من ابنة عمك فقلت هي من اغر خلق الله
علي غير انه قد خطبتها قبل ذلك فامتنعت قال كلا ان الامتناع
كان من قبل امها وهي الان قد سمحت ورضيت بذلك فلك
شانك فرجع الى امراته فاخبرها بقولي فجمعت عشيرتها فزوجني
اياها فقلت عجل علي بابنة عمي كيف شئت ثم اردت الجابيه
فاهديتها الي ولم تدع شيئا يصنع باشراف النساء الا فعلته
ثم زفت ابنتها واحضرتها بكل ما وجدت اليه سبيلا واخذ عمي

متاعا من التجار بعشرة الاف درهم وكان يا تينا فى كل صباح
من قبل ابيها لطفا وبرا وتحفا مدة فلما كان بعد ذلك اتانى عمى
قال يا ابن اخى انا قد اخذنا من التجار متاعا بعشرة الاف درهم
وليس يصبرون على حبس الثمن قلت شانك والجابيه فترسر بها حتى
جاء بالرجال والجمال فاستخرجها وحملها ومر بها مسرعا الى منزله
فلما فتحها كان فيها ما علمت فما كان باسرع من ان جائت امها
بجواريها فلم ندع فى منزلى قليلا ولا كثيرا الا حملته فبقيت مها نا
على الارض وجفينا كل الجفاء فهذا حالى اصلح الله الامير فانا من
خجلى وضيق صدرى اوى المساجد فقال الحجاج يا خالد مر للفتى
بثياب ديباج وفرش ارمينية وجارية وبرذون وغلام وعشرة الاف
درهم قال يا فتى اغد على خالد غدا حتى تستوفى المال فخرج الفتى
من عند الحجاج قال فلما انتهيت الى باب دارى سمعت ابنة عمى يقول
يا ليت شعرى ما ابطا بابن عمى اقتل ام مات ام عرض له شيع قال
فدخلت عليها فقلت يا ابنة عمى ابشرى وقرى عينا فانى دخلت
على الحجاج وكان من الحجاج كيت وكيت وحكيت لها ما كان من امرى
فلما سمعت الفتاة لطمت وجهها وصاحت فسمع ابوها واخوتها صراخها
فدخلوا عليها وقالوا لها ما شانك فقالت لابيها لا وصل الله رحمك

ولا

ولا جزاك عنى وعن ابن اخيك خيرا الجفيته وضيعته حتى اصابته
الجنة وذهب عقله اسمع مقالته فقال العم يا ابن اخى ما حالك
فقلت والله ما بى من باس الا انى دخلت على الحجاج وذكرت له من امرى
ما كان وانه امر لى بما الجزيل فقال العم لما سمع مقالته هذه
مرة صفرا ابن فما توا يحرسونه تلك الليلة فلما اصبحوا بعثوا الى
المعالج فجعل يعالجه ويسعطه مرة ويسهله اخرى قال قال الفتى
والله ما بى من باس وانما دخلت على الحجاج فكان كيت وكيت فلما راى الفتى
ان ذكر الحجاج لا يزيده الا بلاء كف عنه وعن ذكره ثم قال له ما تقول
فى الحجاج قال ما رايته فقال لهم قد ذهب عنه الاذى ولكن لا
تعجلوا بحل قيده ثم خرج المعالج وبقى الفتى مقيدا مغلولا فلما كان
بعد ايام ذكره الحجاج فقال يا خالد ما فعل الفتى فقال اصلح الله
الامير ما رايته منذ خرج من حضرة الامير قال فابعث اليه احدا
فبعث اليه خالد حرسيا فاخرجه على عم الفتى فقال له ما فعل ابن
اخيك فان الحجاج يطلبه قال ان ابن اخى لفى شغل عن الحجاج قد ابتلى
ببلاء فى عقله قال لا ادرى ما تقول لا بد من الذهاب به الساعة
فدخل عليه العم فقال له يا ابن اخى ان الحجاج بعث فى طلبك
فنفك قيودك قال لا الا بين يديه فحمل فى قيوده وغله على ظهر

الرجال حتى ادخل على الحجاج فلما نظره من بعد جعل يرحب به حتى انتهى
اليه فكشف عن قيده وغله وقال اصلح الله الامير ان آخر امري اعجب
من اوله وحدثه بحديثه فعجب الحجاج وقال يا خالد اضعف للفتى
ما كنا قد امرنا له به فقبض المال اجمع وحسن حاله ولم يزل مسامرا
للحجاج حتى مات وحضر اعرابي عند الحجاج فقدم الطعام فاكل الناس ثم قدمت
الحلوى فترك الحجاج الاعرابي حتى اكل منها لقمة ثم قال من اكل
من الحلوى ضربت عنقه فامتنع الناس من اكله وبقي الاعرابي
ينظر الى الحجاج مرة والى الحلوى مرة ثم قال ايها الامير اوصيك با
اولادي خيرا ثم اندفع ياكل فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه وامر له
بصلة وقيل ان الحجاج امر صاحب حراسته ان يطوف بالليل فمن وجده
بعد العشاء ضرب عنقه فطاف ليلة فوجد ثلاثة صبيان يتمايلون
عليهم اثر الشراب فاحاط بهم وقال لهم من انتم حتى خالفتم امر
الامير فقال الاول شعرا

انا ابن من دانت الرقاب له ... ما بين مخزومها وهاشمها
تاتي الرقاب اليه صاغرة ... ياخذ من مالها ومن دمها

فامسك عن قتله وقال لعله من اقارب امير المومنين
وقال الآخر

انا ابن الذي

انا ابن الذي لا تنزل الدهر قدره ... وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس افواجا الى ضوء ناره ... فمنهم قيام حولها وقعود

فامسك عن قتله وقال لعله من اشراف العرب ثم قال
للآخر من انت قال

انا ابن الذي خاض الصفوف بكفه ... وقومها بالسيف حتى استقامت
ركاباه لا تنفك رجلاه فيهما ... اذا الخيل في يوم الكريهة ولت

فامسك عنه وقال لعله من شجعان العرب فلما رفع امرهم الى
الحجاج احضرهم وكشف عن حالهم فاذا الاول ابن حجام والثاني
ابن فوال والثالث ابن حائك فعجب الحجاج من فصاحتهم وقال لجلسائه
علموا اولادكم الادب فوالله لولا الفصاحة لضربت اعناقهم
وامر الحجاج بقتل اسرى فقتل منهم جماعة فقال رجل منهم وقد عرض
للقتل يا حجاج ان كنا اسانا في الذنب فما احسنت في العفو
وقال الله تعالى فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ
فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا
هذا قول الله تعالى في الكفار فكيف بالمسلمين
وقد قال الشاعر

وما نقتل الاسرى ولكن نفكهم ... اذا اثقل الاعناق حمل القلائل

فقال الحجاج اف لهولاء الجيف والله لوقبلوا هولاء مثل ما قال
هذا الرجل ما قتلت منهم احدا ولكن اطلقوا بقيتهم ولما اتى الحجاج
الطرق قال على بالمرأة الحرورية فلما حضرت قال انت بالامس
فى وقعة ابن الزبير تحرضين الناس على قتل رجالى ونهب اموالى
قالت نعم قدكان ذلك يا حجاج فالتفت الى وزرائه وقال
ما ترون فى امرها فقالوا اعجل بقتلها فضحكت المرأة فاغتاظ
الحجاج وقال ما اضحكك قالت كان وزراء اخيك فرعون
خير من هولاء الوزراء قال كيف ذلك قالت لانه استشارهم
فى موسى فقالوا ارجه واخاه اى انظره الى وقت معلوم
وهولاء يسئلونك تعجيل قتلى فضحك الحجاج وامر لها بعطاء وعفى
عنها واطلقها

ومن ظرائف الحكايات

ما حكى ان هند ابنت النعمان كانت احسن نساء زمانها
فوصف للحجاج حسنها فخطبها وبذل لها مالا جزيلا وتزوج
بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتى الف درهم فلما
دخل بها مكث معها بالمعرة مدة طويلة ثم انه دخل بها الى
العراق فاقامت معه ما شاء الله ثم دخل عليها فى بعض

الايام وهى تنظر فى المرآت وتقول

وما هند الا مهرة عربية — سلالة افراس تحللها بغل
فان ولدت حرا فلله درها — وان ولدت بغلا فمن ذلك البعل

فلما سمع الحجاج انصرف راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به
فاراد الحجاج طلاقها فبعث لها عبد الله بن طاهر ليطلقها فدخل عليها
فقال يقول لك ابو محمد الحجاج كنت فبنت وكان تاخر عليك من
الصداق مائتى الف درهم وهذه باقى صداقك حضرت معى و
وكلنى على طلاقك فقالت اعلم يا بن طاهر انا والله كنا فما حمدنا
ربنا فاندمنا وهذه المائتى الف درهم هى لك بشارتك بخلاصى
من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ امير المومنين عبد الملك ابن مروان
خبرها ووصف له جمالها فارسل اليها يخطبها فارسلت اليه
كتابا تقول بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين ان الكلب
ولغ فى الاناء فلما قرا عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب
اليها يقول اذا ولغ الكلب فى الاناء يحل الاستعمال فيه بعد
غسله سبعا فلما رات كتاب امير المؤمنين لم يمكنها المخالفة
فكتبت اليه تقول له بعد الثناء عليه اعلم يا امير المؤمنين
انى لم اجز العقد الا بشرط فان قلت ما الشرط اقول ان يقود

الحجاج محملٍ من المعرة الى بلدك الذي انت فيها ويكون ماشيا حافيا
بملبوسه التي لابسه فلما قرا الكتاب عبد الملك ضحك ضحكا عاليا
شديدا وارسل الى الحجاج يامره بذلك فلما قرا الحجاج رسالة
امير المؤمنين اجاب ولم يخالف امر المؤمنين وامتثل امره ثم ارسل
الحجاج الى هند يامرها بالتجهيز فسار الحجاج في موكبه حتى وصل
المعرة بلد هند فلما ركبت المحمل وركب حولها جواريها وخدامها
فترجل الحجاج وهو حافي واخذ بزمام البعير يقودها ويسيرها
فاخذت تهزاء عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت
للهيفاء يا دايه اكشفي لي ستارة المحمل فكشفته فوقع وجهها
في وجه الحجاج فضحكت عليه فلما راى ذلك

فانشد يقول شعرا

وان تضحكي مني فيا طول ليلة ... تركتك فيها كالقباء المفرج

فلما سمعته فاجابته تقول

وما نبالي اذا ارواحنا سلمت ... بما فقدناه من مال ومن نسب
فالمال مكتسب والعز مرتجع ... اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تلعب وتضحك الى ان قربت من بلاد الخليفه
فلما قربت البلد فرمت من يدها دينارا على الارض وقالت

ياحمال

يا حمال انه قد سقط منا درهم فادفعه الينا فنظر الحجاج الى
الارض فلم ير الا دينارا فقال لها انما هو دينار فقالت بل
درهم فقال لها بل دينار فقالت الحمد لله الذي سقط منا
درهم فعوضنا دينارا فادفعه الينا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد
جوابا حتى دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها وكان من
امرها ما كان وذكر في حيوة الحيوان قال عون ابن شداد العبدي
بلغني ان الحجاج بن يوسف لما ذكر له سعيد بن جبير ارسل اليه
قايدا من الشام يسمى المتلمس ابن الاحوص ومعه عشرون رجلا
فبينما هم يطلبونه اذ هم براهب في صومعة له فسالوه عنه فقال
الراهب صفوه لي فوصفوه فدلهم عليه فانطلقوا فوجدوه
ساجدا يناجي ربه باعلى صوته فدنوا منه فسلموا عليه فرفع
راسه فاتم بقية صلاته ثم رد عليهم السلام فقالوا ارسل
الحجاج اليك فاجبه قال فاجبه قال ولابد من اجابته قالوا
لابد فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله واله وسلم
ثم قام يمشي معهم حتى انتهى الى دير الراهب فقال الراهب يا معشر
الفرسان اصبتم صاحبكم قالوا نعم قال اصعدوا الدير فان اللبوه و
الاسد ياويان الدير فعجلوا الدخول قبل المسا ففعلوا ذلك وابى

سعيد ان يدخل الدير فقالوا ما تراك الا تريد الهرب قال لا ولكن لا
ادخل منزل مشرك ابدا قالوا فانا لا ندعك فان السباع تقتلك
قال سعيد ان معي ربي يصرفها ويجعلها حرسا لي من كل سوء
ان شاء الله تعالى قالوا فانت نبي من الانبياء قال ما انا من الانبيا
ولكني عبد من عبيد الله خاطئ مذنب قالوا احلف انك لا تبرح
فحلف لهم فقال الراهب لهم اصعدوا الدير واوتروا القسي
لتنفروا عن هذا العبد الصالح فانه كره الدخول علي في الصومعة
لمكانكم فدخلوا فاذا بلبوة قد اقبلت فلما دنت من سعيد تحككت
به وتمسحت ثم ربضت قريبا منه واقبل الاسد فصنع مثل ذلك
فلما راى الراهب ذلك واصبحوا نزل اليه وساله عن شرايع
الاسلام وسنن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ففسر
سعيد ذلك كله فاسلم الراهب وحسن اسلامه واقبل
القوم الى سعيد يعتذرون اليه ويقبلون يديه ورجليه
وياخذون التراب الذي وطئه بالليل وصلوا عليه وقالوا
يا سعيد حلفنا الحجاج بالطلاق والعتاق ان نحن رايناك لا ندعك
حتى نشخصك اليه فمرنا بما شئت قال امضوا لشانكم فانه لا بد من
الرجوع لخالقي ولا راد لقضائه فساروا حتى وصلوا واسطا فلما

انتهوا قال لهم سعيد يا معشر القوم قد عزمت بكم وصحبتكم
ولا اشك ان اجلي قد حضر وان المدة قد حضرت فدعوني
الليلة آخذ اهبة الموت واستعد لمنكر ونكير واذكر عذاب القبر
وما يحثى عليه من التراب فاذا اصبحتم فالميعاد بيني وبينكم
المكان الذي تريدون فقال بعضهم لا تريدا اثرا بعد عين وقال
بعضهم قد بلغتم امنكم واستوجبتم جوايزكم من الامير فلا تعجزوا
عنه فقال بعضهم هو علي ادفعه اليكم ان شاء الله تعالى فنظروا
الى سعيد قد دمعت عيناه واغبر لونه ولم ياكل ولم يشرب ولم
يضحك منذ لقوه وصحبوه فقالوا باجمعهم يا خير اهل الارض
ليتنا لم نعرفك ولم نرسل اليك الويل لنا كيف ابتلينا اعذرنا
عند خالقنا يوم الحشر الاكبر قال كفيل وهو المتلمس بن الاحوص
المتقدم ذكره اسالك يا سعيد بالله الا ما زودتنا من دعائك وكلامك
وما لنا ان نلقى مثلك ابدا فدعا لهم سعيد ثم خلوا سبيله فغسل
راسه ومدرعته وكساه وهم محتفون الليل كله فلما انكشف
عمود الصبح جاءهم سعيد بن جبير فقرع الباب فقالوا صاحبكم ورب
الكعبة فنزلوا اليه وبكوا معه طويلا ثم ذهبوا الى الحجاج فدخل
عليه المتلمس فسلم عليه وبشره بقدوم سعيد بن جبير فلما مثل

بين يديه قال له ما اسمك قال بل شقي ابن كسير قال بل امي كانت
اعلم باسمي منك قال شقيت انت وشقيت امك قال العيب يعلمه
غيرك قال لابدلنك بالدنيا نارا قال لو علمت ان ذلك بيدك لا
تخذتك الها قال فما قولك في محمد صلى الله عليه واله قال نبي الرحمة
وشفيع الامة خاتم النبيين وصفوة العالمين قال فما قولك في علي بن
ابيطالب عليه السلام في الجنة ام في النار قال لو دخلتها وعرفت
اهلها عرفت من فيهما قال فما قولك في الخلفاء قال لست عليهم بوكيل
قال فايهم احب اليك قال ارضاهم لخالقي قال فايهم ارضى للخالق
قال علم ذلك الذي يعلم سرهم ونجويهم قال فما بالك لا تضحك
قال ايضحك مخلوق خلق من الطين والطين تاكله النار قال فما لنا
نضحك قال لم يستو القلوب قال ثم امر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد
والياقوت فوضعه بين يدي سعيد قال سعيد ان كنت جمعت
هذا لتفتدي به من فزع يوم القيمة فصالح والا ففزعة واحدة
تذهل كل مرضعة عما ارضعت ولا خير في شيء جمع للدنيا الا ما طاب
وزكى ثم دعا الحجاج بالة اللهو فبكى سعيد فقال الحجاج ويلك
يا سعيد اختر اي قتلة تريد ان اقتلك قال اختر لنفسك يا حجاج
فوالله لا تقتلني قتلة الا اقتلك الله مثلها في الاخرة قال فتريد ان

اعفو عنك قال ان كان العفو من الله بلى وانكان من انت فلا قال
اذهبوا به فاقتلوه فلما خرج من الباب ضحك فاخبر الحجاج بذلك فامر
برده فقال ما اضحكك قال عجبت من جرائتك على الله وحلم الله عليك
فامر بالنطع فبسط بين يديه وقال اقتلوه قال وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما انا من المشركين قال و
جهوه لغير القبلة قال سعيد فاينما تولوا فثم وجه الله قال كبوه على وجهه
فقال سعيد منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى
فقال الحجاج اذبحوه فقال سعيد اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله اللهم لا تسلطه على احد
يقتله بعدي فذبح على النطع رحمه الله تعالى ولعنه الله على قاتله
وظالمه وكانت راسه بعد قطعها تقول لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وعاش الحجاج عليه اللعنة والعذاب بعده خمسة
عشر يوما في سنة خمس وتسعين وكان عمر سعيد رضي الله عنه
تسعا واربعين سنة والله اعلم

السادس من الخلفاء الوليد بن عبد الملك بن مروان

كان الوليد يختم القران في ثلاث وكان يختم في شهر رمضان
سبع عشرة ختمة قال ابرهيم ابن ابي عبلة كان يعطيني اكياس

الدنانير اقسمها في الصالحين وكان يقول لولا ان الله عز وجل ذكر
اللواط في كتابه العزيز ما ظننت ان احدا يفعله قال الحافظ
ابن عساكر كان الوليد عند اهل الشام من افضل خلفائهم
بنى المسجد بدمشق وفرض للمجذومين وقال لا تسألوا الناس
واعطى كل مقعد خادما وكل اعمى قايدا وذكر ان جملة
ما انفق على بنا المسجد الاموى اربع مائة صندوق في كل صندوق
ثمانية وعشرون الف دينار وكان فيه ستمائة سلسلة
ذهب للقناديل وما كمل بناه الا اخوه سليمان لما ولى الخلافة
وفعل خيرا كثيرا واثارا حسنة وبعد هذا كله فقد روى عمر بن
عبد العزيز قال لما ادرج في اكفانه غلت يداه الى عنقه نسئل الله

فيه خلافة سليمان بن عبد الملك العفوا العافية في الدنيا والاخره ومحاسن افعالها

السابع من خلفاء بني الامية سليمان ابن عبد الملك ابن مروان
فمما يذكر من محاسنه ان رجلا دخل عليه فقال يا امير
المؤمنين انشدك الله والاذان فقال سليمان اما انشدك
الله فقد عرفناه فما الاذان قال قوله تعالى فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ
بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ قال سليمان ما ظلامتك
قال الرجل صيعتي فلانة غلبني عليها عامل فلان فنزل سليمان

عن

عن سريره ورفع البساط ووضع خده بالارض وقال والله
لا ارفع خدي من الارض حتى يكتب له برد صيعته فكتب الكتاب
وهو واضع خده بالارض لما سمع كلام ربه الذي خلقه وخوله
في نعمه فخشي من لعن الله تعالى وطرده وقد انه اطلق من سجن الحجاج
ثلثمائة الف نفس ما بين رجل وامراة وزاد ازال الحجاج واتخذ ابن عم
عمر بن عبد العزيز وزيرا ومشيرا وكان شرها في الاكل نكاحا ودرجها
قال ابن خلكان في ترجمته انه كان ياكل كل يوم نحو مائة رطل
شامى قال محمد بن سيرين سليمان افتتح خلافته بالخير واختمها بخير
افتتحها باقامة الصلوة لمواقيتها الاولى وختمها باستخلافه لعمر بن
عبد العزيز وقال ابو سويد حدثني ابو زيد الاسدي قال دخلت على سليمان
ابن عبد الملك وهو جالس في ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش
بالديباج الاخضر في وسط بستان ملتف قد اينع واثمر وعلى راسه
وصايف كل واحدة منهن احسن من صاحبتها وقد غابت الشمس
وغنت الاطيار فتجاوبت وصفقت الرياح على الاشجار وتمايلت
فقلت السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا
فرفع راسه فقال يا ابا زيد في مثل الحين تصاحبنا فقلت اصلح
الله الامير او قد قامت القيمة قال نعم على اهل المحبة ثم اطرق

راسه مليا ورفع راسه وقال يا ابا زيد ما يطيب في يومنا هذا
قلت اعز الله الامير قهوة حمراء في زجاجة بيضاء تنا ولها عند
هيفاء ملفوفة لفا اشربها من كفها وامسح فمي بخدها فاطرق
سليمان مليا لا يرد جوابا يتحدر من عينيه عبرات بلا شهيق فلما
رايت الوصايف ذلك تنحين عنه ثم رفع راسه فقال يا ابا زيد
حضرت يوم انقضاء اجلك ومنتهى مدتك وتصرم عمرك والله
لاضربن عنقك او لتخبرني ما اثار هذه الصفة من قلبك قلت
نعم ايها الامير كنت جالسا على باب اخيك سعيد بن عبد الملك
فاذا انا بجارية قد خرجت من باب القصر كانها غزال انفلت من
شبكة صياد عليها قميص سكب اسكندراني يبين منه بياض
ثدييها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي رجليها نعلان مراوان
قد اشرق بياض قدميها على حمرة نعليها بدن وانتين ضرب
حقويها ولها صدغان كانهما نونان وحاجبان قد قوسا على محاجر
عينيها وعينان مملوتان سحرا وانف كانه قصبة بلور وفم كانه
جرح يقطر وهي تقول عباد الله من لي بدواء ما لا يشتكي وعلاج ما لا
ينتهي طال الحجاب وابطاء الجواب فالقلب طاير والعقل عازب
والنفس والهة والفؤاد مختلس والنوم محتبس رحمة الله على

قوم عاشوا مجلدا وماتوا كمدا ولو كان لي الى الصبر حيلة والى
العزاء سبيلا لكان امر جميلا ثم اطرقت مليا ورفعت راسها
فقلت ايتها الجارية انسية ام جنية سماوية ام ارضية فقد
اعجبني ذكاء عقلك واذهلني حسن منطقك فسترت وجهها
بكمها كانها لم تربي ثم قالت اعذر ايها المتكلم فما اوحش الساعد
بلا مساعد والمقاساة لصب معاند ثم انصرفت فوالله يا امير المؤمنين
ما اكلت طيبا الا غصصت به لذكرها وما رايت حسنا الا سمج
في عيني لحسنها فقال سليمان ابا زيد كان الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يغرب عني لشجو ما سمعت اعلم ابا زيد ان تلك التي رايتها
هي الدلفاء التي قيل فيها شعر

كانما الدلفاء ياقوتة | فما خرجت من كيس دهقان

شراؤها على اخي بالف الف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله
ان مات الا بغمة بحبه ولا يدخل في القبر الا بغصته وفي الصبر سلوة
وتوقع الموت هيبة قم يا ابا زيد في دعة الله يا غلام ثقله ببدرة
فاخذتها وانصرفت قال فلما افضت الخلافة لمسرت اليه الدلفاء فامر
بفسطاط فاخرج على دهنا الغوطه وضرب في روضة خضراء مونقة
زهراء حدايق ذات بهجة تحتها انواع الزهر من اصفر فاقع واحمر

ساطع وابيض ناصع وكان لسليمان مغنّ يقال له سنان وكان
به يأنس واليه يسكن فامره ان يضرب فسطاطا بالقرب منه
وكانت الدلفاء قد خرجت مع سليمان الى ذلك المتنزه فلم يزل
في اكل وشرب وسرور وتم جوده الى ان انصرف من الليل الى فسطاطه
يعني سنان الذي كان يأنس به سليمان بن عبد الملك وضرب
له فسطاطا بجنب فسطاطه فنزل به جماعة من اخوانه فقالوا له
نريد قرى اصلحك الله قال وما قراكم قالوا اكل وشرب وسماع
قال اما الاكل والشرب فمباحان لكم واما السماع فقد عرفتم
شدة غيرة امير المؤمنين ونهيه الا ما كان في مجلسه فقالوا لا حاجة
لنا بطعامك وشرابك ان لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا اغنيكموه
قالوا اغننا بصوت كذا وكذا قال فاندفع يغني بهذه الابيات يقول

محجوبة سمعت صوتي فارّقها	من آخر الليل لما نبّه السحر
في ليلة البدر ما يدري مضاجعها	او وجهها عنده ام عنده القمر
لم يحجب الصوت احراس ولا غلق	فدمعها لطريق الصوت ينحدر
لو مكنت لمشت نحوي على قدم	وكاد من لينها للمشي ينفطر

قال فسمعت الدلفاء صوت سنان فخرجت الى صحن الفسطاط
فجعلت لا تسمع شيئا من حسن خلق ولطافة قد الا رأت ذلك كله

في نفسها وهيئتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها فهملت عيناها و
علا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج الى صحن الفسطاط
فراها على تلك الحالة فقال ما هذا يا دلفاء فقالت شعرا

الا رب صوت رائع من مشوه	قبيح المحيا واضع الاب والجد
يروعك منه صوته ولعله	الى امه يعزى والى العبد

فقال سليمان دعي هذا الحال فوالله لقد خام قلبك منه يا غلام علي
بسنان فدعت الدلفاء خادما لها وقالت له ان سبقت رسول
امير المؤمنين الى سنان فحذرته فلك عشرة الاف درهم وانت
حر لوجه الله تعالى فخرج الرسولان فسبق رسول امير المؤمنين
سليمان فلما اتي به قال يا سنان الم انهك عن مثل هذا قال يا امير
المؤمنين حملني الثمول وانا عبد امير المؤمنين وغرس نعمته فان
راى امير المؤمنين ان يعفو عني فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن اما علمت
ان الفرس اذا صهل تودقت المهرة وان الفحل اذا هدر ضبعت له الناقة وان الرجل اذا تغنى
صغت اليه المراة واياك والعود الى ما كان منك فيطول غمك انتهى

ومن نوادر الوقايع

ما حكي انه كان في ايام دولة سليمان بن عبد الملك رجل يقال
له خزيمة بن بشر من بني اسد كانت له مروة ظاهرة ونعمة حسنة

وفضل وبرنا الاخوان فلم يزل على تلك الحالة حتى قعد به الدهر فاحتاج
الى اخوانه الذى كان يتفضل عليهم ويواسيهم فواسوه حينًا
ثم ملوه فلما لاح له تغيرهم اتى امراته وكانت ابنة عمه فقال لها
يا بنت العم قد رايت من اخوانى تغيرا وقد عزمت على ان الزم بيتى الى
ان ياتينى الموت فاغلق بابه عليه واقام يتقوت لما عنده حتى نفد
وبقى حائرا وكان يعرف عكرمة الفياض الربعى متولى الجزيرة
فبينما هو فى مجلسه اذ ذكر خزيمة ابن بشر فقال عكرمة الفياض
ما حاله قالوا قد صار الى امر لا يوصف وانه اغلق بابه ولزم
بيته فقال عكرمه الفياض وانما سمى بذلك لكثرة كرمه فما
وجد خزيمة بن بشر مواسيا ولا مكافيا فقالوا لا فامسك فلما
كان الليل عمد الى اربعة الاف دينار فجعلها فى كيس واحد وخرج
سترا من اهله فركب ومعه غلام من غلمانه يحمل المال ثم سار
حتى وقف بباب خزيمه فاخذ الكيس من الغلام ثم ابعده عنه
وتقدم الى الباب فدقه بنفسه فخرج الى خزيمه فناوله الكيس و
قال اصلح بهذا شانك فناوله فراه ثقيلا فوضعه عن يده ثم
امسك بلجام الدابه فقال له من انت جعلت فداك فقال عكرمه
يا هذا ما جئتك فى هذا الوقت والساعة واريد ان تعرفنى

فقال ما اقبله او تعرفنى من انت فقال انا جابر عثرات الكرام
قال زدنى قال لا ثم مضى ودخل خزيمة بالكيس الى ابنة عمه
فقال لها ابشرى فقد اتانا الله بالفرج والخير ولو كانت فلوسا
فهى كثيرة قومى فاسرجى قالت لا سبيل الى السراج وبات
يلمسها بيده فيجد خشونة الدنانير ولا يصدق واما عكرمة
فانه رجع الى منزله فوجد امراته قد فقدته وسالت عنه
فاخبرت بركوبه فانكرت ذلك وارتابت وقالت والى الجزيرة
لا يخرج بعد هدو من الليل منفردا من غلمانه فى ستر من
اهله الا الى سرية او زوجة فقال علم الله انى ما خرجت
الى واحدة منهما قالت فخبرنى فيما خرجت فقال يا هذه ما
خرجت فى هذا الوقت وانا اريد ان يعلم بى احد قالت لا بد
ان تقول قال اذا قلت فاكتميه فانى فعلته وما اريد ان يعلمه
احد فاخبرها بالقصة على وجهها وما كان من قوله ورده
عليه ثم قال لها تحبين ان احلف لك قالت لا فقد سكن قلبى
وركن الى ما ذكرت واما خزيمة فلما اصبح صالح الغرما واصلح
من حاله ثم انه تجهز يريد سليمان بن عبد الملك وكان يومئذ
نازلا بفلسطين فلما وقف ببابه واستاذن ودخل الحاجب

فاخبره بمكانه وكان مشهورا بمروته وكان سليمان به عارفا
فاذن له فلما دخل سلم عليه بالخلافة فقال له سليمان يا خزيمه
ما ابطاك عنا قال سوء الحال قال فما منعك من النهضه الينا
قال ضعفي يا امير المومنين قال فبم نهضت الان قال لم اعلم
يا امير المؤمنين الا انى بعد هدو من الليل الا ورجل يطرق
الباب وكان من امره كيت وكيت واخبره بقصته من اولها الى
اخرها فقال سليمان هل تعرف الرجل فقال خزيمه ما عرفته
يا امير المومنين وذلك انه كان متنكرا وما سمعت من لفظه الا جابر
عثرات الكرام فتلهف سليمان على معرفته وقال لو عرفناه
لكافيناه على معرفته ومروته فقال على بقناه فانى بها فعقد
بها لخزيمه ابن بشر المذكور على الجزيره عاملا عوضا عن عكرمه
الفياض فخرج خزيمة طالبا الجزيرة فلما قرب منها خرج عكرمه
واهل البلد للقائه فسلما على بعضهما بعضا ثم سارا جميعا
الى ان دخلا البلد فنزل خزيمه دار الامارة وامر ان يوخذ
لعكرمه كفيلا وان يحاسب فحوسب فوجد عليه فضولا من اموال
كثيرة فطالبه بادائها فقال ما لى الى شئ من سبيل قال لابد
منها قال ليست عندى فاصنع ما انت صانع فامر به الى الحبس ثم

انفذ

انفذ اليه يطالبه فارسل اليه يقول انى لست ممن يصون
ماله بعرضه فاصنع ما شئت فامر ان يكبل بالحديد فكبل
واقام شهرا اكثر للبا واكثر فاضناه ذلك واضر به وبلغ ابنة
عمه خبره فجزعت واغتمت كذلك ثم دعت مولاة لها وكانت
ذات عقل ومعرفة وقالت لها امضى الساعة الى باب هذا
الامير خزيمة ابن بشر وقولى عندى نصيحه فاذا طلبت منك
فقولى لا اقولها الا للامير خزيمة فاذا دخلت عليه فسليه
ان يخليك فاذا فعل ذلك فقولى ما هذا جزاء جابر عثرات الكرام
منك كافيته بالحبس والضيق والحديد ففعلت الجارية فلما
سمع خزيمه كلامها نادى برفيع صوته واسوتاه وانه لهو صاحبى
قالت نعم فامر من وقته بدابته فاسرجت وبعث الى اكابر و
جوه اهل البلد فجمعهم واتى بهم الى باب الحبس ففتح ودخل
خزيمة ومن معه فراه قاعدا فى قاعة الحبس متغيرا اضناه الضر
والالم فلما نظر اليه عكرمه والى الناس احشمه ذلك فنكس عكرمه
راسه فاقبل خزيمه حتى انكب على راسه فرفع عكرمة راسه
اليه وقال ما اعقب هذا منك قال كريم فعالك وسوء
مكافاتى قال يغفر الله لنا ولك ثم اتى بالحداد ففك القيود

عنه وامر خزيمة ان توضع القيود في رجل نفسه فقال ماذا
تريد قال اريد ان ينالني من الضر مثل ما نالك فقال اقسم
بالله عليك لا تفعل فخرجا جميعا حتى وصلا الى دار خزيمة فودعه
عكرمه واراد الانصراف فقال ما انت ببارح فقال وما تريد
قال اغير حالك وان حياتي من ابنة عمك اشد حياء منك
ثم امر بالحمام فاخليت ودخلاها جميعا فقام خزيمة فتولى خدمته
بنفسه ثم خرجا فخلع عليه وحمله وحمل معه مالا كثيرا ثم
سار معه الى داره واستاذنه في الاعتذار الى ابنة عمه فاعتذر
اليها وتذمم من ذلك ثم ساله بعد ذلك ان يسير معه الى
سليمان ابن عبد الملك وهو يومئذ مقيم بالرمله فدخل الحاجب
فاعلمه بقدوم خزيمة بن بشر فراعه ذلك وقال والي الجزيره
يقدم بغير امرنا ما هذا الا لحادث عظيم فلما دخل قال له قبل ان
يسلم ما وراءك يا خزيمة قال الخير يا امير المؤمنين قال فما الذي
اقدمك قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فاحببت ان اسرك به لما
رايت من تلهفك وشوقك الى رؤيته قال ومن هو قال عكرمة
الفياض قال فاذن له بالدخول فدخل وسلم على الخليفة
فرحب به وادناه من مجلسه وقال يا عكرمه ما كان خيرك الا

وبالا عليك ثم قال له سليمان اكتب حوائجك كلها وما يحتاج
اليه في رقعه ففعل ذلك وامر بقضائها من ساعته و
امر له بعشرة الاف دينار وسفطين ثيابا ثم دعا بقناة
وعقد له على [illegible] وقال له خزيمة اليك ان شئت بقيته وان شئت
عزلته قال ارده الى عمله يا امير المؤمنين ثم انصرفا من عنده
جميعا ولم يزالا عاملين لسليمان مدة خلافته والله اعلم

الثامن من الخلفاء عمر ابن عبد العزيز وذكر نوادر ايامه واخباره

امه ام عاصم بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب فهو تابعي جليل
قال الامام احمد ابن حنبل ليس احد من التابعين قوله حجة الا
عمر ابن عبد العزيز كان عفيفا زاهدا ناسكا عابدا تقيا صادقا
ازال ما كانت بنو اميه تذكر به عليا عليه السلام على المنابر
وجعل مكان ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ ولما
ولي الخلافة وفد الشعراء عليه واقاموا ببابه اياما لا يؤذن لهم
فبينما هم كذلك اذ مر بهم رجاء ابن حيوة وكان جليس عمر فلما راه
جرير داخلا قام اليه وانشد يقول

يا ايها الرجل المرخي عمامته	هذا زمانك فاستاذن لنا عمرا

ثم مر بهم عدي ابن ارطاه فقال جرير ابياتا اخرها قوله شعر

[illegible]

لا نتن حاجتنا القيت مغفرة　　قد طال مكثي عن اهلي وعن وطني

قال فدخل عدي على عمر وقال يا امير المؤمنين الشعراء ببابك و
سهامهم مسمومة واقوالهم نافذه قال ويحك يا عدي مالي والشعراء
قال اعز الله امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
قد امتدح واعطى ولك في رسول الله صلى الله عليه واله اسوة حسنة قال كيف
قال امتدحه العباس ابن مرداس السلمي فاعطاه حلة قطع بها لسانه

قال او تروي من قوله قال نعم

رايتك يا خير البرية كلها　　نشرت كتابا جاء بالحق معلنا
شرعت لنا دين الهدى بعد جورنا　　عن الحق لما اصبح الحق مظلما
ونورت بالبرهان امرا مدنسا　　واطفات بالاسلام نارا تظلما
فمن مبلغ عني النبي محمدا　　وكل امرئ يجزى بما قد تقدما
اقمت سبيل الحق بعد اعوجاجه　　وكان قديما ركنه قد تهدما

قال ويلك يا عدي من بالباب منهم قال عمرو بن ربيعة قال اليس الذي
يقول

ثم نبهتها فمدت كعابا　　طفلة ما تبين رجع الكلام
ساعة ثم انها قامت وقالت　　ويلتا قد عجلت يا ابن الكرام

فلو كان عدو الله اذ فجر كتم على نفسه لكان استر له لا يدخل علي
والله ابدا فمن بالباب سواه قال الفرزدق قال او ليس الذي

يقول

يقول هذه الابيات

هما دلتاني من ثمانين قامة　　كما انقض باز اقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الارض قالتا　　احي فيرجى ام قتيل نحاذره

لا يدخل علي ابدا فمن سواه منهم قال الاخطل قال يا عدي هو الذي يقول

ولست بصائم رمضان طوعا　　ولست بآكل لحم الاضاحي
ولست بزائر بيتا عتيقا　　بمكة ابتغي فيها صلاحي
ولست بقائم كالعير ادعو　　قبيل الصبح حي على الفلاح
ولكني ساشربها شمولا　　واسجد عند منبلج الصباح

والله لا يدخل علي ابدا وهو كافر فمن بالباب سوى من ذكرت قال
الاحوص قال هو الذي يقول

الله بيني وبين سيدها　　يفر عني بغله واتبعه

فمن بالباب دون من ذكرت ايضا قال جميل ابن معمر قال اوليس الذي يقول

فيا ليتنا نحيا جميعا فان امت　　يوافق في موتي ضريحي ضريحها

فلو كان عدو الله تمنى لقاها في الدنيا ليعمل بعد ذلك صالحا كان
اصلح والله لا يدخل علي ابدا فمن سوى من ذكرت قال جرير قال اما هو الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا　　وقت الزيارة فارجعي بسلام

فان كان ولابد هو الذي يدخل فلما مثل بين يديه قال يا جرير

اتق الله ولا تقل الا حقا فانشد قصيدته الرائية المشهورة التى
التى منها هذه الابيات

انا لنرجو اذا ما الغيث اخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة اذ كانت له قدرا ... كما اتى ربه موسى على قدر
هذى الارامل قد قضيت حاجتها ... فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
الخير ما دمت حيا لا يفارقنا ... بوركت يا عمر الخيرات من عمر

قال يا جرير ما ارى لك مما ههنا حقا قال بلى يا امير المومنين انا ابن
سبيل ومنقطع فاعطاه من طيب ماله مائة درهم قال ويحك يا
جرير قد ولينا هذا الامر ولم نملك الا ثلثمائة درهم فمائة اخذها
عبد الله ومائة اخذتها ام عبد الله يا غلام اعطه المائة الاخرى
فاخذها جرير وقال لهى احب الى مما اكتسبته ثم خرج فقال الشعراء ما
وراءك قال ما يسوءكم خرجنا من عند خليفة يعطى الفقراء ويمنع
الشعراء وانى عليه لراض وانشد يقول

رايت رقى الشيطان لا يستفزه ... وقد كان شيطانى من الجن راقيا

ومن الخلفاء هشام بن عبد الملك وذكر ما وقع فى خلافته

قال ابو الفرج الاصبهانى فى كتاب الاغانى قال يونس الكاتب خرجت
الى الشام فى خلافة هشام ابن عبد الملك ومعى جارية عاية وكنت

علمها

علمتها جميع ما تحتاج اليه وانا اقدر فيها انها تساوى مائة
الف درهم فلما قربت من الشام نزلت القافله على غدير من الماء
ونزلت ناحية منها واصبت من طعام كان معى واخرجت ركوة كان
فيها نبيذا فبينما انا كذلك اذ بفتى حسن الوجه والهيئة على فرس
اشقر ومعه خادمان فسلم على وقال اتقبل ضيفا قلت نعم فاخذت
بركابه ونزل وقال اسقنا من شرابك فسقيته وقال ان سهلت ان
تغنينى صوتا فغنيته

جاز من الحسن ما لا جازه البشر ... فلذ لى فى هواه الدمع والسهر

فطرب طربا شديدا واستقاه مرارا ثم قال قل لجاريتك فلتغن فغنت وتقول

جويرية حاز قلبى محاسنها ... فلا قضيب ولا شمس ولا قمر

فطرب طربا شديدا واستقاه مرارا ولم يزل مقيما الى ان صلينا
العشاء ثم قال ما اقدمك علينا هذا البلد قلت اردت بيع جارية
هذه قال فكم املت فيها من الثمن قلت ما اقضى به دينى واصلح
به حالى قال ثلثون الفا قلت ما احوجنى الى فضل الله والمزيد عليه
قال اتجعلها اربعون الفا قال فيها قضاء دينى وابقى صفر اليد
قال قد اخذناها بخمسين الفا من الدراهم ولك بعد ذلك
كسوة ونفقة طريقك واشركك فى حالى ابدا ما بقيت فقلت

قد بعتها قال افتثق بي ان اوصل ذلك غدا اليك واحملها
معي او تكون عندك الى ان احمل ذلك غدا اليك فحملني السكر
والحيا مع الخشية منه على ان قلت نعم قد وثقت فخذها
بارك الله لك فيها فقال لاحد غلاميه احملها على دابتك واردف
وراها وامض بها ثم ركب فرسه وودعني وانصرف فما هو الا
ان غاب عني ساعة فعرفت موضع خطاي وغلطي وقلت ماذا
اصنع بنفسي اسلم جاريتي الى رجل لا اعرفه ولا ادري من هو و
ذهبت اني ما عرفته فمن اين الصلة اليه فجلست متفكرا الى ان
صليت الصبح وقرعت الشمس وكرهت المقام وهممت بالدخول
الى دمشق ثم قلت ان دخلت لم امن ان الرسول ياتيني فلا يجدني فاكون
قد جنيت الى نفسي جناية ثانية فجلست في ظل جدار كان هناك
فلما اضحى النهار اذا احد الغلامين اللذين كانا معه قد اقبل
فما اذكر اني سررت بشيء اعظم من سروري ذلك الوقت بالنظر اليه
فقال لي يا سيدي ابطانا عليك فلم اذكر له شيئا مما كان بي ثم قال
لي تعرف الرجل قلت لا قال هو السيد الوليد ولي العهد فسكت
عند ذلك ثم قال قم فاركب فاذا معه دابة فركبنا الى ان وصلنا
دار فدخلت اليه واذا بالجارية قد وثبت وسلمت علي فقلت

ماكان

ماكان من امرك قالت انزلني هذه الحجرة وامر لي بما احتاج
اليه فجلست عندها ساعة فاذا به قد اتى خادم له فقال لي
قم فقمت فادخلني على سيدي واذا هو صاحبي بالامس وجالس
على سريره فقال من تكون فقلت له يونس الكاتب فقال مرحبا بك
قد كنت والله اليك بظمين وكنت اسمع بخبرك فكيف كان
مبيتك في ليلتك قلت بخير اعزك الله قال فلعلك ندمت
على ما كان منك البارحة وقلت دفعت جاريتي الى رجل لا اعرفه
ولا اعرف اسمه ولا من اي البلاد هو فقلت معاذ الله ايها الامير
ان اندم ولو اهديتها الى الامير كانت اقل وما قدر هذه
الجارية فقال والله لكني ندمت على اخذها منك وقلت رجل
غريب لا يعرفني وقد دهمته وتسفهت عليه لاستعجالي لاخذ
الجارية افتذكر ما بيننا قلت نعم قال بعتني هذه الجارية بخمسين
الف درهم قلت نعم قال هات يا غلام المال فوضعوه بين يديه
فقال هات يا غلام الف دينار فاتى بها ثم قال هات يا غلام
خمسمائة دينار اخرى فجاء بها ثم قال هذا ثمن جاريتك فضمه
اليك وهذه الخمسمائة دينار لنفقة طريقك وما تتباعد
لاهلك ارضيت قلت رضيت وقبلت يده وقلت والله لقد

مليت عيني ويدي ثم قال والله لم اخلوابها ولا سمعت من غناها
فجاءت فامرها بالجلوس فجلست فقال لها غني فانشدت تقول شعر

ايا من حاز كل الحسن طرا … ويا حلو الشمائل والدلال
جميع الحسن في عجم وعرب … وما في الكل مثلك يا غزال
فاعطف يا مليح على محب … بوعدك او بطيف من خيال
حلا لي فيك ذلي وافتضاحي … وطال لمقلتي سهر الليالي
وما انا فيك اول مستهام … فكم قبلي قتلت من الرجال
رضيتك لي من الدنيا نصيبا … وانت اعز من روحي ومالي

فطرب طربا شديدا وشكر حسن تاديبي لها وتعليمي اياها ثم قال
يا غلام قدم له دابة بسرجها والتها لركوبه وبغلا يحمل جوائزه
وثقله ثم قال يا يونس اذا بلغك ان الامر قد افضى الي فالحق
بي فوالله لاملأن لك يدك ولاعلين قدرك ولاغنينك ما بقيت
قال فاخذت المال وانصرفت فلما افضت الخلافة اليه سرت
اليه فوفى الله بوعده وزاد في اكرامي وكنت معه على اجل حال
واسنى منزلة وقد انتعشت احوالي وكثرت اموالي وصار لي من الضياع
والاملاك ما يكفيني الى مماتي ويكفي من بعدي ولم ازل معه حتى قتل

ومن مآثر الهاشمية في فضايل الخلفاء

انه

ما نقل انه لما حج ايام ابيه هشام طاف بالبيت وجهد ان يصل الى الحجر
الاسود ليستلمه فلم يقدر عليه لكثرة الزحام فنصب له منبر وجلس عليه
لينظر الى الناس ومعه جماعة من اهل الشام فبينما هو كذلك اذ اقبل زين
العابدين علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب عليهم السلام وكان
من احسن الناس وجها واطيبهم ارجا فطاف بالبيت فلما انتهى الى الحجر
الاسود تنحى له الناس حتى استلم فقال رجل من اهل الشام من هذا فكان
الفرزدق حاضرا فقال انا والله اعرفه فقال الشامي من هو يا ابا فراس فقال

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته … والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم … هذا التقي النقي الطاهر العلم
اذا راته قريش قال قائلها … الى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمي الى ذروة العز التي قصرت … عن دركها عرب الاسلام والعجم
يكاد يمسكه عرفان راحته … ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم
في كفه خيزران عرفه عبق … من كف اروع في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته … فما يكلم الا حين يبتسم
ينشق نور الهدى من نور غرته … كالشمس ينجاب عن اشراقها القتم
مشتقة من رسول الله نبعته … طابت عناصره والخيم والشيم
هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله … بجده انبياء الله قد ختم

كلتا يديه غياث عم نفعهما … يستوكفان ولا يعروهما عدم
عم البرية بالاحسان فانقشعت … عنه الغياهب والاملاق والعدم
من معشر حبهم دين وبغضهم … كفر وقربهم منجا ومعتصم
ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم … او قيل من خير اهل الارض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم … ولا يدانيهم قوم وان كرموا
لا ينقص العسر بسطا من اكفهم … سيان ذلك ان اثروا وان عدموا
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم … في البر والبحر مختوم به الكلم
يابى لهم ان يحل الذل ساحتهم … حم كريم وايد بالندا هضموا
اي الخلائق ليست في رقابهم … لاولية هذا اوله نعم
من يعرف الله يعرف اولية ذا … والدين من بيت هذا ناله الامم
ما قال لا قط الا في تشهده … لولا التشهد كانت لاؤه نعم

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب وحبس الفرزدق فانفذ له سيد المتقين وزين العابدين اثني عشر الف درهم فردها وقال مدحته لله لا للعطاء والصلاة فقال سيد السجاد عليه السلام انا اهل بيت اذا وهبنا شيئا لا نستعيده فقبلها الفرزدق انتهى

ومن محاضرات الكلادوي ماثر الفصحاء والبلغاء

ان هشام ابن عبد الملك كان ذات يوم في صيد وقنصه اذ نظر الى صبي يتبعه الكلاب فتبعه واحاله الى خباء اعرابي يرعى غنما فقال هشام يا صبي دونك هذا الصبي فاسى فرفع الصبي راسه اليه وقال له يا جاهلا بقدر الاخيار لقد نظرت الي باستصغار واحتقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال له هشام يا صبي ويلك ما تعرفني قال قد عرفني بك سوء ادبك اذ بدأتني بكلامك قبل سلامك فقال له ويلك انا هشام ابن عبد الملك فقال الاعرابي لا قرب الله دارك ولا حيى مزارك ما اكثر كلامك واقل اكرامك فما استتم كلامه حتى احدقت به الجيوش من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا امير المؤمنين فقال لهم هشام اقصروا الكلام واحفظوا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام الى قصره وجلس في مجلسه فقال علي بالغلام البدوي فلما راى الغلام كثرة الغلمان والحجاب والوزراء والكتاب وابناء الدولة وارباب الصولة لم يكترث ولم يسال عنهم بل جعل ذقنه على صدره وينظر حيث تقع رجلاه الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه ونكس راسه الى الارض وسكت الغلام وامتنع من الكلام

فقال له بعض الخدام يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على امير
المؤمنين فالتفت اليه مغضبا وقال يا بردعة الحمار منعني من ذلك
طول الطريق ونهز الدرجة والتعويق فقال وقد تزايد ما به
من الغضب يا صبي لقد حضرت في يوم حضر فيه اجلك وخاب
فيه املك وانصرم فيه عمرك فقال الصبي والله يا هشام الان
كان في المدة تاخير لا يضرني من كلامك قليل ولا كثير فقال له
الحاجب بلغ من امرك ومحلك يا اخس العرب ان تخاطب امير المؤمنين كلمة بكلمة
فقال مسرعا لك الحبل والجلل ولامك الويل والهبل اما سمعت ما
قال الله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها فاذا كان الله تعالى
يجادل جدالا فمن هشام حتى لا يخاطب خطابا فعند ذلك قام
هشام واغتاظ غيظا شديدا وقال يا سياف علي براس هذا
الغلام فقد اكثر الكلام فيما لا يخطر على الاوهام فاخذ الصبي وترك
في نطع الدم وسل سيف النقم على راسه وقال السياف يا امير المؤمنين
عبدك المدل بنفسه المغلب في رمسه اضرب عنقه وانا بري من دمه
قال نعم فاستاذن الثانية فاذن فاستاذن ثالثه فهم
ان ياذن له فضحك الصبي حتى بدت نواجذه فازداد منه تعجبا
وقال يا صبي اظنك معتوها ترى انك مفارق الدنيا ونازل الجوع

وانت تضحك هزءا بنفسك فقال يا امير المؤمنين لئن كان
في المدة تاخير ولم يكن في الاجل تقصير ما ضرني
من كلامك لا قليل ولا كثير ولكن ابياتا حضرت الساعة
فاسمعها فقتلي لا يفوت وان اكثر الصوت فقال هشام
هات واوجز فهذا اول وقتك من الاخرة واخر وقتك
من الدنيا فانشا يقول هذه الابيات

نبئت ان الباز علق مرة … عصفور بر ساقه المقدور
فتعلق العصفور في اظفاره … والباز منهمك عليه يطير
مثلي فما يغني لمثلك جوعه … ولئن اكلت فانني لحقير
فتبسم الباز المدل بنفسه … طربا واطلق ذلك العصفور

قال فتبسم هشام وقال وقرابتي من رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم لو تلفظ بهذا اللفظ من اول وقت من
اوقاته وطلب ما دون الخلافة لاعطيته يا خادم احش فاه درا
وجوهرا واحسن جايزته ودعه يمضي الى سبيله انتهى

وقيل وفد عروة ابن اذينة على هشام ابن عبد الملك فشكى اليه فقره
فقال الست القائل شعرا

لقد علمت وما الاسراف من خلقي … ان الذي هو من رزقي سياتيني

اسعى اليه فيعيني تطلبه ⁂ وان قعدت اتاني لا يعنيني

وخرجت الان من الحجاز الى الشام في طلب الرزق قال يا امير المؤمنين

وعظت فابلغت وخرج فركب ناقته وكر راجعا الى الحجاز فلما

كان من الليل نام هشام على فراشه فذكر عروة فقال رجل من

قريش قال حكمة ووفد علي فرديته خائبا فلما اصبح وجه

اليه بالفي دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينه

فاعطاه المال فقال ابلغ عني امير المؤمنين السلام وقل له

كيف رايت قولي سعيت فاكديت فرجعت خائبا فجلست في

داري فاتاني رزقي الى منزلي

ابتداء الدولة العباسية وما وقع في ايام خلافتهم من محاسن اخلاقهم

وطرائف افعالهم ولطائف احوالهم وما جرت فيهم للشعراء وغيرهم

كان القائم لهذه الدولة ابو مسلم الخراساني كان اسمه

فمن عبد الرحمن ابن مسلم قوله

ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت ⁂ عنه ملوك بني مروان اذ حشدوا

ما زلت اسعى بجهدي في دمارهم ⁂ والقوم في غفلة والناس قد رقدوا

حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا ⁂ من نومة لم ينمها قبلهم احد

ومن رعى غنما في ارض مسبعة ⁂ ونام عنها تولى رعيها الاسد

اولهم ابو عبد الله السفاح

ذكر ابن الجوزي في كتاب الاذكيا عن خالد ابن صفوان انه دخل

يوما على ابي العباس السفاح وليس عنده احد فقال يا امير

المؤمنين اني والله ما زلت منذ قلدك الله خلافته اطلب

ان اصير معك الى مثل هذا الموقف في الخلوة فان راى امير

المؤمنين ان يامر بامساك الباب فعل حتى نفرغ فامر الحاجب

بذلك فقال يا امير المؤمنين اني فكرت في امرك واجلت

الفكر فيك ولم ارى احدا له قدرة واتساع في الاستمتاع

بالنساء ولا اضيق فيهن عيشا منك انك ملكت نفسك لمراة

من نساء العالمين فاقتصرت عليها فان مرضت مرضت وان غابت

غبت وان عزلت عزلت وحرمت يا امير المؤمنين على نفسك التلذذ

بالنظر باستظراف الجواري ومعرفة اختلاف احوالهن والتلذذ

بما تشتهي منهن فان منهن الطويلة التي تشتهي لحسنها والبيضا

التي تحب لرؤيتها والسمرا اللعساء والصفراء الذهبية

ومولدات المدينة والطايف واليمامة ذوات الالسن العذبة

والجواب الحاضر وبنات ساير الملوك وما يشتهي من نظارتهن

ونظافتهن وفصاحتهن وتحلل خالد لسانه فاطنب في صفات ضروب

الجواري وشوقه اليهن فلما فرغ من كلامه قال له السفاح
ويلك املأت سامعي ما اشغل خاطري والله ما سلك سامعي
كلام احسن من هذا فاعد علي كلامك فقد وقع مني موقعا
فاعاد عليه خالد كلامه باحسن مما ابتدأ به فقال له انصرف فا
نصرف وبقي ابو العباس مفكرا فدخلت عليه ام سلمه زوجته وكان
قد حلف لها ان لا يتزوج عليها ولا يتخذ عليها سرية ووفى لها
فلما رأته على تلك الحالة قالت له اني لانكرك يا امير المؤمنين
فهل حدث شيء تكرهه او اتاك خبر ارتعت له قال لا فلم تزل
به حتى اخبرها بمقالة خالد قالت وما قلت لابن الفاعلة فقال
ابنصحني وتشتمه فخرجت الى مواليها وامرتهم بضرب خالد قال
فخرجت من الدار مسرورا بما القيت الى امير المؤمنين ولم اشك
في الصلة فبينما انا واقف اذ اقبلوا يسالون عني فحققت الجائزة
فقلت لهم ها انا واقف فاستبق الي احدهم بخشبة فغمزت برذوني
فلحقني وضرب كفل البرذون وركضت ففتهم واستخفيت في
منزلي اياما ووقع في قلبي اني اتيت من ام سلمة فبينما انا ذات يوم
جالسا في المنزل فلم اشعر الا بقوم قد هجموا علي فقالوا اجب
امير المؤمنين فسبق الى قلبي انه الموت فقلت انا لله وانا اليه راجعون

لم اردم

لم ار دم شيخ اضيع من دمي ثم قالوا فركبت الى دار امير
المؤمنين فاصبته جالسا ولحظت في المجلس بيتا عليه
ستور رقاق وسمعت حسا خفيفا خلف الستر فاجلسني ثم قال يا
خالد انت وصفت لامير المؤمنين صفة فاعدها فقلت يا امير
المؤمنين اعلمتك ان العرب انما اشتقت اسم الضرتين الا من الضر
وان احدا لم يكثر من النساء اكثر من واحدة الا كان في ضرر
وتنغيص قال السفاح لم يكن هذا من كلامك قلت بلى يا امير
المؤمنين واخبرتك ان الثلاث من النساء يدخلن على الرجل
البؤس وتشيب الرؤوس فقال برئت من رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم ان كنت سمعت هذا منك ولا مر في
حديثك قلت بلى يا امير المؤمنين واخبرتك ان الاربع من
النساء شر مجتمع لصاحبهن يشيبنه ويهرمنه قال والله ما
سمعت هذا منك اولا قلت يا امير المؤمنين ان ابكار الاماء
رجال الا انه ليست لهن خصا قال خالد فسمعت ضحكا خلف
الستر ثم قلت ان عندك ريحانة قريش وانت تطمح بعينك الى
النساء والجواري فقيل لي من وراء الستر صدقت والله
يا عماه هذا حديثك ولكنه غير حديثك ونطق بما في خاطره

على لسانك فقال السفاح مالك قاتلك الله قال خالد
فانسللت وخرجت فبعثت الى ام سلمة عشرة الاف درهم وبرذون

ومن الحذاقة في المسألة التي تطلب ما يروى

عن ابي دلامة الشاعر انه كان واقفا بين يدي السفاح في بعض
الايام فقال سلني حاجتك فقال ابو دلامة اريد كلب صيد
فقال اعطوه اياه وقال دابة اتصيد عليها فقال اعطوه
دابة فقال وغلام يقود الكلب والصيد فقال اعطوه
غلاما فقال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه فقال اعطوه
جارية فقال هؤلاء يا امير المؤمنين عيال ولا بد من دار يسكنوها
فقال اعطوه دارا تجمعهم ثم قال وان لم تكن لهم ضياع فمن
اين يعيشوا فقال قد اقطعتك عشرة ضياع عامرة وعشرة ضياع
غامرة قال وما معنى الغامرة يا امير المؤمنين قال ما لا نبات
فيه قال انا قد اقطعتك يا امير المؤمنين مائة غامرة من فيافي
بني سعد فضحك منه وقال اعطوها كلها عامرة قال الجاحظ
فانظر الى حذقه في المسألة ولطفه فيها ابتدا بكلب صيد
فسهل القضية وجعل ياتي بمسائله على ترتيب وفكاهة
حتى نال ما سئله ولو سئل ذلك بديهة لما وصل اليه فبارك الله فيه

ومن مكارم الاخلاق في الكرم والعفو

روى عن الحسن ابن الحسين قال لما افضت الخلافة الى بني العباس
كان من جملة من اختفى ابرهيم ابن سليمان ابن عبد الملك فلم يزل
مختفيا الى ان مضى الاختفاء فاخذ له امانا من السفاح وكان
ابرهيم رجلا اديبا بليغا من المحاضرة فحظي عند السفاح فقال
له يوما لقد مكثت زمانا طويلا مختفيا فحدثني باعجب ما رايته
في اختفائك فانها ايام تكدير فقال يا امير المؤمنين وهل تسمع
باعجب من حديثي لقد كنت مختفيا في منزل انظر منه الى البطحاء فبينما
انا على ذلك اذ باعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوقع
في ذهني انها خرجت تطلبني فخرجت متنكرا فوالله ما اعرف بها احدا
فاتيت الكوفة من غير الطريق وانا متحير واذا انا بباب كبير في
رحبة متسعة فدخلت لتلك الرحبة فوقفت قريبا من الدار واذا
برجل حسن الهيئة وهو راكب فرسا ومعه جماعة من اصحابه و
غلمانه فدخل الرحبة فرآني واقفا مرتابا فقال لي الك حاجة
فقلت غريب خائف من القتل قال ادخل فدخلت الى حجرة
من داره فقال هذه لك وهيأ لي ما احتاج اليه من فرش
وانية ولباس وطعام وشراب واقمت عنده والله ما سالني

فظ من انا ولا ممن اخاف وهو فى اثناء ذلك يركب فى كل يوم
ويعود متغوبا متاسفا كانه يطلب شيئا فاته ولم يجده
فقلت له يوما اراك تركب فى كل يوم وتعود متاسفا كانك
تطلب شيئا فاتك فقال ان ابرهيم بن سليمان بن عبد الملك قتل ابى وقد
بلغنى انه مختفى وانا اطلبه لعلى اجده اخذ بثارى منه فتعجب
والله يا امير المؤمنين غاية العجب من هربى وشوم بختى الذى
ساقنى الى منزل رجل يريد قتلى ويطلب ثارى منى فكرهت
الحيوة واستعجلت الموت لما نالنى من الشدة فسألت الرجل
عن اسم ابيه وعن سبب قتله فعرفت الخبر فوجدته صحيحا فقلت
يا هذا قد وجب على حقك وان من حقك ان ادلك على قاتل ابيك
واقرب منه الخطوة واسهل عليك ما بعد فقال اتعلم
اين هو قلت نعم فقال اين هو فقلت والله انا هو فخذ بثارك
منى فقال اظن ان الاختفاء مضك فكرهت الحيوة قلت نعم
والله انا قتلته يوم كذا وكذا فلما علم صدقى تغير لونه و
احمرت عيناه واطرق ساعة الى وقال اما انك سيلقاك
غدا يوم القيمة فيحاكمك عند من لا تخفى عليه خافيه واما
انا فليس بمخفر ذمتى ولا مضيع نزيلى ولكن اخرج عنى فانى لا امن نفسى

عليك

عليك بعد اليوم ثم ربت يا امير المؤمنين الى صندوق فاخرج
صرة فيها خمسمائة دينار وقال خذ هذه واستعن بها
على اختفائك فكرهت اخذها وخرجت من عنده وهو اكرم من

ومن اثر المحاضرة رايت فتى التفاح يهتز طربا وانحسر الكمامه

عن الهيثم بن عدى قال كان ابو العباس يعجبه السمر ومنازعة
الرجال للخصر ذات يوم فى سمره ابراهيم بن مخرمة الكندى
وناس من بنى الحارث بن كعب وهم اخوال السفاح خالد بن صفوان ابرهيم التميمى
فخاضوا فى الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم
يا امير المؤمنين ان اليمن هم العرب الذى كانت لهم الدنيا
وكانت لهم القرى ولم يزالوا ملوكا اربابا وورثوا ذلك
كابرا عن كابر واولا عن اخر منهم النعمانيان والمنذريان
والقابوسيان ومنهم من حمته الدبر ومنهم غسيل الملائكة
ومنهم من اهتز لموته العرش ومنهم من كلم الذئب ومنهم الذى
كان ياخذ كل سفينة غصبا وليس من شىء له خطر الا واليهم ينسب
من فرس رايع او سيف قاطع او درع حصينة او حلة مصونة
او درة مكنونة ان سئلوا اعطوا وان سيموا ابوا وان نزل
بهم ضيف قروا لا يبلغهم مكاثر ولا يدانيهم مفاخر العرب العرباء

وغيرهم المتغربة قال ابو العباس السفاح ما اظن التيمي يبوئك
ثم قال ما تقول يا خالد قال ان اذنت لي في الكلام وامنتني
من المواخذة تكلمت قال اذنت لك في الكلام فتكلم ولا تهب
احدا فقال اخطأ يا امير المؤمنين المتقحم بغير علم ونطق بغير صواب
فكيف يكون ما قال وان القوم ليست لهم السن فصيحة ولا لغة صحيحة
ولا حجة رجيحة نزل بها كتاب ولا جاءت لها سنة وهم منا
على منزلتين ان جازوا عن قصدنا اكلوا وان جاوزوا احكمنا قتلوا
يفخرون علينا بالنعمانيات والمنذريات وغير ذلك مما سنأتي
عليه ونفخر عليهم بخير الانام واكرم الكرام محمد عليه افضل
الصلوة والسلام ولله المنة علينا وعليهم لقد كانوا اتباعه وبه
عزوا ولد اكرموا فمنا النبي صلى الله عليه واله وسلم ومنا
الخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور والمسعى وزمزم والمقام
والمنبر والركن والحطيم والمشاعر والحجاب والبطحاء مع ما لا يخفى
من المآثر ولا يدرك من المفاخر وليس يعدل بنا عادل ولا يبلغ
فضلنا قول قائل ومنا الصديق والفاروق والوصي واسد الله
وسيد الشهداء وذو الجناحين وسيف الله عرفوا الله تعالى
واتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه ثم

التفت فقال اعالم انت بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين
قال الجحمة قال فما اسم السن قال الميدن قال فما اسم الاذن
قال الصنارة قال فما اسم الاصابع قال الشناتر قال فما اسم
اللحية قال الذنب قال فما اسم الذئب قال الكتع قال فمؤمن
انت بكتاب الله قال نعم قال انا انزلناه قرانا عربيا لعلكم
تعقلون وقال تعالى بلسان عربي مبين وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا
بلسان قومه فنحن العرب والقران بلساننا نزل الم تر ان الله
تعالى قال العين بالعين ولم يقل الجحمة بالجحمة وقال
السن بالسن ولم يقل الميدن بالميدن وقال الاذن
بالاذن ولم يقل الصنارة بالصنارة وقال يجعلون اصابعهم
في اذانهم ولم يقل شناترهم وقال لا تاخذ بلحيتي ولا براسي ولم
يقل بذنبي وقال تعالى ياكله الذئب ولم يقل ياكله الكتع
ثم قال اسالك عن اربع ان انت اقررت بهن قهرت وان جحد
تهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا او منكم قال منكم
قال فالقران نزل علينا او عليكم قال عليكم قال فالبيت
الحرام لنا او لكم قال لكم قال فالخلافة فينا او فيكم قال فيكم
قال خالد فما كان بعد هذه الاربع فلكم

ذكر خلافة ابي جعفر المنصور وما وقع في ايام دولته

هو اخو العباس السفاح وثاني بني العباس قيل انه كان يحفظ الشعر من مرة وله مملوك يحفظه من مرتين وكانت له جارية تحفظه من ثلاثة مرات وكان بخيلا جدا حتى انه كان يلقب بالدوانيقي لانه كان يحاسب على الدانق فكان اذا جاءه شاعر بقصيدة قال له ان كانت مطروقة بان يكون واحد يحفظها او احد انشاها اي بان اتى بها احد قبلك فلا نعطيك بها جائزة وان لم يكن تحفظها نعطيك زنة ما هي مكتوبة فيه فيقرا الشاعر القصيدة فيحفظها الخليفة من مرة ولو كانت الف بيت ويقول للشاعر اسمعها مني وينشدها بكمالها ثم يقول وهذا المملوك يحفظها وقد سمعها المملوك مرتين مرة من الشاعر ومرة من الخليفة فيقراها ثم يقول الخليفة وهذه الجارية التي خلف الستارة تحفظها ايضا وقد سمعتها الجارية ثلاث مرات فتقراها بحروفها فيذهب الشاعر بغير شيء وكان الاصمعي من جلسائه وندمائه فنظم ابياتا صعبة وكتبها في عمود ولفها في عباءة وجعلها على ظهر بعير وغير الاصمعي حليته في صفة اعرابي غريب وضرب له لثام ولم يبن منه

غير عينيه وجاء الى الخليفة وقال اني امتدحت امير المؤمنين بقصيدة فقال يا اخا العرب ان كان لغيرك لا نعطيك عليها جائزة والا نعطيك زنة ما هي مكتوبة فيه فانشد الاصمعي هذه القصيدة

صوت صفير البلبل ... هيج قلبي الثمل
الماء والزهر معا ... مع زهر لحظ المقل
وانت يا سيد لي ... وسيدي ومولى لي
وكم وكم تيمني ... غزيل عقيقلي
قطفت من وجنته ... بالثم ورد الخجل
فقلت بس بسني ... فلم يجد بالقبل
وقال لا لا لا لا ... وقد غدا مهرولي
والجود مال طربا ... من فعل هذا الرجل
وولولت ولولت ... ولي ولي ويل ولي
فقلت لا تولولي ... وبيني اللولو لي
لما رأته اشمطا ... يريد غير القبل
وبعدها ما يكتفي ... الا بطيب الوصل
قالت له حين كذا ... انهض وجد بالنقل

وقينه شقيني	فهيوة كالعسل
شممتها في انفي	ازكى من القرنفل
في بستان حسن	باللزهر والسرولي
والعود دندن دندن	والطبل طبطبطبلي
والرقص ارطب طبطب	والشفو سقسقسقلي
شوا وا سووا ساهووا	على ورق سفرجل
وغرد القمري يصيح	من ملل في ملل
فلو تراني راكبا	على حمار اقزل
يمشي على ثلاثة	لمشية العرنجل
والناس ترجمني	في السوق بالقلقلل
والكل كعكعكع	خلفي ومن حوللي
لكن مشيت هاربا	من خشية العقيقل
الى لقاء ملك	معظم مبجل
يامرلي بخلعة	حمراء كالدململي
احر فيها مادبا	ببغداد كالدبلي
انا الاديب الالمعي	من حي ارض الموصل
نظمت قطعا زخرفت	صوت صغير البلبل

فلم

قال فلم يحفظها الملك لصعوبتها ونظر الى المملوك والى الجارية فلم يحفظها احد منهما فقال يا اخا العرب هات ما كتبت فيه نعطيك زنته فقال يا امير المؤمنين اني لم اجد ورقا اكتب فيه وكان عندي قطعة عمود من رخام من عهد ابي وهو ملقى ليس لي بها حاجة فنقشتها فيه فلم يسع الخليفة الا انه اعطاه وزنها ذهبا فنفد ما في خزائنه من المال فاخذه وانصرف فلما ولى قال الخليفة يغلب على ظني ان هذا الاصمعي فاحضره وكشف عن وجهه فاذا هو الاصمعي فتعجب منه ومن صنعه واجازه على عادته ثم قال يا امير المؤمنين ان الشعراء فقراء واصحاب عول وانت تمنعهم العطا بشدة فهمك وهذا المملوك وهذه الجارية اذا اعطيتهم ما تيسر ليستعينوا على عيالهم لم يضرك انتهى

ومن احسن الكلام في المخاطبة في الموعظة والنصيحة ما ذكر في الجواهر

من الغزالي وابن بليان وغيرهما ان ابا جعفر المنصور حج ونزل في دار الندوة وكان يخرج سحرا فيطوف بالبيت فخرج ذات ليلة سحرا فبينما هو يطوف اذ سمع صوتا يقول اَللّٰهُمَّ اِنِّيْ اَشْكُوْا اِلَيْكَ ظُهُوْرَ اَلْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْاَرْضِ وَمَا يَحُوْلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَاَهْلِهِ مِنَ الطَّمَعِ فهرول المنصور في مشيته حتى ملأ اسمعه ثم رجع الى دار الندوة وقال

لصاحب شرطته ان رجلا بالبيت يطوف فائتني به فخرج صاحب
الشرطة فوجد رجلا عند الركن اليماني فقال اجب امير المؤمنين
فلما دخل عليه قال ما الذي سمعتك انفا تشكوا الى الله من ظهور
البغي والفساد في الارض وما يحول بين الحق واهله من الطمع
فوالله لقد حشوت مسامعي ما امرضني فقال له يا امير المؤمنين
ان الذي دخله الطمع حتى حال بين الحق واهله وامتلأت بلاد
الله بذلك بغياً وفساداً انت فقال المنصور ويحك ما هذا كيف
يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء ببابي وملك الارض في
قبضتي فقال الرجل سبحان الله يا امير المؤمنين وهل داخل
احد من الطمع ما داخلك استرعاك الله امور المؤمنين و
اموالهم واتخذت بينك وبين رعيتك حجابا من الجص والاجر
وحجبت معهم السلاح وامرت ان لا يدخل عليك الا فلانا
وفلانا نفرا استخلصتهم لنفسك وامرتهم على رعيتك ولم تامر
بايصال المظلوم ولا الجايع ولا العاري ولا احدا الا وله في
هذا المال حق فلما راك هؤلاء الذين استخلصتهم لنفسك
واثرتهم على رعيتك تجمع الاموال ولا تقسمها قالوا هذا خان
الله ورسوله فما لنا لا نخونه فاجمعوا ان لا يصل اليك من اموال

الناس

الناس الا ما ارادوا فصار هؤلاء شركاؤك في سلطانك
وانت غافل عنهم فاذا جاء المظلوم الى بابك وجدك
او قفت رجلا ينظر في مظالم من بطانتك على صاحب المظالم
بالمظلوم وسوف من وقت الى وقت فاذا اجتهدت وظهرت انت
صرخ بين يديك فيضرب ضربا شديدا ليكون نكالا لغيره
وانت ترى ذلك ولا تنكر ولقد كان الخلفاء من قبلك
من بني امية اذا اتت اليهم الظلامة ازيلت في الحال ولقد
كنت سافرت الى الصين يا امير المؤمنين فقدمت مرة
فوجدت به الذي قد فقد سمعه فبكى فقال له وزراؤه
ما يبكيك ايها الملك لا ابكى الله عينيك فقال والله ما
بكيت لمصيبة نزلت علي وانما ابكي لمظلوم يصرخ بالباب
فلا اسمع ثم قال ان كان سمعي قد ذهب فان بصري لم يذهب
نادوا في الناس لا يلبس احد ثوبا احمر الا مظلوما وكان يركب الفيل
طرفي النهار ويدور في البلد لعله يجد احدا لابسا ثوبا
احمر فيعلم انه مظلوم فينصفه هذا يا امير المؤمنين رجل مشرك
غلبت عليه رافته على شح نفسه بالمشركين وانت مؤمن
بالله ورسوله وابن عم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم

يا امير المؤمنين انما تجمع المال لاحدى ثلث ان قلت انما
اجمع المال لمصالح الملك فقد اراك الله عبرة في الملوك و
القرون من قبلك ما اغنى عنهم ما اعدوا من الاموال والكراع
والرجال حين اراد الله بهم ما اراد وان قلت انما اجمعه
للولد فقد اراك الله عبرة فيمن تقدم ممن جمع المال للولد فلم
يغن ذلك عنهم بل ربما مات فقيرا ذليلا حقيرا وان قلت انما
اجمعه لغاية هي احسن من الغاية التي انت فيها فوالله مافوق
منزلتك الا منزلة لم تدرك الا بالعمل الصالح فبكى المنصور
بكاء شديدا ثم قال وكيف اعمل وقد فرت مني العباد لم يقربني
والصالحون ولم يدخلوا علي فقال يا امير المومنين سهل
الحجاب وانصر للمظلوم وخذ المال مما حل وطاب واقسمه
بالحق والعدل وانا ضامن من هرب ان يعود اليك فقال
المنصور نفعل ان شاء الله تعالى وجاء المؤذن فاذن بالصلوة
فقام وصلى فلما قضى صلوته طلب الرجل فلم يجده فقال
لصاحب شرطته علي بالرجل الساعة فخرج يطلبه فوجده عند
الركن فقال له اجب امير المومنين فقال ليس له الى ذلك
سبيل فقال اذا يضرب عنقي فقال ولا الى ضرب عنقك

من سبيل

من سبيل ثم اخرج من مرود كان معه ورقا مكتوبا فقال خذ
هذه فان فيه دعاء الفرج من دعى به صباحا ومات من يومه
مات شهيدا ومن دعى به مساء ومات من ليلته مات شهيدا
وذكر له فضلا عظيما وثوابا جزيلا فاخذه صاحب الشرطه واتى
المنصور فلما راه قال له ويلك او تحسن السحر قال لا والله يا
امير المؤمنين ثم قص عليه القصه فامر المنصور بنقله وامر له
بالف دينار وهو هذا اَللّٰهُمَّ كما لَطُفْتَ فِي عَظَمَتِكَ دُونَ
اللُّطَفَاءِ وَعَلَوْتَ بِعَظَمَتِكَ عَلَى الْعُظَمَاءِ وَعَلِمْتَ مَا تَحْتَ
اَرْضِكَ كَعِلْمِكَ بِمَا فَوْقَ عَرْشِكَ وَكَانَتْ وَسَاوِسُ الصُّدُورِ
كَالْعَلَانِيَةِ عِنْدَكَ وَعَلَانِيَةُ الْقَوْلِ كَالسِّرِّ فِي عِلْمِكَ وَانْقَادَ
كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِكَ وَخَضَعَ كُلُّ ذِي سُلْطَانٍ بِسُلْطَانِكَ
وَصَارَ اَمْرُ الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ كُلُّهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا اَللّٰهُمَّ اِنَّ عَفْوَكَ
عَنْ ذُنُوبِي وَتَجَاوُزَكَ عَنْ خَطِيئَتِي وَسَتْرَكَ عَلَى قَبِيحِ عَمَلِي اَطْمَعَنِي
اَنْ اَسْئَلَكَ مَا لَا اَسْتَوْجِبُهُ مِنْكَ مِمَّا قَصَّرْتُ فِيهِ مِنْ حَقِّكَ
اَدْعُوكَ اٰمِنًا وَاَسْئَلُكَ مُسْتَاْنِسًا فَاِنَّكَ الْمُحْسِنُ اِلَيَّ وَاَنَا
الْمُسِيءُ اِلَى نَفْسِي فِي مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَتَحَبَّبُ اِلَيَّ بِالنِّعَمِ وَاَتَبَغَّضُ
اِلَيْكَ بِالْمَعَاصِي وَلٰكِنَّ الثِّقَةَ بِكَ حَمَلَتْنِي عَلَى الْجُرْاَةِ عَلَيْكَ

بيدك اجعل لي من كل هم وغم اصبحت وامسيت فيه

عليك فعد بفضلك واحسانك علي انك انت الرؤوف الرحيم

ومن محاورة النساء في حيلتهن في الحسد

ما حدث عبد الله التناخي قال دخل ابن ابي ليلى القاضي
على ابي جعفر المنصور فقال ابو جعفر ان القاضي قد يرد عليه
من طرائق الناس ونوادرهم امور فان كان ورد عليك شي فحدثني
فقد طال على نومي قال والله يا امير المؤمنين قد ورد منذ ثلاثة
ايام امر ما ورد على مثله اتتني عجوز يكاد ان تنال الارض بوجهها
او تسقط من انحنائها فقالت انا بالله وبالقاضي ان تاخذ لي بحقي
وتعينني على خصمي قلت ومن خصمك قالت ابنة اخ لي فدعوت
بها فجاءت امراة ضخمة ممتلئة شحما فجلست منبهرة فذهبت
العجوز تتكلم فقالت الشابة اصلح الله القاضي مرها فلتسكت
حتى اتكلم بحجتي وحجتها فان لحنت بشيء فلترد علي وان اذنت لي
اسفرت فقالت العجوز ان اسفرت فضحت لها فقلت لها اسفري
فاسفرت عن وجه الله ما ظننت ان يكون مثله الا في الجنة
فقالت اصلح الله القاضي هذه عمتي مات والدي وتركني
يتيمة في حجرها فربتني فاحسنت التربية حتى اذا بلغت مبلغ النساء
قالت لي يا بنية هل لك في التزويج قلت ما اكره ذلك يا عمة

قالت

قالت العجوز نعم قالت فخطبني وجوه اهل الكوفة فلم ترض الا رجلا
صيرفيا فزوجني فكنا كانا ريحانتين ما يظن ان الله خلق غيري وما
اظن ان الله خلق غيره يغدو الى سوقه ويروح علي بما رزقه الله
فلما رات العمة موقعه مني وموقعي منه حسدتنا على ذلك
وكانت لها ابنة فتوفقتها وهيأتها لدخول زوجي فوقعت
عينه عليها فقال يا عمة هل لك ان تزوجني ابنتك قال نعم
بشرط فقال لها وما الشرط قالت ان تصير امر ابنة اخي الي
قال قد صيرت امرها اليك قالت فاني قد طلقتها ثلاثا وزوجت
ابنتها من زوجي فكان بعد يغدو عليها ويروح فقلت لها
يا عمة اتاذني ان انتقل عنك قالت نعم فانتقلت عنها وكان لعمتي
زوج غايب فقدم فلما توسط منزلها قال ما لي لا ارى
ربيبتنا قالت تزوجت وطلقها زوجها فانتقلت عنا فقال
ان لها من الحق علينا ما نعزيها بمصيبتها فلما بلغني مجيئه
الي تهيأت له وتشوقت فلما دخل علي عزاني بمصيبتي ثم قال
ان فيك بقية من الشباب فهل لك ان اتزوج بك قلت
ما اكره ذلك ولكن على شرط قال لي وما الشرط قلت ان
تصير امر عمتي بيدي قال فاني قد فعلت قلت فاني قد طلقتها

ثلاثا البتة فقدم على بنقله من الاثاث والغذاء ومعه ستة
الاف درهم فاقام عندى ما اقام ثم اعتل وتوفى فلما انقضت
عدتى جاء زوجى الاول الصيرفى يعزينى بمصيبتى فلما بلغنى
مجيئه تهيئات وتشوفت له فلما دخل على قال يا فلانة انك
لتعلمين انك اعز الناس على واحبهم الى وقد حل لنا المراجعة
فهل لك فى ذلك قلت ما اكره ذلك ولكن اجعل امر ابنة
عمى بيدى قال فانى قد فعلت قلت فانى قد طلقتها
ثلاثا البتة اصلح الله القاضى فرجعت الى زوجى فما استعدى
عليها قالت العجوز انا فعلت مرة وهى فعلت مرة بعد اخرى
فقلت ان الله تعالى لم يوقت فى هذا وقتا وقد قال الله تعالى
وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ فواحدة
بواحدة والبادى اظلم فقال القاضى ان زوج العمة لم يكن
له ان يتزوج ابنة اخيها وهى فى حبالته فارادت الجارية ان
تتولى التفريق بينه وبينها استيفاء ومجازاة لها على فعلها
فقوى الى زمان العدل وانصاعد كرها ما جرى على ملك النوبة من ذلك انتهى
قيل ذكر المنصور يوما فى مجلسه زوال ملك بنى امية
وما جرى عليهم وانهم عاشوا سعداء وما توا فقراء فقال

اسمعيل

اسمعيل بن على الهاشمى ان عبد الله ابن مروان بن محمد فى
حبسك وله قصة مع ملك النوبة فاحضره واسأله عنها
فاحضره فقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته
فقال المنصور رد السلام امن ولم تسمح نفسى بذلك ولكن احضر
فقال ما قصتك مع ملك النوبة فقال يا امير المؤمنين
كنت ولى عهد ابى فلما طلبتنا دعوت عشرة من الغلمان
ودفعت لكل واحد الف دينار واوقرت خمس بغال وشددت
فى وسطى جوهرا له قيمة كبيرة وخرجت هاربا الى بلاد النوبة
فلما قربت بعثت غلاما فقلت امض الى هذا الملك واقرأه
السلام وخذ لنا منه الامان وابتغ لنا ميرة فمضى وابطأ
علينا حتى اسأت به الظن ثم اقبل ومعه رجل فدخل وسلم
وقال الملك يقرئك السلام ويقول لك من انت وما
حاجتك الى بلادى امحارب ام راغب فى دينى ام مستجير بى
فقلت له رد على الملك فقل اما محارب فمعاذ الله واما راغب
فى دينك فما كنت لابغى بدينى بدلا واما مستجير بك فنعم
فذهب ورجع الى وقال الملك انى صائر اليك غدا فلا
تحدث بنفسك حدثا ولا شىء من الميرة فقلت لاصحابى افرشوا

الفرش وجلست من الغد ارقبه واذا هو قد اقبل وعليه بردين
قد اتزر باحدهما وارتدى بالاخر جاء في الرجل ومعه عشرة معهم
الحراب ثلاثة يتقدمونه وسبعة خلفه فاستصغرت امره وسولت
لي نفسي قتله فلما قرب اذا سواد عظيم قلت ما هذا قالوا الخيل
فوافى بها عشرة الاف عنان ووافت الخيل عند دخوله فاحدقوا
بنا فلما دخل جلس على الارض قال قلت لترجمانه سبحان الله لم لا تقعد
على الموضع الذي وطي له فقال له قل له انه ملك وكل ملك
احق ان يكون متواضعا لله وعظمته اذ رفعه الله على عباده ثم
نكت باصبعه الارض طويلا ورفع راسه وقال قل له كيف
سلبتم هذا الملك فاخذ منكم وانتم اقرب الناس الى نبيكم
فقلت له جا من هو اقرب منا قرابة منه فسلبنا وغلبنا وطردنا
فخرجنا اليك مستجيرا بالله ثم بك قال فلم كنتم تشربون الخمر وهي
محرمة عليكم قلت فعل ذلك عبيد واعاجم دخلوا في ديننا وفي
ملكنا من غير راينا قال فلم تركبون على الديباج وعلى خيولكم
سروج الذهب والفضة وهي محرمة عليكم قلت فعل
ذلك عبيد واعاجم دخلوا في ديننا وفي ملكنا من غير راينا
قال فلم كنتم اذا خرجتم الى الصيد مررتم على القرى وكلفتم اهلها

ما لا طاقة لهم بالضرب والاهانة ولا يقنعكم ذلك حتى تحطموا
زرعهم في طلب دراج قيمته نصف درهم والتكليف والعنا
محرم عليكم قلت فعل ذلك عبيد وغلمان واتباع قال لا
ولكنكم استحللتم ما حرم الله واتيتم ما نهاكم عنه فسلبكم
الله العز والبسكم الذل ونصر اعدائكم عليكم ولله فيكم نقمة لم
تبلغ غايتها بعد واني اخاف ان تنزل بك النقمة ان كنت من الظلمة
فتشملني معك فان النقمة اذا نزلت شملت فاخرج بعد ثلاث
فان وجدتك بعدها اخذت ما معك وقتلتك ومن معك ثم
وثب وخرج واقمت ثلاثا ورجعت الى مصر فاخذني عاملك و
بعث بي اليك وها انا ذا والموت احب الي من الحيوة فرق له المنصور
وهم باطلاقه فقال له اسمعيل ابن علي في عنقي بيعة قال فما ترى
قال ينزل في دار من دورنا ويجري له ما يجري على مثله ففعل به
ذلك انتهى وخطب المنصور يوما في الشام فقال يا ايها الناس ينبغي
لكم ان تحمدوا الله تعالى على ما وهبكم الله في فاتي منذ
وليتكم صرف الله عنكم الطاعون الذي كان يجيئكم فقال
له اعرابي ان الله اكرم من ان يجمع علينا انت والطاعون ودخل
هرمة الشاعر على المنصور وامتدحه فقال له المنصور سل حاجتك

قال نكتب الى عاملك بالمدينة انه اذا وجدني سكرانا
لا يحدّني فقال له المنصور هذا حدّ لا سبيل الى تركه فقال
ما لي حاجة غيرها **فقال للكاتب** اكتب الى عاملنا بالمدينة
من اتاك بابن هرمه وهو سكران فاجلده ثمانين جلدة والذي
جاء به مائة جلدة فكان الشرطة يمرّون عليه ويتركونه

ومن احسن الكلمات والمحاضرات ما حدّث احمد ابن موسى قال

ما رايت رجلا اثبت جنانا ولا احسن معرفة من رجل وقع فيه
عند المنصور ان عنده اموالا لبني اميه فامر المنصور حاجبه
الربيع ان يحضره فلما حضر بين يديه قال المنصور رفع الينا
ان عندك اموالا وودايع وسلاحا لبني اميه فاخرج لنا منها
واجمع ذلك الى بيت المال **فقال الرجل** يا امير المؤمنين انت وارث
لبني اميه قال لا قال فلم تسال اذا عما في يدي من اموال بني
اميه ولست بوارث لهم ولا وصي فاطرق المنصور ساعة ثم
قال ان بني اميه ظلموا الناس وغصبوا اموال المسلمين فقال
الرجل يحتاج امير المؤمنين الى بيّنة يقبلها الحاكم فتشهد
ان المال الذي لبني اميه هو الذي غصبوه من الناس وان امير
المؤمنين يعلم ان بني اميه كانت لهم اموال لانفسهم غير اموال

المسلمين

المسلمين التي اغتصبوها على ما تبهم امير المؤمنين **فسكت المنصور**
ساعة ثم قال يا ربيع صدق الرجل ما يجب علينا شيئا ثم قال
للرجل الك حاجة قال نعم قال وما هي قال ان تجمع بيني وبين
ما سعى بي اليك فوالله يا امير المؤمنين ما لبني اميه عندي
مال ولا سلاح وانما حضرت بين يديك وعلمت ما فيك
من العدل والانصاف واتباع الحق واجتناب المظالم وتيقنت
ان الكلام الذي صدر مني هو انجح واصلح لما سالتني عنه
فقال المنصور اجمع بينه وبين الذي سعى به فجمع بينهما فقال يا
امير المومنين هذا اخذ علي خمس مائة دينار وهرب ولي
مسطور شرعي فسال الرجل المنصور فاقر بالمال قال فما حملك
على السعي به كاذبا قال اردت قتله ليخلص لي المال فقال الرجل
قد وهبتها له يا امير المؤمنين لاجل وقوفي بين يديك وحضوري
مجلسك ووهبته خمس مائة اخرى لكلامك لي **فاستحسن المنصور**
فعله وكرمه ورده الى بلده مكرما وكان المنصور كل وقت يقول
ما رايت مثل ما رايت مثل الشيخ ولا اثبت من جنانه ولا امن جهته
ولا رايت مثل حلمه ومروته

ذكر خلافة المهدي ابو عبد الله محمد ابن المنصور

وما وقع في زمانهم الغرا حدثنا داود ابن رشيد

قال قلت للهيثم ابن عدى باى شئ استحق سعد ابن عبد الرحمن
ان ولاه المهدى القضا فاتزل منه تلك المنزلة قال ان خبره
باتصاله بالمهدى ظريف فان احببت شرحته لك قلت والله
قد احببت قال اعلم انه وافى الربيع الحاجب حين افضت الخلافة
الى المهدى فقال رجل استاذن لى على امير المؤمنين فقال من انت
وما حاجتك قال انا رجل قد رايت لامير المؤمنين اعزه الله
رؤيا صالحة وقد احببت ان تذكرنى له فقال الربيع يا هذا
ان القوم لا يصدقون فيما يرونه لانفسهم فكيف ما يراه لهم
غيرهم فاحتل بحيلة هى ارد عليك من هذه فقال له ان لم
تخبره بمكانى سالت من يوصلنى اليه واخبره انى سالتك
الاذن لى عليه فلم تفعل فدخل الربيع على المهدى فقال
يا امير المؤمنين انكم قد اطمعتم الناس فى انفسكم فقد احتالوا عليكم
بكل ضرب فقال له المهدى هكذا تصنع الملوك فماذا
قال رجل بالباب يزعم انه راى لامير المؤمنين رؤيا
حسنة وقد احب ان يقصها عليك فقال له المهدى يا ربيع انى
والله ارى الرؤيا لنفسى فلا تصح لى فكيف من ادعاها منه
لعله افتعلها قال والله قلت له مثل ذلك فلم يقبل قال هات الرجل قال

سعيد وكان له رؤيا وجمال ومروة ظاهرة ولحية عظيمة ولسان طلق
فقال المهدى ما رايت بارك الله فيك قال رايت يا امير المؤمنين
اتانى آت فى منامى فقال لى اخبر امير المؤمنين انه يعيش
ثلاثين سنة فى الخلافة وآية ذلك انه يرى فى ليلته الآتية
فى منامه كانه يقلب يواقيت ثم يعدها فيجدها ثلثين يا
قوتة كانها قد وهبت له فقال له المهدى ما احسن ما رايت
ونحن نمتحن رؤياك فى ليلتنا المقبلة على ما اخبرتنا فان كان
الامر على ما ذكرت اعطيناك فوق ما تريد وان كان الامر بخلاف
ذلك لم نعاقبك لعلمنا ان الرؤيا ربما صدقت وربما اختلفت
قال سعيد يا امير المؤمنين فما ذا اصنع انا الساعة اذا صرت الى منزلى
وعيالى واخبرتهم انى كنت عند امير المؤمنين اكرمه الله
ثم رجعت صفر اليدين فقال له المهدى فكيف نعمل قال تعجل لى امير
المؤمنين اعزه الله تعالى ما احب واحلف له بالطلاق انى صدقت
فامر له بعشرة آلاف درهم وامر بان يؤخذ له كفيل ليحضر من غد
ذلك اليوم فقبض المال وقيل له من يكفلك فمد عينيه الى خادم حسن
الوجه والزى وقال هذا يكفلنى فقال له المهدى اتكفله يا
غلام فاحمر وخجل وقال نعم يا امير المؤمنين فكفله منه وانصرف

سعد بن عبد الرحمن بعشرة الاف درهم فلما كانت تلك الليلة
راى المهدى ماذكره له سعيد حرفاً بحرف واصبح سعيد فوافى
الباب واستاذن فاذن له فلما وقعت عين المهدى عليه قال
له اين مصداق ماقلت لنا عليه فقال له سعيد وما راى
امير المومنين شيئا فتلجلج فى جوابه فقال له امراتى طالق ان لم تكن
رايت شيئا فقال له المهدى ما اجراك على هذا الحلف
بالطلاق فقال انى احلف على صدق فقال له المهدى
فقد والله رايت ذلك مبينا فقال له سعيد الله اكبر فانجز لى
يا امير المومنين ما وعدتنى قال حبا وكرامة ثم امر له بثلاثة الاف
دينار وعشرة تخوت ثيابا من كل ثياب وعشرة نفر غلاما وجارية
وعشرة اسباف من كل صنف وثلاثة مراكب من انفس دوابه
محلاة فاخذ ذلك وانصرف فلحق به الخادم الذى كان كفله
وقال سالتك بالله هل لهذه الرويا من اصل فقال سعيد
لا والله فقال الخادم كيف وقد راى امير المومنين ماذكرته
قال هذا من المخاريق التى لا يبالى لها وذلك لما القيت له
هذا الكلام خطر ببالى وحدثته به نفسه واسر به قلبه و
شغل فكره فنام فراه فقال له الخادم قد حلفت بالطلاق فقال

طلقة واحدة وبقيت معى على اثنتين وازيد مهرها عشرة دراهم
واحصل لى عشرة الاف درهم وثلاثة الاف دينار وعشرة تخوت
من اصناف الثياب وثلاثة مراكب فارهة فبهت الخادم وتعجب
من ذلك فقال له سعد قد صدقتك وجعلت لك مكافاة على كفالتك
فاستر على ثم طلبه المهدى لمنادمته فنادمه وحظى عنده و
قلده القضا على العسكر فلم يزل كذلك حتى مات انتهى

حكاية لطيفة حكى ان المهدى خرج يتصيد فغاربه
فرسه حتى دخل الى خبا اعرابى فقال يا اعرابى هل من قرى قال
نعم واخرج له قرص شعير فاكله ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم
ثم اتاه بنبيذ فى ركوة فسقاه قعبا فلما شرب قال يا اخا العرب
اتدرى من انا قال لا والله قال انا من خدم امير المومنين الخاصة
قال له بارك الله لك فى موضعك ثم سقاه قعبا اخر فشربه
فقال يا اعرابى اتدرى من انا قال زعمت انك من خدم امير المومنين
الخاصة قال لا بل من قواد امير المومنين قال رحبت بلادك
وطاب مرادك ثم سقاه ثالثا فلما فرغ فقال يا اعرابى اتدرى
من انا قال زعمت انك من قواد امير المومنين فاخذ الاعرابى
الركوة فاوكاها وقال والله لو شربت الرابع لادعيت انك

قال لا ولكنى الخاصة امير المومنين

رسول الله فضحك المهدي حتى غشي عليه واحاطت به الخيل و
نزلت به الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابي فقال لا
باس عليك ولا خوف ثم امر له بكسوة ومال واوقره فقال الاعرابي
اشهد انك صادق لو ادعيت الرابعة والخامسة

واقعة مضحكة من ابي نواس

قيل كان لاسماء بنت المهدي جارية يقال لها كاعب و
كانت بكرا ناهدا ذات حسن وجمال وقد واعتدال وكانت
بنت ستة عشر سنة قال فتلاعب عليها ابو نواس لينيكها
فتمنعت منه مرارا فظفر بها ليلة من الليالي في ناحية من نواحي
القصر فمسكها فبكت وقالت له الموت دون ذلك فقال
ابو نواس في نفسه هذا جزع الابكار فتركها مدة فاتفق له انه
خرج من القصر ليلة وقد رقدت الجاريه فوجدها نائمة سكرانة
فتقرب منها وحل السراويل من وسطها ودهمها فاذا هي خالية
من البكارة فارتاع فظن انه يكون اتاها في الدم فلم يجد شيئا
وقام عنها وندم على ما كان منه واخذ يقول شعر

وناهدة الثديين من خدم القصر ... مرقرقة الخدين ليلة الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها ... طويلا وما حب الكواعب امر
فما زلت بالاشعار حتى خدعتها ... ورقضتها والشعر من خدع السحر

اطالبها

اطالبها شيئا فقالت بغيره ... اموت بها دا او دمعها يجري
فلما تغانقنا توسطت لجة ... غرقت بها يا قوم في لجج البحر
فصحت اغثني يا غلام فجاءني ... وقد غرقت رجلي ورحت الى الصدر
ولولا صياحي بالغلام وانه ... تداركني بالحبل رحت الى القعر

حكاية اجنبية فاقسمت عمري لا اركبت سفينة ... ولا سرت طول الدهر الا على الظهر **في شدة العشق**

قال المبرد صعدت من البصرة الى بغداد فمررت بدير العاقول فرايت مجنونا فيه لم ار قط اظرف منه ولا احسن شبابا وبيده الواحد على صدره فلما قربت منه انشا يقول

الله يعلم انني كمد ... لا استطيع ابث ما اجد
روحان لي روح تملكها ... بلد واخرى حازها بلد
واري العقيمة ليس ينفعها ... صبر وليس لمثلها جلد
واظن غائبتي كشاهدتي ... بمكانها تجد الذي اجد

فقلت احسنت والله ذلك يا مجنون فاهوى الى شيء يرميني به فقال لي انشدتك ما تجده واستحسنته وتقول لي يا مجنون وتكون مع الزمان علي فقلت له اخطات فقال الذا اعترفت بخطيئتك ثم قال انشدك شعرا ايضا فانشا يقول

ما اقتل البين للمحب وما … اوجع قلب المحب بالكمد
عرضت نفسي على البلا لقد … اسرع في مهجتي وفي كبدي
يا حسرتا ان لقيت معتقلا … بين اعتلاج الهموم والسهد

فقلت احسنت والله زدنا فقال يا فتى اراك كلما انشدتك شيئا قلت زدنا وما ذاك الا لمفارقة حبيب او خل اديب ثم قال احسبك يا ابا العباس المبرد بالله انت هو قلت انا ذلك فمن اين عرفت فقال وهل يخفى القمر ثم قال يا ابا العباس انشدني من شعرك بيتا نعيش به روحي فانشدت فقلت

بكيت حتى بكى من رحمتي الطلل … وما بكاي بكت عيني اذ ارحلوا
يا منزل الحي اين الحي قد رحلوا … نفسي تساق الى ما ساقت الابل
انعم صباحا سقاك الله من طلل … غيثا وجاد عليك الوابل الهطل
سقيا لعهدهم والدار جامعة … والشمل ملتئم والحبل متصل
فقال ما قد نعمنا والحبيب بها … والدهر يسعد والواشون قد غفلوا
قد غير الدهر ما قد كنت اعرفه … والدهر ذو دول بالناس ينتقل
بانوا فبان الذي قد كنت آمله … والبين اعظم ما يبلى به الرجل
فالشمل مفترق والقلب محترق … والدمع مستبق والركب مرتحل
كان قلبي لما سار عيسهم … صب به دانف او شارب ثمل

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم … وثوروها وسارت بالدجى الابل
وقلبت من خلال السجف ناظرها … ترنو الي ودمع العين ينهمل
يا حادي العيس عرج بي اودعهم … يا حادي العيس في ترحالك الاجل
اني وحقك لا انسى مودتهم … يا ليت شعري لطول العهد ما فعلوا

قال المبرد فلم اتم الشعر حتى صاح صيحة عظيمة وخر مغشيا عليه فحركته تحريكا فوجدته قد مات وفات رضي الله عنه

ومن الخلفاء الهادي موسى ابن المهدي ولم ار فيه شيئا ومن رأى فيه شيئا فليضم

ذكر خلافة الرشيد هرون ابن محمد المهدي وما جرى له مع البرامكة ونوادر اخبارها

هو خامس بني العباس وقال ابرهيم الموصلي في تهنيته بالخلافة حين ولي بعد اخيه موسى الهادي شعر

الم تر ان الشمس كانت مريضة … فلما اتى هرون اشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه … فهرون واليها ويحيى وزيرها

وقدم اعرابي حين ولي هرون الخلافة فقيل له فيم جئت قال ابيات برسالة قال ائت بها قال اتاني آت في المنام فقال ائت امير المؤمنين فابلغه هذه الابيات

توارثت الخلافة من قريش … تزف اليكما ابدا عروسا
الى هرون تهدى بعد موسى … تميس وما لها ان لا تميسا

ومن عجايب الاتفاق في الليلة التي توفي فيها اخوه وولد في تلك الليلة المامون وكانت ليلة عجيبة لم ير مثلها في بني العباس مات فيها خليفة وولي فيها خليفة وولد فيها خليفة ولما بويع الرشيد قلد جعفر البرمكي الوزارة قيل انه خرج يوما يتصيد فحاد عن الجيش ومعه جعفر البرمكي الى حي من احياء العرب فاذا هو ببنات يستقون الماء فخرج عليهن يريد الشرب واذا احداهن تقول

قولي لطيفك ينثني	عن مضجعي وقت المنام
كي استريح وتنطفي	نار تاجج في العظام
دنف تقلبه الاكف	على بساط من سقام
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من دوام

فاعجب الرشيد ملاحتها وفصاحتها فقال لها يا بنت الكرام هذا من قولك ام منقولك قالت من قولي قال ان كان كلامك صحيحا فامسكي المعنى وغيري القافيه فانشدت تقول

قولي لطيفك ينثني	عن مضجعي وقت الوسن
كي استريح وتنطفي	نار تاجج في البدن
دنف تقلبه الاكف	على بساط من شجن
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من ثمن

والاخر

فقال والاخر مسروق قالت من كلامي فقال ان كان ايضا فامسكي المعنى وغيري القافيه فقالت

قولي لطيفك ينثني	عن مضجعي وقت الرقاد
كي استريح وتنطفي	نار تاجج في الفواد
دنف تقلبه الاكف	على بساط من قتاد
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من سداد

فقال لها والاخر مسروق فقالت بل من كلامي فقال ان كان كلامك فامسكي وغيري القافيه فقالت

قولي لطيفك ينثني	عن مضجعي وقت الهجوع
كي استريح وتنطفي	نار تاجج في الضلوع
دنف تقلبه الاكف	على بساط من دموع
اما انا فكما علمت	فهل لوصلك من رجوع

فقال لها امير المومنين انت من اي هذا الحي قالت من اوسطه بيتا واعلاه عمودا فعلم امير المومنين انها بنت كبير الحي ثم قالت وانت من اي رعاة الخيل فقال من اعلاها شجرة وايتعها ثمرة فقبلت الارض وقالت ايد الله امير المومنين وودعته ثم انصرفت مع بنات حي العرب فقال الخليفه لجعفر لا بد من اخذها فتوجه

جعفر الى ابيها وقال له امير المؤمنين يريد ابنتك فقال حبًا
وكرامة تهدى جارية الى الحضرة مولانا امير المؤمنين ثم جهزها
وحملها اليه فتزوجها ودخل بها فكانت عنده من اعز نسائه
واعطى والدها مايسره بين العرب من الانعام ثم بعد انتقل
والدها الى رحمة الله تعالى بالوفاة فورد على الخليفة خبر وفاته
فدخل عليها وهو كئيب **فلما** شاهدته وعليه الكابه
نهضت ودخلت الى حجرتها وقلعت كلما عليها من الثياب الفاخرة
ولبست الحداد واقامت النعى له **فقالوا** لها من سبب هذا قال
مات والدى فمضوا الى الخليفة فاخبروه فقام واتى اليها وسالها
من اعلمها بهذا الخبر قالت وجهك يا امير المؤمنين قال كيف
ذلك قالت منذ انا عندك ما رايتك هكذا ولم يكن لى من اخاف عليه
الا والدى لكبره ويعيش راسك انت يا امير المؤمنين فتغرغرت
عيناه بالدموع وعزاها فيه واقامت مدة وهى حزينة على والدها
ثم لحقت به وماتت انتهى

ومن مآثر الحذق والفطنة ما ظهر من ابى نواس عند هرون الرشيد

روى ان هرون الرشيد ارق ذات ليلة فقام يتمشى فى
قصره بين المقاصير فراى جارية نائمة فاعجبته فداس على رجلها

فانتبهت

فانتبهت فزعة وقالت من هذا فقال لك بكرم الضيف ليمعى
والبصر فبات عندها حتى الصباح **فلما** اصبح الرشيد استدعى
ابو نواس فقال ابو نواس للرسول ان ثيابى مرهونة عند الخمار
بستمائة دينار ان استفككتها الى وجئت فالتزم ذلك الرشيد
فجاء اليه فقال اجز هذا المصراع بكرم الضيف ليمعى والبصر
وانشد ابو نواس وقال

طال ليلى ثم وافى السهر ... ثم فكرت واحسنت النظر
قمت امشى بين ربات الخباء ... لاراها فى مقاصير الحجر
اذ بوجه نظر قد لاح لى ... زانه الرحمن من بين البشر
فتقدمت اليها مسرعًا ... ثم طاطات فقبلت الاثر
فاستفاقت فزعا قائله ... يا امين الله ما هذا الخبر
قلت ضيف طارق فى ارضكم ... هل تضيفوه الى وقت السحر
فاجابت بسرور سيدى ... بكرم الضيف ليمعى والبصر

فتعجب هرون وقال يا ابن الفاعله ما كنت البارحة الا تحت السرير
فاقسم وحلف انه لم ير شيئا وما كان هذا وانما يقع ذلك
على سبيل الاتفاق والقران ونحو ذلك من الفراسة والقيافة
فامر له بصلة وجايزة

وايضاً نظير ذلك

ما حكي ان الرشيد هجر جارية ثم لقيها في بعض الليالي في القصر سكرانة تدور في جوانب القصر وعليها مطرف خز وهي تسحب اذياله من التيه والعجب وقد سقط رداها عن منكبها والريح ابان نهديها كانهما رمانتان وردفان ثقيلان فراودها عن نفسها فقالت يا امير المؤمنين هجرتني هذه المدة وليس لي علم بملاقاتك فانظرني الى غد حتى اتهيأ واتيك فلما اصبح قال للحاجب لا تدع احداً يدخل علي الا فلانة وانتظرها فلم تجئ فقام ودخل عليها وسالها انجاز الوعد فقالت يا امير المؤمنين كلام الليل يمحوه النهار فقام واستدعى من بالباب من الشعراء فدخل عليه ابو نواس والرقاشي وابو مصعب فقال لهم هاتوا علي ابياتاً اخرها كلام الليل يمحوه النهار فقال الرقاشي انا قائل في ذلك ثلاثة ابيات فانشا يقول

اسلوها وقلبك مستطار … وقد منع القرار فلا قرار

وقد تركتك صباً مستهاماً … فتاة لا تزور ولا تزار

فولت وانثنت تيهاً وقالت … كلام الليل يمحوه النهار

اذا وعدتك شيئا ثم فات

وقال ابو مصعب وانا قائل في ذلك ثلاثة ابيات وانشأ يقول شعر

اما والله لو تجدين وجدي … لما وسعتك في بغداد دار

اما يكفيك ان العين عبرا … ومن ذكراك في الاحشاء نار

تبسم ضاحكاً من غير ضحك … كلام الليل يمحوه النهار

وقال ابو نواس وانا قائل في ذلك خمسة ابيات وانشا يقول

وجودي اقبلت في القصر سكرى … ولكن زين السكر الوقار

وهز الريح اردافاً ثقالا … وغصناً فيه رمان الصغار

وقد سقط الرداء عن منكبيها … من التخميش وانحل الازار

فقلت لها عديني منك وعداً … فقالت في غد منك المزار

فقلت الوعد سيدتي فقالت … كلام الليل يمحوه النهار

قال الرشيد قاتلك الله كانك كنت حاضراً معنا وامر لكل واحد بخلعة سنية وخمسة الاف درهم ولابي نواس بعشرة الاف درهم

ومن نظائر ما تقدم واحسنها واظرفها

ما ذكر الخطيب البغدادي في بعض مصنفاته ان الرشيد دخل يوماً وقت الظهر الى مقصورة سرية تسمى الخيزران على غفلة منها فوجدها تغتسل فلما راته تخللت بشعرها حتى لم ير من جسدها شيئاً فاعجبه ذلك الفعل واستحسنه منها فعاد الى مجلسه فقال من بالباب من الشعراء فقالوا ابو نواس وبشار فاحضرهما فقال الرشيد ليقل منكما ابياتاً

توافق ما في نفسي فانشا انشار

تجنبتكم والقلب صار بقربكم … بنفسي ذلك المنزل المحجب
اذا ذكروا الومة لاعن ملالة … وذكراهم يسبى الى ام محبب
وقالوا تجر دناو لا قرب بيننا … فكيف وانتم حاجتي تتجنب
على انهم احلى من الشهد عندنا … واعذب من ماء الحيوة واعذب

فقال احسنت ولكن ما اصبت ما في نفسي فقل انت يا ابانواس فقال

نفت عنها القميص لصب ماء … فورد وجهها فرط الحياء
فقابلت الهوى وقد تعرت … بمعتدل ارق من الهباء
ومدت راحة كالماء منها … الى ماء عتيد في اناء
فلما ان قضت وطرا وهمت … على عجل لتاخذ للرداء
رات شخص الرقيب على التداني … فاشملت الظلام على الضياء
وغاب الصبح منها تحت ليل … فظل الماء يجري تحت ماء
فسبحان الاله وقد براها … كاحسن ما يكون من النساء

فقال الرشيد سيفا ونطعا فقال له ولم يا امير المومنين فقال امعنا كنت قال لا والله ولكن شي خطر ببالي فامر له باربعة الاف درهم وصرفه

ومن فصاحة النساء وبلاغتهن واخبارهن

ما روي ان الرشيد ارق ذات ليلة ارقا شديدا فقام من فراشه ويمشي من مقصورة الى مقصورة وقلقه زايد ونفسه محروقة فلما اصبح قال علي بالاصمعي فخرج الطواشي الى البوابين فقال لهم يقول امير المومنين ترسلوا خلف الاصمعي فلما حضر اعلم الخليفة به فاجلسه ورحب به وقال له يا اصمعي اريد منك تحدثني باجود ما سمعت من اخبار النساء واشعارهن فقال سمعا وطاعة لقد سمعت كثيرا ولم يعجبني سوى ثلاثة ابيات انشدهن ثلث بنات فقال له حدثني حديثهن فقال اعلم يا امير المؤمنين اني توجهت سنة الى البصرة فاشتد على الحر فطلبت مقيلا اقيل فيه فلم اجد فبينا انا التفت يمينا وشمالا واذا بساباط منكوس مرشوش وفيه دكة من خشبة وعليها شباك مفتوح مفتوحا تفوح منه رائحة المسك فدخلت الساباط وجلست على الدكة واردت الاضطجاع فسمعت كلاما عذبا من فم جارية حسناء وهي تقول يا اخوتي اننا جلسنا يومنا هذا على وجه الصبوح تعالين نطرح ثلثمائة دينار وكل منا تقول بيتا من الشعر فكل من قالت البيت الاعذب الاملح كانت الثلثمائة دينار لها فقلن حبا وكرامة فقالت الكبرى

عجبت له ان زار في النوم مضجعي   ولو زارني مستيقظا كان اعجبا

فقالت الوسطى

ومن زارني في النوم الا خياله   فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

فقالت الصغرى

بنفسي واهلي من ارى كل ليلة   ضجيعي وريّاه من المسك اطيبا

فقلت ان كان لهذا المقال جمال فقد تم الامر على كل حال فنزلت من علا الدكة واردت الانصراف واذا بالباب قد فتح وخرجت جارية وهي تقول اجلس يا شيخ فطلعت على الدكة ثانيا وجلست فدفعت اليّ ورقة فنظرت خطا في نهاية الحسن مستقيم الالفات مجوف الهاءات مدوّر الواوات مضمونها يعلم الشيخ اطال الله بقاه اننا ثلاث بنات اخوات جلسنا على وجه الصبوح وطرحنا ثلثمائة دينار وشرطنا ان كل من قالت البيت الاعذب الاملح كان لها الثلث مائة دينار وقد جعلناك الحكم في ذلك فاحكم ما تراه والسلام فقلت للجارية علي بدواة وقرطاس فغابت قليلا وخرجت اليّ بدواة مفضضة واقلام مذهبة فانشات

اقول هذه الابيات

احدث عن خود تحدثن مرة   حديث امرا ساس الامور وجربا

ثلث ككرات الصحارى جحافل   حللن بقلب للشوق معذبا

حلون وقد نامت عيون كثيرة   من الراى قد ينهون ان تتنصبا

فحن بما يخفين من داخل الحشا   نعم واتخذن الشعر لهوا وملعبا

فقالت عروب ذات عز عزيزة   وتبسم من عذب المقالة اشنبا

عجبت له ان زاد في النوم مضجعي   ولو زارني مستيقظا كان اعجبا

فلما انقضى ما زخرفت وتضاحكت   تنفست الوسطى وقالت تطربا

وما زادني في النوم الا خياله   فقلت له اهلا وسهلا ومرحبا

واحسنت الصغرى وقالت مجيبه   بلفظ لها كان اشهى واعذبا

بنفسي واهلي من ارى كل ليلة   ضجيعي ورؤياه من المسك اطيبا

فلما تدبرت الذي قلن وابرى   لي الحكم لو ازك لدى اللعب معتبا

حكمت لصغراهن في الشعر انني   رايت الذي قالت هو الحق صوابا

قال الاصمعي ثم دفعت الورقة الى الجارية فلما صعدت الى القصر اذ سمعت صفقا ورقصا ودنيا دانيه وقيامة قائمة فقلت ما بقيت لي اقامة فنزلت من علا الدكة واردت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول اجلس يا اصمعي فقلت ومن اعلمك انني الاصمعي فقالت يا شيخ ان خفي علينا اسمك فما خفي علينا نظمك واذا بالباب قد فتح وخرجت منه الجارية الاولى وعلى يدها طبق من فاكهة وطبق حلوى فتفكهت وتحليت وشكرت صنيعها واردت الانصراف واذا بالجارية تنادي وتقول

اجلس يا اصمعى فرفعت بصرى اليها فنظرت كفا احمر فى كم اصفر فخلته
البدر ويشرق من تحت الغمام ودست لى بصرة فيها ثلثمائة دينا
وقالت هذا صار لى وهو منى لك هبة فى نظير حكومتك فقال
الرشيد لاى شئ حكمت للصغرى ولم تحكم للكبرى ولا للوسطى فقلت
له يا امير المؤمنين اطال الله بقاك ان قالت عجبت له ان زار فى بنت الكبرى
النوم مضحى وهو محجوب على شرط قد يقع واما الوسطى مر بها
طيف خيال فى النوم فسلمت عليه واما الصغرى ذكرت انها
ضاجعته مضاجعة حقيقة وشمت منه انفاس اطيب من المسك
وفدته بنفسها واهلها ولا يفدى بالنفس الا اعز من الناس فقال
الخليفة احسنت يا اصمعى ثم دفع الى ثلثمائة دينار فاخذتها
وانصرفت فلله در من شعر اخذت فى حكومته ثلث مائة
دينار وفى حكاية مثلها

حكاية مضحكة فى واقعة مفرحة

قال الاصمعى سمرت ليلة عند الرشيد فى ارق فقال لى من معك
يا عبد الله يؤنسك فقلت يا امير المؤمنين ما لى غير الوحدة
فامسك واقبل فى حديثه ما شاء الله ثم نهض ونهضت من
بحضرته فلما صرت الى منزلى واذا بخادم الامير يقرع الباب فخرجت

فاذا صنوء وشمع وضجه وغوغاء ومعهم عمارية فلما رانى الخادم دنى منى
وقبل يدى وقال لى يقول لك امير المؤمنين قد امرنا لك بمن يونسك
وهى جارية من خواصه وشئ من المال فشكرت امير المؤمنين ودعوت
له وتقدم الخادم فادخل الجارية ومعها من الالات والخدم والجوارى
والفرش ما لم ار مثله الا عند امير المؤمنين ثم ودعنى الخادم وانصرف
فلما نظرت الى الجارية رايتها من احسن النساء وجها واكملهم
قدرا وشكلا وظرفا واكثرهم مجونا فداخلنى لها هيبة وانقباض فقالت
ما هذا الحياء البارد السمج الذى لا وجه له اين ملحك ونوادرك
ثم قالت لجارية من الجوارى هات ما عندك فجاءت باحسن ما يكون
من الوان الطعام فاكلنا وهى مع ذلك تباسطنى وتؤانسنى بالحديث
والمداعبة ثم دعت بالشراب فشربت وسقتنى ثم قالت ما بقى بعد
الاكل الا النوم والخلوة فقامت ولبست من الثياب ما ارادت
والبستنى ثيابا فاخرة بيضاء ثم تفرق من كان عندنا ثم اضطجعت الى
جانبى فلما جمعنا الفراش اصابنى من الحصر وانقطاع الانعاظ ودخلة
الايرما لم اكن اعهده قبل ذلك فجعلت تقلبه بيدها وتغمزنى فلا
يزداد الا انكماشا وموتا فلما اعيتها الحيلة فيه ويئست من قيامه
ومضى من الليل اكثره قالت اعظم الله اجرك فى ايرك ثم نهضت

ولبست ثياب الحداد ودعت بنفط فاخرجت منه منادبلاً صغاراً و
حوطا وقالت ذرعلى ظهرك يا بطال فاستولى على الخجل حتى انى لم اقدر
اخالفها فى شئ مما تامرنى فى جميع ما تفعله فغسلته وكفنته بتلك
المناديل فلما فرغت همت بجواريها وقامت معهن فى بكاء ونحب
ونوح وندب وصراخ باشد ما يكون وما زالوا على ذلك الى وقت
السحر ثم قلت ما بقى اخزى خلق الله تعالى حالا منك فلبست ثيابى و
صليت الفجر وسرت من وقتى وساعتى الى الرشيد فاذن لى فدخلت
وهو قاعد فى مصلاه فقال ويحك ما دهاك فى هذا الوقت حدثنى
بعجيب وامرى غريب فبالله عليك يا امير المؤمنين الا ما ارحتنى
من هذه الجارية التى انفذتها الى فلا حاجة لى بها وما السبب فى
ذلك وما الخبر الذى دهاك وليس لها عندك حينا من الزمان
فشرحت القصة من اولها الى اخرها حتى بلغت الى اقامة الماتم
اشتد ضحكه حتى انه كان يستلقى على قفاه وسمع الضحك من كل
ناحية من الدار من الجوارى وغيرهن ثم قال نحن الى هذه احوج
منك اليها وقد كنا غافلين عنها ثم امر بحملها اليه الى داره وعوضنى
عنها خمسين الف درهم وترك جميع ما حمل معها فى منزلى وخرجت مجردة
فحظيت بعد ذلك عند الرشيد حتى انه لم يتقدم عليها احد من نظيرها

وسميت

وسميت من وقتها هذا بالاصمعية الى ان توفيت وماتت انتهى

حكاية عجيبة منقولة عن اسحق ابرهيم الموصلى

انه قال استاذنت الرشيد ان يهب لى يوما من الايام
للانفراد بجوارى واخوانى فاذن لى فى يوم السبت فاتيت
منزلى فاخذت فى اصلاح طعامى وشرابى وما احتجت اليه
وامرت البوابين بغلق الابواب وان لا ياذنوا لاحد بالدخول على
فبينما انا فى مجلسى والحرم قد حففن بى واذا بشيخ ذو هيبة
وجمال وعليه خفان قصيران وقميصان ناعمان وعلى راسه عكازة
مقمعة من فضة وروائح الطيب تفوح منه حتى ملاء الدار و
الرواق فداخلنى غيظ عظيم لدخوله على وهممت بطرد البوابين
فسلم على احسن سلام فرددت عليه وامرته بالجلوس فجلس واخذ
يحدثنى باحاديث العرب واشعارها حتى ذهب ما بى من الغضب
وظننت ان غلمانى تحروا مسرتى لادخال مثله على لادبه و
ظرفه فقلت هل لك فى الطعام قال لا حاجة لى به قلت فالشراب
قال ذلك اليك فشربت رطلا وسقيته مثله ثم قال يا ابا
اسحق هل لك ان تغنينا شيا فنسمع من صنعتك ما قد فقت
به الخاص والعام فغاظنى قوله ثم سهلت الامر على نفسى واخذت

العود وضربت وغنيت فقال احسنت يا ابا اسحق فازددت غيظا وقلت ما ارضى بما فعله من الدخول بغير اذن واحترامه على حتى سماني باسمي وبجهل يخاطبني ثم قال هل لك ان تزيد نكافيك فذممت واخذت العود فغنيت وتحفظت فيما غنيت وقمت به قياما تاما لقوله ونكافيك فطرب وقال احسنت يا سيدي ثم قال اتاذن لي في الغناء قلت شانك واستضعفت عقله في ان يغني بحضرتي بعد الذي سمعه مني فاخذ العود وجسه فوالله لقد خلت ان العود ينطق بلسان عربي ويغني هذه الابيات

ولي كبد مقروحة من يبيعني ... بها كبدا ليست بذات قروح
ابيها على الناس ان يشرونها ... ومن يشتري ذا علة بصحيح
أئن من الشوق الذي في جوانحي ... انين غصيص بالشراب جريح

قال ابرهيم فوالله لقد ظننت ان الابواب والحيطان وكلما في البيت يجيبه ويتغنى معه من حسن صوته حتى خلت والله اني اسمع اعضائي وثيابي تجيبه وبقيت مبهوتا لا استطيع الكلام والحركة لما خالط قلبي ثم اندفع يغني فقال

الا يا حمامات الحمى عدن عودة ... فاني الى اصواتكن حزين
فعدن ولا عدن كدن يقتلنني ... وكدت باسراري لهن ابين

دعوت بترداد الهدير كانما ... شربن الحميا او بهن جنون
فلم تر عيني مثلهن حمائما ... بكين ولم تدمع لهن عيون

ثم قال هذه الابيات

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد ... فقد زادني مسراك وجدا على وجد
بكيت كما ابكي الوليد صبابة ... وابدي من الشكوى الذي لم اكن ابدي
لئن هتفت ورقاء في رونق الضحى ... على فنن لغصون البان من نجد
وقد زعموا ان المحب اذا دنا ... يمل وان البعد يشفي من الوجد
بكل تداوينا ولم يشف ما بنا ... على ان قرب الدار خير من البعد
الا ان قرب الدار ليس بنافع ... اذا كان من تهواه ليس بذي ود

ثم قال يا ابرهيم غن هذه الابيات الماخوذة فانح نحوه في غنائك وعلمه جواريك فقلت اعدها فقال لست تحتاج الى اعادة قد اخذته وفرغت منه ثم غاب من بين يدي فارتعت منه وقمت الى السيف وجردته ثم عدوت نحو ابواب الحرم فوجدتها مغلقة ثم قلت للجواري اي شيء سمعتن فقلن سمعن اطيب غناء واحسنها فخرجت الى باب الدار فوجدته مغلقا وسئلت البوابين عن الشيخ فوالله ما دخل عليك اليوم احد فرجعت اتامل امره فاذا هو قد هتف من جوانب البيت وقال لاباس عليك يا ابا اسحق فانما هو

ابو مرة قد كنت نديمك اليوم فلا تدع فركبت الى الرشيد فاخبرته
الخبر فقال اعد الاصوات التي قد اخذتها فاخذت العود و
ضربت فاذا هي راسخة في صدري فطرب الرشيد عليها
وجعل يشرب ولم يكن له همة الى الشراب وقال كان الشيخ قال
قد اخذت الاصوات وفرغت منها فليته متعنا بنفسه يوما
واحدا كما متعك وامر لي بصلة فاخذتها وانصرفت انتهى

ومن علو طبعه وشرف همته بالغناء ما روي ان الرشيد قال للفضل بن يحيى

وهو بالرقة قد قدم اسمعيل ابن صالح ابن علي وهو
صديقك واريد ان اراه فقال ان اخاه عبد الملك في حبسك
وقد نهاه ان يجيئك قال الرشيد فاني اتعلل حتى ان يجيئني
عائدا فتعلل فقال الفضل لاسمعيل الا تعود امير المومنين قال
بلى فجاءه عائدا فاجلسه ثم دعا بالغداء فاكل اسمعيل بين يديه
فقال له الرشيد كاني قد نشطت برؤيتك الى شرب قدح فشرب
وسقاه ثم امر فاخرج جوارا يغنين وصهبت ستاره وامر بقيه
فلما شرب اخذ الرشيد العود من يد الجارية ووضعه في حجر
اسمعيل وقد جعل في عنقه سبحة فيها عشر حبات من در شراؤها
بثلاثين الف دينار وقال غن يا اسمعيل وكفر عن يمينك بثمن

هذه السبحة فاندفع يغني بشعر الوليد ابن يزيد في غالية اخت
عمر ابن عبد العزيز وكانت تحبه وهي التي ينسب اليها
سوق الغالية قال

فاقسمت ما ادنيت كفي لريبة … ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها … ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
واعلم اني لم يصبني مصيبة … من الدهر الا قد اصابت فتى قبلي

فسمع الرشيد احسن غناء من احسن صوت فقال الربيع يا غلام
فجيء بالربيع فقلده لوا على امارة مصر قال اسمعيل فوليتها سنتين
فاوسعتهم عدلا وانصرفت بخمسمائة الف دينار وبلغ عبد الملك
ولايته فقال غناهم الخبيث ليس هو بصالح

ومن احسن المحاضرات وابلغ المكالمات مخاطبة الامام موسى ابن جعفر مع الرشيد في الحرم

روي انه لما دخل هرون الرشيد الى مكة شرفها الله تعالى
وابتدأ بالطواف ومنع الخاص والعام من ذلك لينفرد وحده
بالطواف فسبقه اعرابي فشق ذلك على الرشيد فالتفت الى الحاجب
منكرا عليه فقال الحاجب للاعرابي خل من الطواف حتى يطوف
امير المؤمنين فقال الاعرابي ان الله قد ساوى بين الامام
والرعية في هذا المقام فقال عز وجل سواء العاكف فيه والباد

وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ فلما سمع الرشيد
من الاعرابي ذلك راعه امره فامر حاجبه بالكف عنه ثم جاء الرشيد
الى الحجر الاسود ليستلمه فسبقه الاعرابي اليه ثم جاء الى المقام ليصلي
فيه فسبقه الاعرابي اليه فصلى فيه فلما فرغ الرشيد من صلوته
قال لحاجبه ائتني بهذا الاعرابي فاتاه الحاجب فقال اجب امير المؤمنين
فقال مالي اليه من حاجة ان كان له حاجة فهو احق بالقيام منه
والسعي اليه ثم نهض حتى وقف ازاء الاعرابي وسلم عليه فرد السلام
فقال الرشيد يا اخا العرب اجلس هنا بامرك فقال ليس البيت بيتي ولا
الحرم حرمي وكلنا فيه سواء فان شئت تنصرف قال فعظم ذلك على
الرشيد وسمع ما لم يكن في ذهنه وما ظن انه يواجه بمثل هذا الكلام
فجلس الرشيد وقال يا اعرابي اريد ان اسألك عن فرضك فان اقمت
به فانت بغيره اقوم وان عجزت عنه فانت عن غيره اعجز فقال الاعرابي
اريد ان اسألك عن فرضك فان اقمت به فانت بغيره اقوم وان عجزت
عنه فانت عن غيره اعجز فقال الاعرابي سؤال التعلم او سؤال التعنت فتعجب
الرشيد لسرعة جوابه وقال بل سؤال التعلم فقال الاعرابي قم فاجلس
مقام السائل من المسئول قال فقام الرشيد وجاء على ركبتيه بين
يدي الاعرابي فقال قد جلست فاسأل عما بدا لك فقال له اخبرني

عما افترض الله عليك فقال الرشيد عن اي فرض تسألني عن واحد ام عن
خمسة ام عن سبعة عشر ام عن اربعة وثلاثين ام عن خمسة وثمانين
ولا يقوم ذلك كله الا بواحدة من اثني عشر وواحدة من طول عمرك ام
عن واحدة من اربعين ام عن خمسة من مائتين قال فضحك الرشيد
حتى استلقى على قفاه استهزاء به ثم قال له سألتك عن فرضك
فاتيتني بحساب الدهر كله قال يا هرون لولا ان الدين بالحساب
لما اخذ الله الخلايق بالحساب يوم القيمة فقال تعالى وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا
بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ فظهر الغضب في وجه الرشيد واحمرت عيناه
حين قال له يا هرون ولم يقل يا امير المؤمنين وبلغ منه مبلغا شديدا
غير ان الله تعالى عصمه منه وحال بينه وبين الاعرابي لما علم ان الله
هو الذي انطق الاعرابي بذلك فقال له الرشيد يا اعرابي ان فسرت ما
قلت نجوت والا ضربت عنقك بين الصفا والمروة فقال له الحاجب يا
امير المؤمنين اعف عنه وهبه لله تعالى ولهذا المقام الشريف قال
فضحك الاعرابي من قولهما حتى استلقى على قفاه فقال الرشيد مما تضحك
قال عجبا منكما اذ لا ادري ايكما اجهل الذي يستوهب اجلا قد حضر ام
الذي يستعجل اجلا لم يحضر قال فهال الرشيد ما سمع منه وهانت نفسه

عليه قال الاعرابي اما سؤالك عما فرض الله على عبده فرض على فرائض كثيرة
فقولي لك عن فرض واحدة فهو دين الاسلام واما قولي لك عن
خمسة فهي الصلوة الخمس واما قولي لك عن سبعة عشر فهي سبعة
عشر ركعة واما قولي لك عن اربعة وثلاثين فهي السجدات واما
قولي لك عن خمسة وثمانين فهي التكبيرات واما قولي لك عن واحد
من اربعين فهي زكوة الذهب دينارا عن اربعين واما قولي لك
عن واحد في طول العمر فهي حجة الاسلام وواحد في طول
العمر كله على الانسان واما قولي لك عن خمس من مائتين فهو
زكوة الورق قال فامتلا الرشيد فرحا وسرورا من تفسير هذه المسائل
ومن حسن كلام الاعرابي وعظم الاعرابي في عينه وتبدل بغضه
محبة سالتني فاجبتك وانا اريد ان اسالك فاجبني قال قل فقال سوال الاعرابي
الاعرابي ما تقول في رجل نظر الى امراة في وقت صلوة الفجر فكانت
عليه محرمة فلما كان وقت الظهر حلت له فلما كان وقت العصر
حرمت عليه فلما كان وقت المغرب حلت له فلما كان وقت العشا
حرمت عليه فلما كان وقت الفجر حلت له فلما كان وقت الظهر
حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما كان وقت المغرب
حرمت عليه فلما كان وقت العشا حلت له فقال والله يا اخا

العرب

العرب لقد اوقعتني في بحر لم يخلصني منه غيرك فقال له انت
خليفة وليس فوقك احد ولا ينبغي ان تعجز عن مسالة فكيف عجزت
عن مسئلتي وانا رجل بدوي ولا قدرة لي قال الرشيد قد عظم
قدرك في العلم ورفع ذكرك فاشتهي اكرامالي ولهذا المقام تفسير
ذلك فقال حبا وكرامة ولكن على شرط ان تجبر الكسير وترحم الفقير
ولا تزدري بالحقير فقال حبا وكرامة ثم قال اما قولي عن رجل نظر الى
امراة وقت صلوة الفجر فكانت عليه حراما فهو رجل نظر الى امة
لغيره وقت الفجر وهي حرام عليه فلما كان وقت الظهر اشتريها
حلت له فلما كان وقت العصر اعتقها حرمت عليه فلما كان
وقت المغرب تزوجها حلت له فلما كان وقت العشا طلقها حرمت
عليه فلما كان وقت الفجر راجعها حلت له فلما كان وقت الظهر
ظاهر منها حرمت عليه فلما كان وقت العصر اعتق عنها
حلت له فلما كان وقت المغرب ارتد عن الاسلام حرمت عليه
فلما كان العشا تاب ورجع الى الاسلام حلت له قال فاغتبط وفرح
به واشتد اعجابه ثم امر له بعشرة الاف درهم فلما احضرت
قال لا حاجة لي بها ردوها الى اصحابها فقال تريد ان نجري عليك
كفاية حراثة تكفيك مدة حيوتك قال الذي اجرى عليك يجري

علی قال فان کان علیك دین قضیناه عنك قال لا ولم یقبل منه شیٔا

ثم انشد یقول

هب الدنیا تواتینا سنینا ... فتکدر ساعة وتلذ حینا

فما ابغی لشیٔ لیس یبقی ... فاترکه غدا للوارثینا

کانی بالتراب علی محوا ... وبالاخوان حولی نادبینا

وفی نزفرا النیران فیه ... وتقتسم جهرة للسامعینا

وعزة خالقی وجلال ربی ... لانتقمن منهم اجمعینا

وقد شاب الصغیر بغیر ذنب ... فکیف یکون حال المجرمینا

فلما فرغ من انشاده تاوه الرشید وسئله عن اهله وبلاده

فوجده انه موسی الرضی ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن

علی ابن الحسین ابن علی ابن ابیطالب علیهم الصلوة والسلام

وکان یتزیا بزی الاعراب زهدا فی الدنیا وتورعا عنها فضام

الرشید الیه وقبل ما بین عینیه ثم قرا الله اعلم حیث یجعل

رسالته وانصرف

ومن الوقایع بین الحبیب والمحبوب والصبر علی شداید المحبة

قال السجستانی ارق الرشید لیلة فوجه الی الاصمعی والی

حسین الخلیع فاحضرهما وقال عللانی وابدا انت یا حسین فقلت نعم

یا امیر المؤمنین خرجت فی بعض السنین منحدرا الی البصره ممتدحا

محمد ابن سلیمان الزینبی بقصیدة فقبلها وامرنی بالمقام فخرجت ذات

یوم الی البریة وجعلت الهابلیه طریقی فاصابنی حر شدید

فدنوت من باب دار کبیرة لاستقی کانها قضیب تثنی وسنا

العینین ازجه الحاجبین مفتوحه الجبین علیها قمیص جلناری ورداء

عدنی قد غلب شدة بیاض بدنها حمرة قمیصها یتلالا الامر تحت

القمیص ثدیین کرمانتین وبطن کطی القباطی وعکن کالقراطیس لها

حمة جعد بالمسك محشوه وهی یا امیر المؤمنین متقلدة حو من

الذهب والجوهر یزهر بین نهدیها وعلی صحن جبینها طرة کالسبج

وحاجبان مقرونان وعینان نجلاوتان وخدان اسیلان وانف

اقنی تحته ثغر کاللؤلؤ واسنان کالدر وقد غلب علیها

الطیب وهی والهة حیرانة ذاهبه فی الدهلیز ورائحة تخطر

علی اکباد محبیها فی مشیها وقد خالط اصوات خلخالیها وهی کما قال الشاعر

کل جزء من محاسنها ... کاین من حسنها مثلا

فهبتها یا امیر المومنین ثم دنوت منها لاسلم علیها فاذا الدهلیز والدار

والشارع قد عبق بالمسك فسلمت علیها فردت بلسان منکسر

وقلب حزین حریق مستعر فقلت لها یا سیدتی انی شیخ

عزيبا اصابني عطش افتامرين بشربة من ماء فتجودين عليها
فقالت اليك عني يا شيخ فاني مشغولة عن الماء وادخال الزاد
قلت لاي علة يا سيدتي قالت لاني عاشقة لمن لا ينصفني واريد
من لا يريدني ومع ذلك فاني ممتحنة برقبا
فوق رقبا قلت وهل يا سيدتي على بسطة الارض من تريدينه
ولا يريدك قالت نعم وذلك لفضل ما ركب فيه من الجمال والكمال
والدلال قلت وما وقوفك في هذا الدهليز قالت ههنا
طريقه وهذا اوان اجتيازه قلت لها يا سيدتي فهل اجتمعتما
في وقت من الاوقات او جرى حديث في هذا القرب فتنفست الصعدا
وارخت دموعها على خدها كطل سقط على ورد ثم انشات تقول شعرا

وكنا كغصني بانة فوق روضة	نشم جنا اللذات في عيشة رغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع	فيا من راى فردا يحن الى فرد

قلت يا هذه فما بلغ من عشقك لهذا الفتى قالت ارى الشمس على
على حائطهم لحسبانها هو وربما اراه بغتة فابهت ويهرب الدم و
الروح من جسدي وابقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل فقلت
لها اعذريني فانت على ما بك من الصبوة وشغل البال بالهوى وانحلال
الجسم وضعف القوى ارى بك من اللون ورقة البشرة فكيف لو لم يصبك

الهوى لكنت مفتتنة في ارض البصرة قالت والله كنت قبل محبتي
هذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال ولقد افتتن جميع
ملوك البصرة حتى افتتن هذا الغلام قلت يا هذه فما الذي فرق
بينكما قالت نوائب الدهر ولحديثي وحديثه شان من الشئون
وذلك اني كنت قعدت في يوم نوروز ودعوت عدة من متصرفات
البصرة فيهن من الجواري جارية سيران وشراؤها عليه من عمان
بثمانين الف درهم وكانت بي ولعة فلما دخلت رمت بنفسها
علي تقطعني قرصا وعضا ثم خلونا نتمزز القهوة الى ان يدرك
طعامنا ويجتمع من دعونا وكانت تلاعبني والاعبها فتارة انا
فوقها وتارة هي فوقي فحملها السكر الى ان ضربت يدها الى تكتي
فحلتها من غير ريبة كانت بيننا ونزلت سراويلي بالملاعبة فبينما نحن
كذلك اذ دخل علي حبيبي فرأى ذلك فاغتاظ وصدف عني صدوف
المهرة العربية اذا سمعت صلاصل لجامها فولى خارجا فانا يا شيخ
منذ ثلاث سنين اسال الحيلة واستعطف فلا ينظر الي بطرف ولا
يكتب الي بحرف ولا يكلم لي رسولا ولا يسمع مني قليلا قلت يا هذه
من العرب هو او من العجم قالت ويحك هو من جلة ملوك البصرة
قلت لها شيخ او شاب فنظرت الي شزرا وقالت انك احمق هو

مثل القمر ليلة البدر اجود امرد له طرة كجنح الغراب فلا يعيبه
شيء غير انحراف عنق فقلت لها ما اسمه قالت ماذا تصنع قلت
اجتهد في لقائه واتعرف الفضل بينكما قالت على شرط ان تحمل
اليه رقعه قلت لا اكره ذلك فقالت اسمه ضمرة ابن المغيرة
ويكنى ابا السخا وقصره بالمربد ثم صاحت في الدار يا جوار الدواة
والقرطاس وشمرت عن ساعدين كانهما طوقان من فضه وكتبت
بعد التسميه سيدي ترك الدعاء في صدر رقعتي ينبئ عن تقصيري
ودعاي ان دعوته هجنه ودعونه ولولا ان بلوغ المجهود يخرج
عن حد التقصير لكان لما تكلفته خادمتك من كتابة هذه الرقعه معنى
مع ياسها منك لعلمها ترك الجواب سيدي جد بنظرة وقت
اجتيازك في الشارع الى الدهليز يحيى بها نفسا ميته واخطط
بخط يدك بسطها الله بكل فضيلة رقعة واجعلها عوضا عن
تلك الخلوات التي كانت بيننا في الليالي الخاليات التي ذاكرها
سيدي الست لك محبه مدنفه فان رجعت الى الاذيه كنت لك
شاكرة وبعد حامدة والسلام فتناولت الكتاب وخرجت فلما
اصبحت غدوت الى باب محمد ابن سليمان فوجدت مجلسا محتفلا
بالملوك ورايت غلاما قد زان المجلس وفاق على من فيه جمالا

وبهجه

وبهجه وقد رفعه الامير فوقه فسالت عنه فاذا هو ضمرة
ابن المغيرة فقلت في نفسي بالحقيقه حل بالمسكينه ما حل بها
وقصدت المربد ووقفت على باب داره فاذا هو قد ورد في
مركب فوثبت اليه وبالغت في الدعاء له وناولته الرقعه
فلما قراها وفهم معناها قال لي يا شيخ قد استبدلنا بها
فهل لك ان تنظر الى البديل قلت نعم فصاح في الدار اخرجوا
الرند فاذا انا بجارية خاطوطية الكمين ناهدة الثديين تمشي
مشيه مترجل من غير رجل فناولها الرقعه وقال اجيبي عليها
فرايتها اصفرت وعرقت وقالت يا شيخ استغفر الله مما جئت
فيه فخرجت يا امير المؤمنين وانا اجر رجلي حتى اتيتها واستاذنت
عليها ودخلت فقالت ما وراك فقلت البؤس واليأس قالت
ما عليك منه فاين الله والقدر ثم امرت بخمس مائة دينار و
خرجت ثم جزت بعد ايام ببابها فوجدت غلمانا وفرسانا فدخلت
واذا اصحاب ضمرة يسالونها الرجوع اليه قالت لا والله لا انظر الى
في وجهه فسجدت لله يا امير المؤمنين شماتة بضمرة وتقربت من الجاريه
فاودت على منه رقعه فاذا فيها بعد التسميه سيدتي لولا ابقائي
عليك ادام الله حياتك لوصفت شطرا من غدرك وبسطت على

سطر عيني عليك وسلت ظلامتي فيك اذكت الجانية على نفسك
ونفسي والمظهرة لسوء العهد وقلة الوفاء والمؤثرة علينا غيرنا
فخالفت هواي والله المستعان على ما كان من سر احبائي والسلم
فاوقفني على ما حمله اليها من الهدايا والتحف والتنايا واذا
هو بمقدار ثلاثين الف دينار ثم رايتها بعد ذلك وقد تزوج
بها ضمرة فقال الرشيد لولا ان ضمرة سبقني اليها لكان لي معها
شأن من الشئون ونظير ذلك ما حكي مسرور الخادم قال ارق الرشيد ارقا
شديدا فقال يا مسرور من بالباب من الشعراء فخرجت الى الدهليز
فوجدت جميل بن معمر العذري فقلت اجب امير المؤمنين فقال سمعا و
طاعة فدخلت ودخل معي الى ان صار بين يدي هرون فسلم
سلام الخلافة فرد عليه وامره بالجلوس فجلس فقال له الرشيد
يا جميل اعندك شيء من الاحاديث العجيبة قال نعم يا امير المؤمنين
اقبل علي بكلك واصنع الي باذنك قال فعمد الرشيد الى مخدة من
الديباج الاحمر المزركش بالذهب محشوة بريش النعام فجعلها تحت
فخذه ثم مكن مرفقيه وقال هلم حديثك يا جميل فقال اعلم يا امير المؤمنين
اني كنت مفتونا بحب فتاة محب لها وكنت الفاها اذ هي سولي وبغيتي
من الدنيا وان اهلها رحلوا بها لقلة المرعى فاقمت مدة لم ارها

ثم

ثم ان الشوق اقلقني وجذبني اليها فراودتني نفسي بالمسير اليها
فلما كانت ذات ليلة من الليالي هزني الوجد اليها فقمت
وشددت بسيفي وشكت بجحفتي وركبت ناقتي وخرجت طالبا لها
وكنت اجد في المسير فسرت وكانت ليلة مظلمة مدلهمة وانا مع
ذلك اكابد هبوط الاودية وصعود الجبال اسمع زئير الاسد و
عوى الذئب واصوات الوحوش من كل جانب وقد ذهب عقلي
وطاش لبي ولساني لا يفتر من ذكر الله تعالى فبينما انا اسير كذلك
اذ غلبني النوم فاخذت بي الناقة عن الطريق التي كنت فيها واخذ
علي النوم وانا اثني لطمتي في راسي فانتبهت فزعا مرعوبا واذا انا باشجار
وانهار وماء والطيار على تلك الاغصان ترهق بلغاتها والحانها
واشجار ذلك المرج مشتبكة بعضها ببعض فنزلت عن ناقتي واخذت زمامها
بيدي ولم ازل اتلطف بها الى ان خرجت بها من تلك الاشجار الى الارض
فلاة فاصلحت كورها واستويت راكبا على ظهرها ولا ادري الى اين
اذهب ولا الى ما تسوقني الاقدار فمددت نظري في تلك البرية
فلاحت لي نار في صدرها فوكزت ناقتي نحوها وسرت طالبا الى ان
وصلت الى تلك النار فقربت منها وتاملت واذا انا بخباء مضروب
ورمح ودابة قائمة وخيل واقفة وابل سائمة فقلت في نفسي يوشك ان

ان يكون لهذا الخبا شان عظيم فاني لا ارى في هذه البرية سواه ثم تقدمت الى خلف الخبا وقلت السلام عليكم يا اهل الخبا ورحمة الله وبركاته فخرج الي من الخبا غلام من ابناء تسعة عشر كانه البدر اذا اشرق والشجاعة لائحة بين عينيه فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا اخا العرب اني لاظنك ضالا عن الطريق فقلت الامر كذلك فارشدني يرحمك الله فقال يا اخا العرب ان بلدنا هذه مسبعة وهذه الليلة مظلمة موحشة شديدة الظلمة والبرد ولا امن عليك من الوحش ان يفترسك فانزل عندي على الرحب والسعة فاذا كان الغد ارسلتك الى الطريق قال فنزلت عن ناقتي وعقلتها بفاضل زمامها ونزعت ما كان علي من اطماري وجلست ساعة واذا بالشاب قد عمد الى شاة فذبحها واثار باججها واضرمها ثم دخل الخباء واخرج ابزارا ناعمة وملحا طيبة واقبل يقطع من ذلك اللحم ويشوي على النار ويطعمني ويتنهد تارة ويبكي تارة اخرى ثم شهق شهقة عظيمة وبكى بكاء شديدا وانشد

لم يبق الا نفس خافت … ومقلة انسانها باهت
لم يبق في اعضائه مفصل … الا وفيه سقم ثابت
فدمعه جار واحشاؤه … توقد الا انه ساكت

تبكي له اعداؤه رحمة … يا ويح من يرثي له الشامت

قال جبل فعند ذلك علمت ان الغلام عاشق ولهان لا يعرف الهوى الا من ذاق طعم الهوى فقلت في نفسي انا في منزل الرجل واتهجم عليه في السؤال فرددت نفسي واكلت من ذلك اللحم بحسب الكفاية فلما فرغنا من الاكل قام الشاب ودخل الخبا واخرج طشتا نظيفا وابريقا حسنا ومنديلا من الحرير واطرافه مزركشة من الذهب ورقم حاشيته وقلت في نفسي ما اغرب الظرف في البادية ثم غسلنا ايدينا وتحدثنا ساعة ثم انه قام ودخل الخبا وقطع بيني وبينه بقطع من الديباج الاحمر ثم خرج الي وقال ادخل يا وجه العرب وخذ مضجعك فقد لحقك في هذه الليلة تعب وفي سفرك هذا نصب مفرط قال جبل فدخلت فاذا انا بفراش من الديباج الاخضر فعند ذلك نزعت ما علي من الثياب وبت بليلة لم ابت في عمري ليلة مثلها فلم ازل كذلك وانا متفكر في امر هذا الشاب الى ان جن الليل ونامت العيون فلم اشعر الا بحس خفي لم اسمع الطف منه ولا ارق حاشية فرفعت سجف المضرب ونظرت واذا انا بصبية لم ار احسن منها وجها وهي الى جانبه وهما يبكيان ويتشاكيان الم الهوى والصبابة والجوى وشدة اشتياقهما الى التلاق فقلت بالله

العجب من هذه الشخص الثانى وهذا فرد ببث فانى لم ارفيه غير هذا الفتى
ولا حوله احد ثم قلت فى نفسى لا شك ان هذه الجاريه من بنات الجن تهوى
هذا الغلام وقد تفرد بها فى هذا المكان وتفردت فحققتها فاذا
هى انسيه عربية اذا رمقت تخجل الشمس المضيئه وقد اضاء الخيام من نور
وجهها فلما تحققت انها محبوبته غلبتنى الغيره على الحب فارخيت
الستر وغطيت وجهى ونمت فلما اصبحت لبست ثيابى وتوضات
لصلاتى وصليت ما كان على من الفرض ثم قلت يا اخا العرب هل لك
ان ترشدنى الى الطريق فقد تفضلت على فنظر الىّ وقال على رسلك
يا وجه العرب الضيافة ثلاثة ايام وما كنت بالذى يدعك الى الثلاثة
الايام قال جميل فاقمت عنده ثلاثة ايام فلما كان اليوم الرابع
جلسنا للحديث فحادثته وسالته عن اسمه ونسبه فقال اما
نسبى فانا من بنى عذرة وانا فلان ابن فلان وعمى فلان فاذا
هو ابن عمى يا امير المؤمنين وهو من اشرف بيت من بنى عذره
فقلت يا ابن العم ما حملك على ما اراه منك من الانفراد فى هذه
وكيف تركت عبيدك واماءك وانفردت بنفسك فى هذا
المكان فلما سمع يا امير المؤمنين كلامى تغرغرت عيناه
بالبكاء ثم قال يا ابن العم انى كنت محبا لابنة عمى مفتونا بها هايما

بجها

بحبها مجنونا عليها لا اطيق الفراق عنها فزاد عشقى لها فخطبتها
من عمى فابى ان يزوجنيها وزوجها رجلا من بنى عذرة ودخل بها
واخذها الى المحلة التى هو فيها من العام الاول فلما بعدت عنى
وحجبت عن النظر اليها حملتنى لوعات الهوى وشدة الشوق و
الجوى على تركى اهلى ومفارقتى عشيرتى وخلانى وجميع نعمتى
وانفردت بهذا البيت فى هذه البرية والفت وحدتى فقلت
واين بياتهم قال هم قريب من دون هذا الجبل وهى كل ليلة
عند نوم العيون وهدو من الليل تنسل من الحى سرا بحيث
لا يشعر بها احد فاقضى منها بالحديث وطرا وتقضى هى كذلك
وها انا مقيم على هذه الحال اتسلى بها ساعة من الليل ليقضى
الله امرا كان مفعولا او تاتينى الامر على رغم الحاسدين او يحكم
الله لى وهو خير الحاكمين وقد ابطات الليلة عن وقتها الذى
كانت تجى فيه واخاف ان يكون الاسد قد اعترض لها وانشاء

مابال مية لا ياتى كعادتها … اعاقها عائق ام صدها ملل
لكن قلبى لم يشغله غيركم … الى الممات ومالى غيركم شغل
لو تعلمين الذى بى من فراقكم … لما اعتذرت ولا طابت لك العلل
نفسى فداك قد احللت بى سقما … تكاد من حره الاعضاء تنفصل

لو ان عادية مدت على جبل … لانهد وانتك من اركانه الجبل

ثم غاب عني طويلا واقبل وعلى يده شيء يحمله وقد على نحيبه وبكاؤه فالقاه فارتعدت فرايصي وقمت انظر ما حاله فقال هذه ابنة عمي ارادت زيارتي فاعترض لها الاسد وافترسها ثم انتضى سيفه وغاب عني حتى ايست منه ثم عاد ومعه شيء يجره فاذا هو قتل الاسد وجاء به وانشا يقول

الا ايها الليث المذل بنفسه … هبلت لقد جرت يداك الكسرا
وخلفتني فردا وقد كنت انيسا … وصيرت اثار البلاد بها قفرا
اصبحت دهرا خافني بفراقها … معاذ الهي ان اكون له برا

ثم التفت الي وقال بالحرمة والعشرة الا ما فعلت ما اسئلك قلت هات ما بدا لك قال انك سترا لي عما قليل بين يديك ميتا فاذا انا مت فادخلني انا وبنت عمي في شملتي هذه واحفر لنا قبرا في موضعنا هذا وادفنا واكتب على قبرنا هذين البيتين

كنا على ظهرها والعيش في مهل … والدار يجمعنا والانس والوطن
ففرق الدهر بالتشتيت غربتنا … واليوم يجمعنا في بطنها الكفن

ورد الغنم على صاحبها وامض مصاحبا الله تعالى ثم مال الى شجرة فربط حبلا وشده في حلقه وتعلق به فناشدته الله لا يفعل

فاني وجعل يخنق نفسه حتى مات ففعلت ما امرني به فعجب امير المؤمنين من وفائه

حكاية في مخالطة الابلهين باصحاب اللهو واللعب

قال اسحق ابن ابرهيم الموصلي كنت ليلة من الليالي في البيت فلم اشعر الا بطارق يطرق الباب فخرجت فاذا انا بجارية لم ار احسن منها خلقا فردت علي السلام وقالت

سرا اقطع الظلما والليل عاكف … محب باوقات الزيارة عارف
فما راعني الا السلام وقولها … ايدخل محبوب على الباب واقف

فرحت بها وادخلتها الدار واحضرت الطعام فاكلنا بحسب كفايتنا واحضرت المدام وبتنا في احسن ليلة ومنادمة وبوس وتقبيل الى ان انتصف الليل فقالت لي اريد مغنيا يغنينا فخرجت طاعة لها الا اني ايس من ان ارى احدا في مثل هذا الوقت فلم ازل حتى بلغت الشارع فاذا انا باعمى يخبط الارض بعصاه وهو يقول لا جزى الله من كنت عندهم خيرا ان غنيت لم يسمعوا الي وان سكت استخفوا بي فقلت امغن انت قال نعم قلت فهل لك ان تتم ليلتك عندنا وتؤانسنا قال ان شئت خذ بيدي فاخذت بيده وسرت الى الدار وقلت لها يا سيدتي اي فائدة في مغن اعمى نلتذ به ولا يرانا فقالت علي به فادخلته وعزمت عليه في الطعام فاكل اكلا لطيفا وغسل يده وقدمت اليه

الشراب فشرب ثلاثة اقداح ثم قال من تكن قلت اسحق ابن ابرهيم الموصلي
قال لقد كنت اسمع لك والان فرحت بمنادمتك فقلت يا سيدى
فرحت بمن يسرك فقال غن يا اسحق فاخذت عن سبيل المجون وقلت
السمع والطاعة فلما ان غنيت وانقضى الصوت قال يا اسحق فاردت
ان تكون مغنيا فضعها الى نفسى والقيت العود من يدى قال ما
عندك من يحسن الغناء قلت عندى جاريه قال مرها فلتغن قلت
تغن وانت واثق بغناها قال نعم فغنت قال ما صنعت شيئا
فرمت العود من يدها مغضبه وقالت الذى عندنا جدنا فان كان
عندك شئ فتصدق به فقال على بعود لم تمسه يد فامر الخادم
فجاء بعود جديد فضرب به فى طريق لا اعرفها واندفع يغنى هذه الابيات

سرا يقطع الظلما والليل عاكف … محب باوقات الزيارة عارف
وما راعنا الا السلام وقولها … ايدخل محبوب على الباب واقف

قال فنظرت الجاريه الى شزرا وقالت سريعنى وبينك ما
وسعه صدرك ساعة واودعته لهذا الرجل فحلفت لها وعندت
اليها ثم اخذت اقبل يدها وادغدغ ثديها واعض خديها حتى
ضحكت ثم التفتت الى الاعمى وقالت غن يا سيدى فاخذ العود وغنى

الا ربما زرت الملاح وربما … لمست بكفى للبنان المخضبا

ودغدغت

ودغدغت رمان الصدور ولم ازل … اعضض تفاح الخدود المكتبا

فقلت لها يا سيدى ومن اعلمه بما نحن فيه قالت صدقت
ثم تجنبناه فقال انى لحاقن فقلت يا غلام الشمعه وامض بين
يديه فخرج وابطأ فخرجنا فى طلبه فلم نجد واذا الابواب مغلقه
والمفاتيح فى الخزانه فلا ندرى افى السماء صعد او فى الارض
هبط فعلمت انه ابليس وانه قادلى ثم انصرف فذكرت قول ابى
نواس هذين البيتين

عجبت من ابليس فى كبره … وخبث ما اضمر فى نيته
تاه على ادم فى سجدة … وصار قوادا لذريته

ومن نظائر ما تقدم ما يستظرف لابى نواس

ما نقل عنه قال ضجرت من ملازمة امير المؤمنين هرون
الرشيد حتى انى لم اجد فراغا الى نفسى فتوجه امير المؤمنين
الى الرج ليبيت فيها ثم يعود فوجدت لروحى فرصه فدخلت دارى
واغلقت بابى واحضرت شرابا وطلبت بنفسى الخلوة فعند
المسا واذا بالباب يطرق فخرجت واذا انا بظبى من اولاد الاتراك
لم رأت عينى احسن منه فنظر فسلم على وقال اتقبل ضيفا
قلت يا سيدى ومن لى بذلك فدخل بيتى فحار عقلى عنده

دخوله ثم اخرج من تحت ثيابه سلاحه شراب ونقل وشيء من الرجبا
ثم شرب وغنى شيئا لم اسمعه من غيره وقضيت مرادي منه مرادا
الى ان مضى وقت من الليل وقد هام عقلي من الشراب ومن حسنه
ومن تسليم نفسه الي بغير تقديم عوض ثم قال يا سيدي اريد
الانصراف فقلت له يا سيدي متى خرجت انت خرجت روحي
من جسدي وكل شيء املكه بين يديك وانا اسير عبدك بعد هذا
اليوم ولا افارقك قال اصحيح ما تقول قلت نعم قال ما انا محتاج الى
مالك فان كنت صادقا في محبتك وكنت فيما ادعيت من محبتك قم
واحلق لحيتك وشاربك وتقعد مثلي امرد قال فحكم علي السكر
والعشق فما قدرت ان خالفه فاجبته الى ذلك على انه يبات عندي
فعمد الى موسى وبل لحيتي وفي الحال ازالها وبقيت مثله امردا ثم
صار يضحك علي وقال يا ابا نواس كيف الشعر الذي ذكرت
فيه ادم وابليس فانشدته

عجبت من ابليس في كبره … وخبث ما اضمر في نيته
تاه على ادم في سجدة … وصار قوادا لذريته

ثم ضحك ضحكا شديدا عاليا وضحك على ساحل قفاه مرعجا
مرعجا فاغتظت منه ثم قلت له ويلك تفعل بي هكذا ثم اردت التطلع

علیه

عليه فما وجدت احدا يجبني فعلمت انه ابليس الملعون المردود

وقال بعضهم في هذا المقام

قد جاءني ليلا ابو مرة … ابليس يدعوني بلا ترجمان
وقال لي هل لك في امرد … يهتز من اعطافه غصن بان
قلت نعم قال وفي حمزة … حبابها تحكي عقود الجمان
قلت نعم قال غنم امنا … فانت تصلح رئيس الزمان

وقال ابو نواس

وليلة طال سهادي بها … فزارني ابليس عند الرقاد
وقال لي هل لك في قحبة … كيسه تطرد عنا السهاد
قلت نعم قال وفي قهوة … عتقها العاصر من عهد عاد
قلت نعم قال وفي مطرب … اذا شدا تطرب منه الجماد
قلت نعم قال وفي شادن … قد كحلت اجفانه بالسهاد
قلت نعم قال وفي طفله … في وجنتها للحيا انقياد
قلت نعم قال فنم امنا … يا كعبة العشق وبيت الفساد

وقال زين الدين ابن الوردي معارضا لذلك

نمت وابليس اتى … بحيله منه بدر
فقال ما قولك في … حشيشة منجنه

فقلت لا قال ولا	خمره كرمذهبه
فقلت لا قال ولا	فى مليحه مطربه
فقلت لا قال ولا	اعيد كالبدر اشنبه
فقلت لا قال ولا	الهو مطربه
فقلت لا قال فنم	ما انت لا احطبه

وحضر ابو نواس عند الرشيد ليلة انس وكان ابو طوق حاضرا
وكان ابو نواس مشعوفا بحسنه وحماله فلما انقضى المجلس اخذ كل واحد
مضجعا للنوم فقال الخليفه لابي طوق نم انت على السرير وقال لابي
نواس نم انا وانت اسفل السرير فقال سمعا وطاعة وهو بذلك
غير راض فى نفسه وتغافل الخليفه عن ابى نواس واظهر النوم ثم
انتبه فوجد ابا نواس فوق السرير بجنب ابى طوق يضمه ويعانقه
فقال ما هذا يا ابا نواس فقال

هزنى الشوق	من اجل ابى طوق
فتدحرجت من	اسفل حتى الى فوق

فقال له قاتلك الله يا ابا نواس منقول من حلبة الكميت
ومن عجيب ما حكاه القاضى ابو الحسن التنوخى فى كتاب الفرج بعد الشدة
ان منارة صاحب هرون الرشيد قال رفع الى هرون ان رجلا

من بنى اميه عظيم الجاه كثير المال مطاع فى البلد له جماعة واولاد
ومماليك يركبون الخيل ويحملون السلاح ويغزون الروم وانه سمح
جواد كثير البذل والضيافه وانه لا يؤمن منه فعظم ذلك
على الرشيد قال منارة وكان وقوف الرشيد على هذا وهو بالكوفه
فى بعض حجه فى سنة ست وثمانين ومائة وقد عاد من الموسم
وقد بايع للامين والمامون والمعتصم اولاده فدعانى وهو خال
وقال انى دعوتك لامر يهمنى وقد منعنى النوم فانظر كيف تكون
ثم قص على خبر الاموى وقال اخرج الساعة فقد اعددت لك
الخيول وازحت عليك فى الزاد والنفقه والاله وتضم اليك مائة
غلام واسلك البرية وهذا كتاب الى نايب دمشق وهذه قيود
فابدا بالرجل فان سمع واطاع فقيده وائتنى به وان عصى فتوكل
عليه انت ومن معك لا يهرب وانفذ الكتاب الى امير دمشق
ليركب فى جيشه ولقبضا عليه وجئنى به وقد اجلتك لذهابك
ستا ولايابك ستا ويوم المقام وهذا محمل تجعله فى شقة منه اذا
قيدته وتقعد انت فى الشقه الاخرى ولا تكل حفظه الى غيرك حتى
تاتينى به فى اليوم الثالث عشر من يوم خروجك فاذا دخلت داره
فتفقدها وجميع ما فيها واهله وولده وحاشيته وغلمانه

وقد رتعت به والحال والمحل واحفظ ما يقول الرجل حرفا بحرف من الفاظه
منذ يقع طرفك عليه حتى تاتيني به واياك ان يشذ عليك شيئا من
امره انطلق قال فمضيت فودعته وانطلقت وخرجت وركبت الابل وسرت
اطوى المنازل اسير الليل ولا انزل الا لجمع بين الصلوتين والبول
وتنفيس الناس قليلا الى ان وصلت الى دمشق في اول النهار وابواب
البلد مغلقة فكرهت طرقها ليلا فبت بظاهر البلد الى ان فتح بابها
من غد فدخلت على هيئتي حتى اتيت باب الرجل وعليه صف عظيم و
حاشية كثيرة فلم استاذن ودخلت بغير اذن فلما راوا القوم ذلك
سئلوا بعض من معي عني فقال هذا منابر رسول امير المؤمنين الى صاحبكم
فلما صرت في صحن الدار نزلت ودخلت مجلسا رايت فيه قوما
جلوسا فظننت ان الرجل فيهم فقاموا ورحبوا بي فقلت افيكم فلان قالوا
لا نحن اولاده وهو في الحمام فقلت استعجلوه فمضى بعضهم يستعجله
وانا اتفقد الدار والاحوال والحاشيه فوجدتها ماجت باهلها
موجا كثيرا فلم ازل كذلك حتى خرج الرجل بعد ان طال واسترثيت
منه واشتد قلقي وخوفي من ان يتوارى الى ان رايت شخصا بدى
من الحمام يمشي في الصحن وحوله جماعة كهول واحداث وصبيان
وهم اولاده وغلمانه فعلمت انه الرجل فجاء وجلس وسلم سلاما

خفيفا وسالني عن امير المؤمنين واستقامة امر حضرته فاخبرته
بما وجب وما قضى كلامه حتى جاؤا بالطباق فاكله فقال
تقدم يا منارة وكل معنا فقلت ما لي ولا الى ذلك من سبيل
فلم يعاودني فاقبل ياكل هو ومن معه ثم غسل يديه بالطعام
فجاوا اليه بمائدة حسنة لم ار مثلها الا للخليفه فقال تقدم
يا منارة وساعدنا على الاكل لا يزيدني على ان يدعوني
فامتنعت عليه فما عاودني فاكل هو ومن عنده وكانوا تسعة
من اولاده فتاملت اكله في نفسه فوجدته ياكل اكل
الملوك ووجدت جاشه رابطا وذلك الاضطراب الذي كان
في داره قد سكن ووجدتهم لا يرفعون شيئا من بين يديه فقد
وضع على المائدة الا انهبا وقد كانوا غلمانه لما نزلت الى الدار
اخذوا مالي وغلماني وعدلوا بهم الى دار اخرى فما اطاقوا
مما منعتهم وبقيت وحدي وليس بين يدي الا خمسة او ستة
غلمان وقوف على راسي فقلت في نفسي هذا جبار عنيد وان امتنع
من الشخوص لم اطق اشخاصه بنفسي ولا بمن معي ولا احفظه الى
ان يلحق امير البلد وجزعت جزعا شديدا ورابني استخفافه
وتهاونه بامري يدعوني باسمي ولا يفكر في امتناعي ولا يسال

عما جئت به ويأكل طشتاً وانا متفكر في ذلك **فلما** فرغ من اكله
وغسل يديه ودعا بالبخور فتبخر وقام الى الصلوة وصلى الظهر
واكثر من الدعاء والابتهال ورايت صلاته حسنة فلما انفتل من
المحراب اقبل علي وقال يا منارة فاخرجت كتاب امير المؤمنين
ودفعته اليه ففضه وقراه فلما استتم قراءته دعى اولاده وحاشيته
فاجتمع منهم خلق كثير فلم اشك انه يريد ان يوقع بي فلما تكاملوا
ابتدا فحلف ايماناً غليظة فيها الطلاق والعتاق والحج والصدقة
والوقف ان اجتمع اثنان في موضع واحد وامرهم ان ينصرفوا و
يدخلوا منازلهم فلا يظهروا الى ان ينكشف لهم امر يعملوا عليه قال
وهذا كتاب امير المؤمنين بالمسير اليه ولست اقيم بعد نظري فيه
ساعة واحدة واستوصوا بمن ورائي من الحريم خيرا وما لي حاجة
ان يصحبني احد منكم هات قيودك يا منارة فدعوت بها وكانت في
سفط وساقه فقيدته وامرت غلماني بحمله حتى صار في المحمل وركبت
في الشق الاخر وسرت من وقتي ولم الق امير البلد ولا غيره
وسرت بالرجل ليس معه احد الى ان سرنا بظاهر دمشق فابتدا يحدثني
بانبساط حتى انتهينا الى بستان حسن في الغوطة فقال لي ترى هذا
فقلت نعم قال انه لي وقال ان فيه من غرايب الاشجار كيت وكيت ثم انتهى الى اخر

فقال

فقال مثل ذلك ثم انتهى الى مزارع حسان وقرى فقال مثل
ذلك هذا الي فاشتد غيظي منه وقلت له الست تعلم ان امير المؤمنين
اهمه امرك حتى ارسل اليك من انتزعك من بين اهلك ومالك
وولدك واخرجك وحيدا فريدا مقيدا ما تدري الى ما يصير
اليه امرك ولا كيف يكون وانت فارغ القلب من هذا
حتى تصف ضياعك وبساتينك هذا بعد ان جئتك وانت
لا تعلم فيما جئت به وانت ساكن القلب قليل التفكر لقد
كنت عندي شيخا فاضلا فقال لي مجيبا **انا لله وانا اليه**
راجعون اخطأت فراستي فيك لقد ظننت انك رجل كامل
العقل وانك ما حللت من الخلفاء هذا المحل الا لما عرفوك
فاذا عقلك وكلامك يشبه كلام العوام والله المستعان اما قولك
في امير المؤمنين وازعاجه اياي الى بابه على صورتي هذه
فاني على ثقة من الله عز وجل الذي بيده ناصية امير المؤمنين
ولا يملك امير المؤمنين لنفسه ضرا ولا نفعا الا باذن الله عز وجل
ولا ذنب لي عند امير المؤمنين اخافه وبعد فاذا عرف امري وعرف
سلامتي وصلاح ناحيتي سرحني مكرما فان الحساد والاعداء
موفون عندي بما ليس في ويتقولوا على الاقاويل الكاذبة لم يستحل

دمی ویخرج من اذای وادعاجی ویردنی مکرما واقامنی ببابه معظما
وان کان سبق فی علم الله عزوجل انه یبدو لی منه سوء وقد اقترب
اجلی وکان سفك دمی علی یده فلو اجتهدت الملائکة والانبیاء
واهل الارض والسماء علی صرف ذلك عنی ما استطاعوا فلم
اتعجل الفکر فیما فرغ الله منه وانی حسن الظن بالله الذی خلق
ورزق واحیی وامات وان الصبر والرضا والتسلیم الی من یملك
الدنیا والاخرة وقد کنت احسب انك تعرف هذا بتلیغ فهمك
فانی لا اکلمك بکلمة واحدة حتی تفرق بیننا حضرة امیر المؤمنین
انشاء الله تعالی ثم اعرض عنی فما سمعت من لفظه غیر القران
والتسبیح او طلب ماء او حاجة حتی شارفنا الکوفة فی الیوم
الثالث عشر بعد الظهر والنجب قد استقبلتنی علی فراسخ من الکوفة
یتجسسوا خبری فحین راونی رجعوا عنی متقدمین بالخبر الی امیر المؤمنین
فانتهیت الی الباب فی اخر النهار فحططت رحلی ودخلت علی هرون
الرشید وقبلت الارض بین یدیه ووقفت فقال هات ما عندك
بامارة وایاك ان تغفل منه عن لفظه واحدة فسقت الحدیث
من اوله الی اخره حتی انتهیت الی ذکر الفاکهة والطعام والغسل
والبخور وما حدثتنی به نفسی من امتناعه والغضب یظهر فی وجه

الخلیفه وتیزاید حتی انتهیت الی فراغ الاموی من الصلوة والتفاته
الی وسؤاله عن سبب قدومی ودفعی الکتاب الیه ومبادرته
الی احضار اهله وولده واصحابه وحلفه لهم وان لا یتبعه
احد وصرفه ایاهم ومد رجلیه فقیدته فما زال وجه الرشید
یتغیر فلما انتهیت الی ما خاطبنی عند توبیخی ایاه لما رکبنا فی
المحمل قال صدق ما هذا الا رجل محسود علی النعمة مکذوب
علیه ولعمری لقد ازعجناه واذیناه وروعنا اهله فبادر بنزع
قیوده وائتنی به قال فخرجت فنزعت قیوده وادخلته الی الرشید
فدنا الاموی فسلم بالخلافة ووقف فرد علیه الرشید ردا
جمیلا وامره بالجلوس فجلس واقبل علیه الرشید فسأله عن
حاله ثم قال بلغنا عنك فضل هیئة وامور احببنا معها ان نراك
ونسمع کلامك ونحسن الیك واذکر حاجتك فاجاب الاموی جوابا
جمیلا وشکر ودعا ثم قال وما حاجتی الا حاجة واحدة فقال
مقضیة فما هی قال یا امیر المؤمنین تردنی الی بلدی واهلی وولدی
قال نفعل ذلك ولکن سل ما تحتاج الیه من مصالح جاهك و
معاشك فان مثلك لا یخرج ولا یحتاج شیء من هذا فقال
یا امیر المؤمنین عمالك منصفون وقد استغنیت بعدلهم عن مسئلتی فاموری

مستقيمه وكذلك اهل بلدي بالعدل الشامل في ظل امير المؤمنين
فقال الرشيد انصرف محفوظا الى بلدك واكتب لنا بامر ان عرض
لك فودعه الاموي فلما ولى خارجا قال الرشيد باشاره احمله من
وقتك وسر به راجعا الى مسيره حتى اذا وصلت الى مجلسه الذي
اخذته منه فودعه وانصرف ففعل وهذه الحكايه على سبيل الاختصار

ومن اغرب الحكايات

ماحكي ان الخليفه هرون الرشيد قلق ذات ليلة من بعض الليالي
قلقا شديدا فاستدعى بوزيره نديمه جعفر البرمكي وقال له يا وزير ان صدري
ضيق ومرادي الليله التفرج في شوارع بغداد وننظر في مصالح
البلاد بشرط ان لا يعرفنا احد من الناس ونتزي في زي التجار الاكياس
فقال له الوزير السمع والطاعة وقاموا في الوقت والساعة فنزعوا ما
عليهم من ثياب الملك والافتخار ولبسوا ثياب التجار الخليفه والوزير
جعفر والسياف الاكبر ومشوا من مكان الى مكان حتى وصلوا الى الدجله
فراوا بالامر المقدر شيخا قاعدا في شختور فتقدموا اليه وسلموا
عليه وقالوا يا شيخ نشتهي من احسانك وفضلك ان تفرجنا الليلة
في مركبك وخذ هذين الدينارين اجرتك وانتفع بهما فقال
لهم الشيخ من الذي يقدر على الفرجه والخليفه هرون الرشيد

ينزل

ينزل كل ليلة في حراقة صغيرة الى الدجلة ومعه مناديا ينادي معاشر
الناس كافة جيد ودني شيخ وصبي خاص وعام عبد وغلام كل
من نزل في مركب في الليل وسق الدجله ضربت عنقه وشنق
على صاري مركبه وكانكم الساعة بالحراقه وهي مقبلة فقال
له الخليفه هرون الرشيد وجعفر البرمكي يا شيخ خذ هذين
الدينارين وادخل بنا قبو من تلك الاقبيه الى ان تروح الحراقه
فقال لهم الشيخ هاتوا الذهب والله المستعان فاخذ الذهب
وعزم بهم قليلا واذا بالحراقة قد اقبلت من كبد الدجله وفيها
الشموع والمشاعل تتقد فقال لهم الشيخ اما قلت لكم يا ستار لا تكشف لنا
فقال الخليفه هرون الرشيد والوزير جعفر البرمكي ادخل
بنا يا شيخ في قبو من الاقبية حتى تمضي هذه الحراقة فدخل بهم الى
قبو ووضع عليهم ميزرا اسودا وصاروا يتفرجون من تحت الميزر
واذا بالحراقة قد اقبلت والشمع يتقد فيها واذا في مقدم الحراقه
مشاعلي على قبا بيده مشعل من الذهب الاحمر يوقد فيه بالعود
القاقلي وعلى المشاعلي قبا اطلس احمر بطراز زركش اصفر وعلى راسه
شاش موصلي وعلى كتفه مخلاه من الحرير الاخضر ملانه عود قاقلي
وهو يوقد به عوض الحطب ومشاعل اخر مؤخر الحراقه مثله وملتي

مملوك واقفين ميمنة وميسرة وكرسي مصوب من الذهب الاحمر وعليه
شاب حسن جالس كالقمر وعليه حلة سوداء بطرازات من الذهب
الاصفر وبين يديه انسان كانه الوزير جعفر وعلى راسه خادم واقف
كانه مسرور بسيف مشهور وعشرين نديم فقال الخليفه يا جعفر قال
لبيك يا امير المؤمنين لعل ان يكون احدا ولادك المامون او محمد الامين
فلما وصلت الحراقه اليهم واذا بالمشاعلي ينادي معاشر الناس كافة الخاص
والعام والجيد والردي والعبد والغلام جهارات وغير جهارات
قد رسم خليفتنا هذا ان كل من تفرج في الدجلة او فتح طاقه حل ماله
وضربت رقبته ومن لا يصدق يجرب قال فتامل الخليفه هرون
الرشيد الى الشاب وهو جالس على كرسي من الذهب قد تحلى
بالحسن والجمال والبها والكمال قديم المنصب فلما تامله هرون
الرشيد التفت الى الوزير وقال يا وزير قال له لبيك يا امير المؤمنين قال والله
ما خلا من شكل الخلافه وهذا الذي بين يديه كانه انت يا جعفر بلا
محاله والخادم الذي على راسه كانه مسرور هذا وهؤلاء الندماء
كانهم ندماي وقد حار عقلي في هذا الامر فقال وانا والله يا امير المؤمنين
ثم تقدمت الحراقه الى ان غابت من العين فعند ذلك خرج الشيخ
بالتمحور التي فيها الجماعة من تحت القبوه وقال الحمد لله على السلامه

التي صادفنا فقال له الخليفه يا شيخ وهذا الخليفه ينزل كل ليله
في الدجله قال نعم يا سيدي له على هذه الحاله سنه كامله
فقال له الخليفه يا شيخ نشتهي من فضلك واحسانك ان تقف
لنا ليلة غد في هذا المكان ونحن نعطيك خمسة دنانير فانا قوم
غربا وقصدنا التنزه ونحن نازلون في الصدق قال السمع والطاعه
قال ثم ان الخليفه وجعفر ومسرور توجهوا من عند المراكبي الى
القصر ونزعوا ما عليهم من لبس التجار ولبسوا ثياب الملك والافخار
وجلس كل واحد في مرتبته ودخلت الامراء والوزراء والحجاب و
النواب وانعقد المجلس بالناس ولما انقضى النهار وتفرقت الاجناس
فقال الخليفه لوزيره جعفر انهض بنا للفرجه على الخليفة الثاني
فضحك جعفر ومسرور ولبسوا لبس التجار وخرجوا منشرحين الصدور
وكان خروجهم من باب السر فلما وصلوا الى الدجله وجدوا الشيخ
صاحب التمحور لهم في الانتظار فنزلوا عنده في المركب فلما استقروا
مع الشيخ المراكبي واذا بالخليفة الثاني في الحراقه و اقبلت عليهم
فتاملوا فاذا فيها ما تي مملوك غير المماليك الاول والمشاعليه
تنادي على عادتهم فقال الخليفه يا جعفر هذا شي لو سمعته به ما
صدقته ولكن رايت هذا عيانا ثم ان الخليفه قال لصاحب

النحمود يا شيخ هذا عشرة دنانير وسر بنا في ماواتهم فانهم في النوم
ونحن في الظلام ننظرهم ونتفرج عليهم وهم لا ينظرونا فاخذ الشيخ
العشرة الدنانير واطلق النحمود في ماواتهم وصار في ظلام الحراقه
ولم يزالوا كذلك حتى اثرهم الى اخر البساتين واذا بروسيه بطول الحراقه
الصقت عليها واذا بغلمان واقفين ومعهم بغلة مسرجة
ملجومة فطلع الخليفة الثاني وركب البغلة وسار بين الندمان ودعت
المشاعليه والحاوشيه واشتالت الغاشيه وطلع هرون الرشيد
وجعفر ومسرور الى البر وسقوا بين المماليك وساروا قدامهم
فلاحت لهم من المشاعليه التفات فراوا ثلاثة انفار لبسهم لبس
التجار وهم غربا فانكروا عليهم وغمزوا عليهم فمسكوهم واحضروهم
بين يدي الخليفة الثاني فلما نظر اليهم قال كيف وصلتم الى هذا المكان
وما الذي جاء بكم في مثل هذا الوقت فقالوا يا مولانا اليوم كان
قدومنا ونحن قوم غرباء تجار وخرجنا نتمشى الليله واذا بكم قد اقبلتم
وجاهؤلاء قبضوا علينا واوقفونا بين ايديكم وهذا خبرنا فقال الخليفة
الثاني طيبوا قلوبكم فلا باس عليكم لانكم قوم غرباء ولو كنتم من بغداد
ضربت اعناقكم للمخالفة ثم التفت الى وزيره وقال خذ هؤلاء صحبتك ليكونوا
ضيوفنا الليله فقال سمعا وطاعة ثم ساروا الى ان وصلوا الى قصر

عظيم الشان محكم البنيان ماحواه سلطان قصر قام من التراب
وتعلق باكناف السحاب بابه من خشب الساج مرصع بالذهب
الوهاج يدخل منه الى ايوان بفسقيه وشاذروان وحصر عيدان
ومخدات اسكندراني وستر مسبول وفرش يذهل العقول وعلى
عتبة الباب مكتوب هذه الابيات

قصر عليه تحية وسلام ... نثرت عليه جمالها الايام
فيه العجايب والغرايب نوعت ... فتحيرت في نعته الاقلام

فدخل الخليفة الثاني الى القصر والجماعة في خدمته الى ان جلس على
كرسي من الذهب مرصع بالدر والجوهر على الكرسي سجادة من الحرير
الاخضر لا يرى مثلها الا عند كسرى وقيصر ومزركشة بالذهب
الاحمر معلقة في بكرة من الصندل دياجها من الحرير الاصفر هذا
وقد جلسوا الندماء وصاحب سيف النقمة واقف بين يديه فمدوا السماط
واكلوا ورفع الخوان والايديهم غسلوا واحضرت الة المدام وصففت
الاواني والكاسات والطاسات والقناني ودار الدور الى ان
وصل الى الخليفة هرون فامتنع من الشراب فقال الخليفة الثاني لجعفر
ما بال صاحبك لا يشرب فقال يا مولاي له مدة ما شرب فقال
الشاب عندي مشروب غير هذا يصلح لصاحبك فقال على الشراب

التفاح ففى الحال احضر فقدم بين يدى هرون الرشيد وقال
كلما وصل اليك الدور اشرب من هذا ولا يزالوا يشربون فى
انشراح ويتعاطى اقداح الى ان تمكن الشراب من رؤسهم واستولى
على عقولهم ونفوسهم فقال الرشيد لوزيره جعفر والله يا وزير
ما عندى انية مثل هذه الانية فيا ليت شعرى ما يكون هذا
الشاب فبينما هما يتحادثان بلطافة اذ حانت من الشاب التفاتة
فوجد الوزير يتشوش فقال الوشوشة عربية فقال الوزير ثم ما
عربيه الان رفيقى هذا يقول سافرت غالب البلاد ونادمت
الملوك وعاشرت الاجناد ولا رايت احسن من هذا النظام ولا
اينه هذا المدام الان اهل بغداد يقولون الشراب بالسماع من جمله
المجون فلما سمع الخليفة الثانى هذا الكلام تبسم وانشرح
وكان بيده قضيب فضرب على صدورة واذا بباب فتح وخرج منه
خادم يحمل كرسيا من العاج مصفح بالذهب الوهاج وخلفه جارية
قد كملت بالحسن والجمال والبهاء والكمال فنصب الخادم الكرسى و
جلست عليه الجارية وهى كالشمس الضاحية وبيدها عود من صنعة
الهنود فارته وحنت اليه وغنت بعد ان ضربت اربعة وعشرون
طريقة عليه فاذهلت العقول وعادت الى الطريقة الاولى وتقول

لسان الهوى من مقلتى لك ناطق … ويخبر عنى اننى لك عاشق
ولى شاهد من فرط قلبى يعذب … وقلبى جريح من فراقك خافق
وكم اكتم الحب الذى قد اذابنى … وكبد قريح والدموع سوابق
وما كنت ادرى قبل حبك ما الهوى … ولكن قضى الرحمن فى الخلق سابق

فلما سمع الخليفة الثانى هذا الشعر من الجارية صرخ صرخة
عظيمة وشق البدلة الى الذيل فاسبلت عليه البشخانة واتى ببدلة
الى الذيل فاسبلت عليه البشخانة واتى ببدله غيرها احسن منها
فلبسها وجلس على عادته فلما وصل القدح اليه ضرب بالقضيب
على المدورة واذا بباب قد فتح وخرج منه خادم حامل كرسى من الذهب
وخلفه جارية احسن من الاولى وجلست على الكرسى وبيدها عود
يكمد الحسود وانشات تقول

كيف اصطبارى ونار الشوق فى كبدى … والدمع من مقلتى طوفانه مددا
والله ما طاب لى عيش اسر به … وكيف يفرح قلب حشوه كمدا

قال فصرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ما عليه الى الذيل واسبلت
البشخانة على العادة واوتى ببدله غيرها احسن منها فلبسها واستوى
جالسا ودام المدام وانبسط الكلام فلما وصل القدح اليه ضرب
القضيب على المدورة المدورة ففتح باب وخرج منه خادم على

العادة ومعه كرسي وخلفه جارية فجلست على الكرسي ومعها عود فغنت وانشدت

اقصروا هجركم وقلوا جفاكم	ففؤادي وحقكم ما سلاكم
وارحموا مدنفا كئيبا حزينا	ذو غرام متيم في هواكم
قد براه السقام من عظم وجد	يتمنى من الاله رضاكم
يا بدورا محلهم في فؤادي	كيف اختار في الانام سواكم

فصرخ الشاب وشق ما عليه من الثياب فارخوا عليه البشتخانه
واتوه ببدلة غيرها وعاد الى حالته مع ندمائه وحضرت الاقداح ودارت
الاقداح فلما وصل القدح اليه ضرب بالقضيب على المدورة ففتح باب
وخرج منه خادم حامل الكرسي وخلفه جارية فجلست على الكرسي و
اخذت العود وغنت

ترى يصير محال التهاجر والقلا	ويرجع لي ما قد مضى لي اولا
ايام كنا والديار تلمنا	في طيب عيش والحواسد غفلا
غدر الزمان بنا وفرق شملنا	من بعدها تيك المنازل والحلا
اتروم مني يا عذولي سلوة	واري لقلبي لا يطيع العذلا
فدع الملام وخلني بصبابتي	فالقلب من انس المحبة ما خلا
يا سادة نقضوا العهود وبدلوا	لا تحسبوا قلبي لبعدكم سلا

فلما فرغت الجارية صرخ الشاب صرخة عظيمة وشق ما عليه من

الثياب ووقع الى الارض مغشيا عليه وسقط منه القوى
والحيل فارادوا ان يرخوا عليه البشتخانه على العادة فعوقت
جمالها بالارادة فحانت من هرون الرشيد التفاته متدرع
فنظر الى اجناب الشاب اثر مقارع فقال الرشيد بعد النظر والتاكيد
لجعفر والله انه لشاب مليح الا انه لص قبيح وما عند احد منه
خبر هل رايت على اجنابه من الاثر وقد اسبلت البشتخانه على العادة
واتى ببدلة غيرها ولبسها وقد افاق من غشيه فاستوى
جالسا مع الندمان فحانت منه التفاته فوجد جعفر والخليفه
يتحادثان فقال لهم ما الخبر يا فتيان فقال جعفر يا مولاي خير
لا باس ولا يخفى ان رفيقي هذا من التجار الكبار وسافر جميع الامصار
وصحب الملوك والاخيار وقال ان الذي حصل من مولانا الخليفه
في هذه الليلة اسراف عظيم لم ار احدا فعل هذا الفعل في
سائر الاقاليم انه شق كل بدلة بخمسمائة دينار وهذا شيء زائد في
العيار فقال الشاب يا هذا المال مالي والقماش قماشي
وهذا من بعض انعامي على الخدم والحواشي فان كل بدلة
شققتها هي لواحد من الندماء الحضار وقد رسمت لهم ان
العوض على كل بدلة خمسمائة دينار فانشد عند ذلك الوزير

جعفر البرمكي يقول شعرا

بيت المكارم وسط كفك منزلا ... فجميع مالك في يديك مباحا
واذا المكارم غلقت ابوابها ... يوما فانت لقفلها مفتاحا

فلما سمع الشاب هذا الشعر من الوزير جعفر رسم
له بالف دينار وبدله ثم دارت بينهم الاقداح وطاب لهم
شراب الراح فقال الرشيد يا جعفر اساله عن الضرب الذي
رايناه على اجنابه حتى ننظر ما يقول في جوابه فقال الوزير يا مولاي
لا تعجل وترفق بنفسك فالصبر اجمل فقال وحياة راسي وتربة
العباس ما لم تسالة لاخمدت منك الانفاس فعند ذلك التفت
الشاب الى الوزير وقال له ما لك مع رفيقك وما الخبر فقال خيرا
يا مولانا فقال لسئلك بالله الا ما اخبرتني بخبره لا تكتم عني شيئا
من امره فقال يا مولاي على جنبك اثر سياط فتعجب من ذلك
غاية العجب وقال يا لله العجب الخليفه يضرب وقصد يعلم ما
السبب فلما سمع الشاب هذا الكلام تبسم وقال اللهم ونعم
اعلموا ان حديثي عجيب وامري غريب لو كتب بالابر على اماق
البصر لكان عبرة لمن اعتبر ثم تاوه وان واشتكي وانشد شعرا

حديثي عجيب جاز كل العجايب ... وحق اله قد عرف بالمواهب

فان شئتموا ان تسمعوا فانصتوا لنا ... ويسكت هذا الجمع من كل جانب
واصغوا الى قولي ففيه اشارة ... وان كلامي صادق غير كاذب
لاني قتيل من غرام ولوعة ... وقاتلتي فاقت جميع الكواعب
لها مقلة كحلا وخد موردد ... وتقتلني منها قسي الحواجب
وقد حس قلبي ان فيكم امامنا ... خليفة هذا الوقت وابن الاطايب
وثانيكما يدعى العزيز بجعفر ... حقيقة يدعى صاحب وابن صاحب
وثالثكم مسرور سياف نقمة ... فان كان هذا القول حقا وصايب
وقد نلت ما ارجوا على كل حالة ... وجاني سرور القلب من كل جانب

فعند ذلك حلف له جعفر انهم لم يكونوا المذكورين فضحك الشاب
وقال الذي اعرفكم به اني ما انا امير المؤمنين وانما سميت نفسي بهذا
الاسم لابلغ ما اريد من بنات هذا المدينه واسمي علي ابن محمد
الجوهري وان ابي كان من الاعيان ومات وخلف لي موالا لا
تاكلها النيران من ذهب وفضه ولؤلؤ ومرجان وياقوت وزمرد
وبهرمان وحمامات وحيطان وبساتين وبنادق وطواحين وعبيد
وجوار وغلمان فلما كان في بعض الايام وانا جالس في حانوتي
وحولي الحشم والخدم واذا بجارية قد اقبلت على بغلة وفي خدمتها
ثلاث جوار كانهن الاقمار ونزلت على دكاني وجلست وقالت انت

علي ابن محمد الجوهري فقلت لها مملوكك وعبد رقك فقالت هل
عندك عقد جوهر يصلح لمثلي فقلت لها يا سيدتي الذي عندي
يعرض عليك ويحضر بين يديك فان اعجبك شيء كان بسعد المملوك
وان لم يعجبك شيء منهم فبسوء حظي وكان عندي مائة عقد
جوهر فاعرضت عليها الجميع فلم يعجبها شيء منهم وقالت اريد
احسن مما رايت وكان عندي عقد صغير شراه علي والدي
بمائة الف دينار لم يوجد عند احد من السلاطين الكبار فقلت
يا سيدي بقي عندي عقد الفصوص والجواهر الذي لم
يملكه احد من الاصاغر والاكابر فقالت ارني اياه
فلما راته قالت الذي طول عمري اتمناه ثم قالت بكم ثمنه
في الاسعار فقلت شراه علي والدي بمائة الف دينار
فقالت ولك خمسة الاف فائدة فقلت لها يا سيدتي العقد
وصاحبه في الرق بين يديك ولا خلاف فقالت لا بد لك من
الفائدة ولك الجميلة الزائدة وقامت من وقتها عجلة وركبت بسرعة
البغلة وقالت يا سيدي نور الدين بسم الله تكرم صحبتنا لتاخذ
الثمن فان نهارك اليوم مثل اللبن فقمت وقفلت الدكان وسرت
معهم في امان الى ان وصلنا الى الدار فوجدتها دارا عليها الدقة

لائحة

لائحة والافتخار وعلى بابها مكتوب بالذهب واللازورد البيتين

ايا دار لا يدخلك حزن	ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف	اذا ما ضاق بالضيف المكان

فنزلت الجارية ودخلت وامرت بجلوسي الى ان ياتي التصير في
وجلست على باب الدار ساعة واذا بجارية خرجت الي وقالت يا سيدي
ادخل واجلس على جانب الايوان حتى تقبض مالك فقمت ودخلت
عليها البيت وجلست حيث امرتني واذا بكرسي من الذهب وعليه
ستارة من الحرير واذا بتلك الستارة قد رفعت فبان من تحتها تلك
الجارية التي اشترت مني العقد وقد اسفرت عن وجهه كانه
دارة القمر والعقد في عنقها فاندهش عقلي وحار لبي رؤية
تلك الجارية وحسنها فلما راتني قامت من على الكرسي وسعت
الي نحوي وقالت يا نور الدين من كان مليح ما يرق لمحبوبه
فقلت يا سيدتي الحسن كله وهو بعض من معانيك فقالت يا علي
اعلم اني احبك وما صدقت جئت بك الي عندي ثم انها طوقت
علي وعانقتني وقبلتها وقبلتني ثم الى عندها جذبتني وعلى
صدرها ارمتني فلما علمت مني اريد اهم بها قالت يا علي تريد
ان تجتمع في الحرام والله لا كان من يفعل الاثام ويرضى بقبيح

الكلام فانى بكر عذرا ما دنى منى احد ولست مجهولة فى البلد
اتعلم من انا فقلت لا والله وحلفت لها يمينا فقالت انا الست
دينا بنت يحيى ابن خالد البرمكى واخى جعفر البرمكى فلما سمعت ذلك
منها جمعت خاطرى عنها وقلت يا سيدتى ما لى ذنب فى التهجم
عليك وانت التى اطمعتنى فى احسانك والوصول اليك
قالت لا باس عليك ولا بد من الاحسان اليك فان امرى بيدى
والقاضى ولى عهدى والقصد ان اكون لك وتكون لى ثم انها
دعت بالقاضى والشهود وبذلت المجهود فلما حضروا قالت لهم
هذا نور الدين على ابن محمد الجوهرى وقد طلب زواجى ودفع
لى هذا العقد مهرى وانا قد قبلته ورضيت ثم ان القاضى
كتب كتابا فدخلت عليها بعد ان اعطت القضاة شيا ما له
حساب واحضرت المدام ودارت الاقداح باحسن نظام ولما
شعشعت الخمرة فى رؤوسنا امرت جارية عودية ان تغنى فانشدت

قلبى واما لى بساب رجائكم ... لا ابتغى فى الكون غير رضاكم
يا جيرة جاروا على بعدهم ... حنوا على وارحموا امضناكم
حاشاكم يا سادتى حاشاكم ... صبا معنى مغرما بهواكم
بالله جودوا وارحموا المتيم ... لا يستمع منه حديث سواكم

موتى

موتى اشتينا فى فوق طور دكها ... فاذا سباه حسنكم ناجاكم

قالت فطربنا الجارية بحسن غناها ولم تزل الجوارى يغنين جارية
بعد جارية وينشدن الاشعار الى ان غنت عشر جوار فعند ذلك
اخذت العود وانشات تقول

اقسم بلين قوامك المتباس ... انى لنار الهجر منك اقاسى
فارحم لصب فى هواك متيما ... يا بدر تم انت سيد الناس
انعم بوصلك كى انام لو يلة ... اجلو اجمالك فى ضيا الكاس
ما بين وورد جمعت الوانه ... مع نرجس ايضا وحسن الياس

قال الشاب ثم اخذت منها العود وضربت عليه وغنت هذه الابيات

سبحان ربى جميع الحسن اعطاك ... حسبى بعثتنا فى بعض اشراكى
يا من لها ناظر تسبى الانام به ... حذى الامان لنا من سحر عيناك
فالماء والنار فى خديك قد جمعا ... والورد جورى نبت فى وسط حداك
انت الغرام بقلبى والنعيم به ... فما امراك فى قلبى واحلاك

فلما سمعت منى ما قلت فرحت فرحا شديدا ثم انها صرفت الجوار
وقمنا الى احسن مكان قد فرش لنا فيه من ساير الالوان ونعت
ما عليها وخلوت بها خلوة الاحباب فوجدتها بنت بكر بخيم دبها
ففرحت بى وفرحت بها لم اعد فى عمرى ليلة اطيب منها وفيها

انشدت اقول شعرا

يا ليل دم لى لا اريد صباحا … كفى بوجه معانقى مصباحا
طوقته طوق الحمام بساعدى … وجعلت كفى للثام وشاحا
هذا هو الفوز العظيم فمن لنا … متعانقين فلا نزيد براحا

فاقمت عندها شهرا كاملا وقد نسيت الدكان والاهل والاوطان الى ذات يوم من الايام قالت يا نور الدين قد عزمت اليوم على المسير الى الحمام وانت اقعد على هذا السرير الى ان ارجع اليك فقلت سمعا وطاعة وحلفتنى ان لا انتقل من موضعى واحدث جواريها وذهبت الى الحمام فوالله يا اخوانى ما لحقت تخرج الى راس الزقاق الا والباب قد فتح وخرجت منه عجوز اى عجوز وقالت الست زبيدة تدعوك فقد سمعت بشبابك وطيب غنائك فقلت والله على يمين انى ما اقوم من مكانى حتى تاتى الست دينا فقالت العجوز يا نور الدين لا تخل الست زبيدة عدوتك قم كلمها وارجع فقمت من وقتى اليها والعجوز امامى الى ان وصلتنى الى بيت زبيدة فلما وصلت اليها قالت يا نور الدين انت معشوق الست دينا فقلت مملوكك وعبدك قال فقالت صدق الذى وصفك بالحسن والجمال فانك فوق

الوصف

الوصف والكمال والجمال ولكن غن لنا شيئا حتى اسمعك فقلت السمع والطاعة فاتتنى بعود وغنيت عليه وانشدت اقول

قلب المحب مع المحبوب متعوب … وجسمه بيد الاسقام منهوب
وفى الركائب من زمت حمولهم … الاوان له فى الظعن محبوب
استودع الله فى حبكم قمرا … يهواه قلبى وعن عينى محجوب
يرضى ويغضب ما احلاه لله … وكلما يفعل المحبوب محبوب

قالت واصلح الله بدنك وطيب انفاسك فلقد كملت فى الحسن والظرف والمعنى فقم الى مكانك قبل ان تجى الست دينا ان لم تجدك فتغضب عليك فقبلت الارض وخرجت والعجوز امامى الى ان اوصلتنى الى الباب الذى خرجت منه فدخلت وجئت الى السرير فوجدتها سبقتنى وجت وقعدت عند رجليها وكبستها ففتحت عينيها فرأتنى تحت رجليها ورفستنى حتى ارمتنى من علا السرير وقالت يا نور الدين ما خنت اليمين وكذبت وذهبت الى الست زبيدة والله لولا خوفى من الهتيكة والفضيحة اخربت قصرها على راسها فقالت بعدها يا صواب قم اضرب رقبة هذا النذل الكذاب فلا حاجة لنا به فقدم ذلك الخادم الى وشرط ذيلى وعصب عينى واراد ان يضرب رقبتى فقامت اليها الجوار الكبار والصغار وقالوا لها يا ستاه ما هو باول من اخطا وعف

ما هو فيه وانت ما تخفيه وما فضل ذنب يوجب ان تقتله لانها ما اثرفيه
اثر اثم انها امرت بضربي فضربتني على اضلاعي الضرب الذي رايتموه
وامرت باخراجي فاخرجوني وابعدوني عن القصر ورموني ورجعوا و
خلوني فحملت نفسي ومشيت قليلا قليلا الى ان وصلت الى منزلي واحضرت
جرائحي واريته الضرب فلاطفني ومشى في مصالحي فلما استقليت و
ودخلت الحمام وزالت عني الاوجاع والاسقام وجئت الى الدكان
واخذت جميع ما فيها وبعته وجمعت ثمنه واشتريت اربعمائة مملوك ما
جمعهم احد من الملوك يركب معي كل يوم مايتين وعملت هذه المراكب الخرافه
بالف ومايتين من الذهب العين وسميت نفسي بالخليفه ورتبت ما معي
من الخدم كل واحد في وظيفته وناديت كل من تفرج في الدجلة ضربت
عنقه بلا مهله ولي على هذه الحالة سنة كاملة ولم اسمع لها بخبر ولا
وقعت لها بخبر ولا وقفت لها على اثر ثم بكى وانشد يقول شعرا

والله ما كنت طول الدهر ناسيها ... ولا دنوت الى من ليس يدنيها
كانها البدر في تكوين خلقتها ... سبحان خالقها سبحان باريها
وصيرتني حزينا ساهيا دنفا ... والقلب قد حار مني في معانيها

قال فلما سمع هرون الرشيد كلام الشاب وما ابداه من الخطاب تعجب
غاية العجب وقال سبحان من جعل لكل شئ سبب ثم انهم طلبوا من

الشاب الانصراف واضمر الرشيد للشاب الانصاف وان يتحفه
غاية الاتحاف فانصرفوا من عنده سائرين والى قصر الخلافة طالبين
ولما استقر بهم في منزلهم الجلوس غيروا ما كان عليهم من الملبوس
ثياب المركب وكذلك مسرور سياف النقمه والغضب فقال الخليفه
لجعفر المهاب يا وزير علي بالشاب فخرج اليه في الحشم والخدم وسار
الى منزل الشاب فخرج اليه وعليه سلم فقال وعليك السلام
اجب امير المؤمنين وحامي حوزة الدين فسار معهم الى القصر وهو
من الترسيم عليه في حصر فلما دخل على الخليفه ورفع الوزير الستر عن
السدة الشريفة فلما راى الشاب الخليفة عرفه فقبل الارض بين
يديه ودعا بدوام العز واثنى عليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين
وحامي حوزة الدين وقامع المفسدين وامام المتقين هناك الله
بما اعطاك وجعل الجنة ماواك والنار مثوى لاعداك وانشد شعرا

لا زال بابك كعبة مقصوده ... وترى بها فوق الجباه رسوم
حتى تنادى في البلاد باسرها ... هذا المقام وانت ابرهيم

فعند ذلك تبسم الخليفة في وجهه ورد عليه السلام واظهر
الاحسان والاكرام وقربه اليه واجلسه بين يديه وقال له
يا نور الدين اريد ان تحدثني بحديثك الليلة يا مسكين فانه

من اعجب الامور فقال الشاب العفو يا امير المؤمنين اعطني منديل
الامان ليهدى روعي ويطمئن قلبي فقال الخليفه لك الامان
فشرع الشاب يتحدث بالذي قالو من اوله الى اخره فعلم الخليفه
من غير الطال انه عاشق لا محاله فقال الخليفه اتحب ان اردها اليك
يا مسكين قال نعم يا امير المؤمنين ثم انشد يقول شعرا

ان رمت احسانا فهذا وقته | وان رمت معروفا فهذا محله

فعند ذلك التفت الرشيد الى الوزير وقال له احضر لي اختك
الست دينا بنت الوزير فقال السمع والطاعة فاحضرها في الوقت
والساعة فلما مثلت بين يديه قال لها اتعرفي هذا قالت من اين
للنساء معرفة الرجال فتبسم وقال يا دينا قد عرفنا الحال وسمعنا
الحكاية من اولها الى اخرها وفهمنا باطنها وظاهرها والامر لا يخفى
وان كان مستورا فقالت كان ذلك في الكتاب مسطورا وانا استغفر
الله بما جرى مني واسئل من فيض الفضل العفو عني فضحك الخليفه
واحضر القاضي والشهود وعقد له ثانيا عليها وحصل له سعد
السعود واكمد العدو والحسود وجعله نديمه وزاد في تكريمه
وهذا ما انتهى الينا

ومن توقيره وتعظيمه للعلماء والقضاة ما جرى فيه بين القاضي ابو يوسف في المشهور

انجعفر

روي ان جعفر البرمكي نادم الرشيد ليلة فقال يا جعفر
بلغني انك اشتريت الجارية الفلانيه ولي مدة اطلبها وشوقي
زائد اليها لانها بديعه الجمال فائقة الكمال فبعنيها قال
ليس على قيمتها بيع قال هبنيها قال ولا اهبها فقال الرشيد
زبيدة طالق مني ثلاثا ان لم تبعنيها او لم تهبنيها قال جعفر
وزوجي طالق مني ثلاثا ان بعتها او وهبتها فلما افاقا من نشاء
بهما وعلما انهما في امر عظيم وعجزا عن تدبير الحيله فقال الرشيد
هذه واقعه ليس لها غير ابي يوسف القاضي فاطلبوه وكان قد انتصف
الليل فلما طلب قام فزعا وقال ما طلبني في هذا الوقت الا لامر
قد حدث في الاسلام ثم خرج مسرعا وركب بغلته وقال
لغلامه اصحب معك المخلاة فاجعل فيها بعض شعير فاذا دخلنا
دار الخلافه ودخلت ضع بين يدي الدابه شيئا تشتغل فيه
الى حين خروجي فانها لم تستوف عليقها في هذه الليلة فقال
سمعا وطاعة فلما دخل على الرشيد قام له واجلسه على سريره
بجانبه وكان لا يجلس معه غيره وقال له ما طلبناك في
هذا الوقت الا لامر مهم هو كذا وكذا وقد عجزنا في تدبير الحيلة
فقال هذا من اسهل ما يكون يا جعفر بع امير المؤمنين نصفها

وهبه نصفها وتبرا من يمينكما فرين لك امير المؤمنين وقلا
فقال الرشيد احضر الجارية في هذا الوقت فاني شديد الشوق
اليها فاحضرت فقال للقاضي اريد وطيها في هذا الوقت ولا
اريد الصبر الى مضي مدة الاستبراء اوسع لي الحيلة في ذلك
فقال ابو يوسف ائتوني بمملوك من مماليك الخليفة الذي
لم يجر عليه العتق فاحضر مملوك فقال القاضي يا امير المؤمنين
ائذن لي ان ازوجها منه ثم يطلقها قبل الدخول بها فيحل و
طيها في الحال من غير استبراء فاعجب الرشيد بذلك اكثر من الاول
وقال اذنت لك في ذلك الوقت فاوجب القاضي النكاح ثم قبله
المملوك فقال له القاضي طلقها قال هذه صارت لي زوجة وانا
لا اطلقها فرد عليه القول فابى وضاق صدر الخليفة وقال
قد اشتد الامر اعظم مما كان فقال القاضي ابو يوسف يا امير
المؤمنين ارغبه فقال طلقها ولك مائة دينار فقال لا افعل
قال مائتا دينار قال لا افعل الى ان عرضوا عليه الف دينار
وهو يمتنع وقال للقاضي الطلاق بيدي ام بيدك ام بيد امير
المؤمنين قال بل بيدك قال والله لا افعل ابدا فاشتد غضب
امير المؤمنين فقال القاضي يا امير المؤمنين لا تجزع فان الامر هين

هذا

ملك هذا العبد للجارية قال ملكته لها وقال لها القاضي
قولي قبلت فقالت قبلت فقال القاضي حكمت بالتفريق بينهما
لانه دخل في ملكها فانفسخ النكاح فقام امير المؤمنين
على قدميه وقال مثلك من يكون قاضيا في زماني واستدعى
بالطباق الذهب فافرغ بين يديه وقال للقاضي هل معك شيء
توعيه فيه فتذكر مخلاة البغلة فاستدعى بها فملئت له
ذهبا فاخذها وانصرف فلما اصبح قال انظروا من يتعلم العلم
يستعمله كذا فاني اعطيت هذا المال العظيم في مسئلتين او ثلاث
فانظر ايها المتفطن المتادب الى لطف هذه الواقعة وسائر
الوقايع المذكورة والحكايات المسطورة فانها اشتملت بالايما
والكناية او بالظاهر والصراحة على محاسن اخلاقهم ومكارم
اخلاقهم من العفو عند القدرة والكظم لدى الشدة والحلم
بالمعدة واعطاء الانائل والامل المانعين لمنع السائل سائل
واما في هذه الواقعة فانها اشتملت على محاسن منها دلال
الوزير على قلب الرشيد وحلم الخليفة في مواضع وزيادة علم
القاضي فرحم الله ارواحهم اجمعين ولكن مسئلة الاستبراء
لم تخرج الا على مذهب ابي حنيفة فانما خرجها ابو يوسف

حكاية قواعد مذهبه فانه حنفي اجنبية

ان بعض الملوك قصد التفرج على المجانين فلما دخل رای فيهم
شابا احسن الهيئة نظيف الصوت يرى عليه اثار اللطف
وتلوح عليه شمائل الفطنة فدنى منه وسئله مسائل
فاجابه عن جميعها باحسن جواب فتعجب منه عجبا شديدا ثم
ان المجنون قال للملك سالتنى عن اشياء فاجبتك وانا سائلك
سؤالا واحدا قال وما هو قال متى يجد النائم لذة نومه ففكر
الملك ساعة فقال يجد لذة النوم حال نومه فقال المجنون
حال النوم ليس له احساس فقال الملك بعد الدخول فى النوم
فقال المجنون كيف يجد لذته وقد انقضى فتحير الملك وزاد
اعجابه وقال لعمري ان هذا لاعقل من عقلاء كثيرة فاولى
ان يكون نديمي فى هذا اليوم وامر ان ينصب له تختا بازاء
شباك المجنون ثم استدعى بالشراب فحضر فتناول الكاس وشرب
ثم ناول المجنون فقال ايها الملك انت تشرب هذا لتصير مثلي
فانا اشرب لاصير مثل من فاتعظ الملك بكلامه ورمى
القدح من يده وتاب من ساعته وهذه الحكاية لها بقية
اعرضنا عنها حكاية شريفة على سبيل الاختصار

نقل ان الرشيد ارق ذات ليلة ارقا شديدا فاستدعى
جعفر البرمكي وقال اريد منك ان تزيل ما بقلبي من الضجر
فقال الوزير يا امير المؤمنين كيف يكون على قلبك ضجر او قد
خلق الله اشياء كثيرة تزيل الهم عن الهموم والغم عن المغموم
وانت قادر عليها فقال وما هي يا جعفر فقال قم الان حتى نطلع
الى فوق السطح لهذا القصر حتى نتفرج على النجوم واشتباكها وارتفاعها
والقمر وحسن طلعته كانه وجه من نحب كما قيل شعر

كانما حسن السماء ورقتها | قد رقصت فيها فانين الصور
كانما البدر حين لاح لنا | فى بعض ليل من غلائله ظهر

فقال الرشيد يا جعفر ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال يا امير المؤمنين
افتح شباك القصر الذي يطلع على البستان وتفرج على حسن تلك
الاشجار واسمع صوت تغريدات الاطيار وانظر الى هدير الانهار وشم
روايح تلك الازهار واسمع حسن الناعورة التي كانها انين محب
فارق محبوبه وهي كما قال فيها بعض واصفيها

وناعورة لما سمعت حنينها | حنين التي قد غاب عنها قرينها
تهيج اشواقي اذا ما ذكرتها | وتسكب من عين الى عين دونها

فقال يا جعفر ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال يا امير المؤمنين قم

ففتح الشباك الذي يطلع على الدجلة حتى تتفرج على تلك المراكب
والملاحين وهذا يصفق وهذا ينشد موالي وهذا يقول دوبيت
وهذا يعمل كان وكان فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شيء من ذلك
فقال جعفر يا امير المؤمنين قم حتى تنزل الى اصطبل الخاص وتنظر الى الخيل
العاديات وتتفرج على حسن الوانها ما بين ادهم كالليل اذا اظلم
واشقر واشهب وكميت واحمر وابيض واخضر وابلق واصفر والوان
تحير فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال جعفر
يا امير المؤمنين عندك في قصرك ثلاث مائة جارية ما بين جنكيه
الى عوديه الى دفيه الى قانونيه الى زامرة الى مغنيه الى راقصة
الى سنطيريه احضر الجميع واحضر العقار المروق فلعل ان يزول
ما بقلبك من الضجر فقال الرشيد ما تهم نفسي الى شيء من ذلك فقال
جعفر يا امير المومنين ما بقي من الامر الا ضرب عنق مملوكك
جعفر فاني عجزت عن ازالة همّ مولانا فقال يا جعفر اما سمعت
قول ابن عمي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال
من فم مولانا احلى والطف فقال الرشيد قال رسول الله
صلى الله عليه واله فرج المهموم في ثلاث اما ان يرى بعينه
شيئا لا راه او يسمع شيئا لا سمعه او يطا مكانا لا وطيه

فيتفق

فيتفق يا جعفر ان يكون في بغداد مكانا لا وطيناه او شيئا لا سمعناه
او موضعا لا رايناه فقال جعفر اتاذن لي امير المومنين ان اطلع
الى مجلس النوبه وانظر احد المسامرين فاحضره الى بين يدي امير المومنين
لعله ان يحدثك بحديث ما سمعته فقال الرشيد قم وافعل
فقام جعفر وطلع وعاد بسرعة ومعه الشيخ ابو الحسن الخليع الدمشقي
المسامر قال فلما راى امير المومنين سلم فاحسن ثم قال يا امير
المؤمنين وحامي حوزة الدين وابن عم سيد المرسلين وخاتم
النبيين صلى الله عليه واله وسلم وطا الله وطاك وجعل
الجنة ماويك والنار مثوى لاعدائك لا خمدت لك نار ولا اغبط
بك جار ثم انشد يقول

دام لك العز والبقا … ما اختلف الصبح والمسا
ودمت ما دامت الليالي … عمدة ما لها انقضاء
الناس ناس وكل ارض … وانت من فوقهم سماء

فرد على الشيخ السلام وقال له اجلس يا ابا الحسن وحدثنا
بحديث مليح عجيب لم نسمعه قط فقال الشيخ يا امير المومنين احدثك
بشيء سمعته باذني او بشيء رايته بعيني قال الرشيد يا شيخ
ابي الحسن الذي تراه العين احسن من الذي تسمعه الاذن فقال

الشيخ يا امير المؤمنين افرغ لي عن ثلاثة اشياء منك فقال ما هم
الثلاثة فقال ذهنك وسمعك وقلبك **فقال الرشيد**
هات يا ابا الحسن فقال يا امير المؤمنين لي عادة اني اسافر
كل سنة الى البصرة للامير محمد بن سليمان الزينبي واضع عند
احدثه الاسمار واورده الاخبار وانشد له الاشعار ولي عليه
رسم الف دينار اخذها واعود الى بغداد فاتفق في سنة من
السنين اني سافرت الى البصرة على عادتي ودخلت على الامير
محمد ابن سليمان الزينبي وجلست عنده اليوم الاول والثاني
والثالث فركب الى الصيد وتركني في منزله واوصى ارباب
دولته بخدمتي واكرامي الى ان يعود واوصى الطباخ الذي له
ان لا يطعمني الا الاشيا تشتهيه نفسي فاشتهيت السمك فقلت
للطباخ فعمل لي من السمك عدة الوان فاكلت وطاب لي الاكل
حتى ثقل على فؤادي **فقلت** ما يصرف عني هذا الثقل الا المتولي
سفرات عديدة الى البصرة ما اعرف منها مكانا واريد اليوم اجعلها
حجة وفرجه ثم انني نزلت امشي في شوارع البصرة فعطشت عطشا
شديدا والى عطش السمك اشتهي الماء فقلت في نفسي ان تناولت
من السقاء لا تطيب نفسي لانه يشرب منها اصحاب الامراض وكبرت

على

على ان احملها الى شاطئ الدجله وقلت ما لي انني اقصد بعض
دور المحتشمين واطلب منها شربة من الماء فاتيت الى درب و
في ذلك الدرب خمسة دور دايرين متقابله ودار صدر داينه
قد قامت من التراب وتعلقت باذيال السحاب ولها باب مقنطر
مزخوف بصاحب طولانيه مفروش عليها حصر عبدانيه والباب
عاج مصفح بصفايح الذهب الوهاج ومسامير الفضه وستر من
الحرير الاصفر المدثر مكتوب عليها هذه الابيات

الا يا دار لا يدخلك حزن   ولا يغدر بصاحبك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف   اذا ما ضاق بالضيق المكان

قال فقلت في نفسي اطلب من هذه الدار شربة الماء فاتيت الى
الباب فسمعت صوت ضعيف من فؤاد نحيف وقائل يقول

بالله ربكما عوجا على سكني   وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرضا بي وقولا في حديثكما   ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا في ملاطفه   ما ضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما في وجهه غضب   فغالطاه وقولا ليس نعرفه

قال فقلت والله طيب ان كان قائل هذا الصوت تخص على
قد رصوته فقد ملك ملكي بطرفيه ثم اني قويت قلبي ونقضت الستر

ودخلت الدهليز الى ان انتهيت الى اخره ومديت بطرفي
واذا بدار قد اقبلت عليها السعادة وزالت عنها الشقاوة ورايت
في صدر المكان ايوان وبركة وشاذروان وفي ذلك الايوان
تخت من الساج وقوائمه من العاج مصفح بالذهب الوهاج وفوق
التخت فراش من الحرير الاطلس ومسند نركس وعليه جارية نائمة
خماسية القد قائمة النهد لا بالطويلة الشاهقة ولا بالقصيرة
الملاصقة اشهر من علم تربية العجم على اكناف الخلم بخد اسيل
وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ان اقبلت قتلت وان ادبرت
قتلت كما قال فيها بعض واصفيها

كما اشتهى خلقت حتى اذا اعتدلت … في قالب الحسن لا طول ولا قصر
جرى لها التنعم حتى دار اعنكها … على القباطي فلا سمن ولا عدد
كانها افرغت من ماء لؤلؤ ٥ … في كل جارحة من جسمها قمر

الا ان الجارية با امر المؤمنين قد حكمت عليها يد الايام وقد نزلت عليها
جميع الاسقام وعند راسها طبيب وهو يجس يدها ويقول
نامت بدور الضارب منها ضارب والساكن ساكن لا برد ولا حمى
ولا شيء يشتكي اكثر من سهر الليل وجريان الدمع لا يكون الا بشيء
في قلبها هوى من احد فلما سمعت كلام الطبيب انشات

اذا هممت بكتمان الهوى نطقت … مدامعي بالذي اخفي من الالم
فان ابح افتضح من غير منفعه … وان كتمت فدمعي غير منكتم
لكن الى الله اشكو ما كابد ٥ … من طول وجد ودفع غير منصرم

قال فنهض الطبيب قائما على قدميه فناولته صرة فيها عشرون دينارا
ثم التفتت الي وقالت من اين يا شيخ فقلت لها من بغداد حملني
العطش الى ان اتيت الى هنا فقالت لعل ان يكون على يديك فرجي
فاكتب لك ورقة فتسال عن بيت الامير عمرو بن الجبير وتعطيها
له فان رديت علي الجواب فانا اعطي لك خمس مائة دينار فاستدعت
بدواة وورق فكتبت وهي تقول اما بعد فيعجز لساني ويكل
جناني عن بث الاشواق ولكن اسئل الله الكريم الخلاق ان يمن علينا
بالاجتماع بالسعد الرافق والامر الموافق وانا القائله حيث اقول شعرا

سرور من الدنيا لقاكم وقربكم … وحبكم فرض وما منكم بد
ولي شاهد دمعي اذا ما ذكرتكم … جرى فوق خدي لا استطيع لرده
اذا الريح من نحو الحبيب تبسمت … وجدت لمسراها على كبدي برد
فوالله ما احببت ما عشت غيركم … ولا كنت الا ما حييت لكم عبد
سلام عليكم ما اثر فراقكم … فلا كان هذا منكم اخر العهد

فهذا كتاب ممن ليلها في نحيب ونهارها في تعذيب لا تركن الى

عاذل ولا تصغى الى قائل قد غلبتها ايدى الفراق ولو شرحت بعض
ما عندها للفتح ضاق وما وسعته الاوراق ولكن الكريم الخلاق
رافع السبع الطباق ان يمن علينا بالتلاق والسلام

احبة قلبي وان جرتم ... على فكل المنى انتم
رحلتم وفي القلب خلفتم ... لهيبا فهلا ترفقتم
ووعدتموني واودعتم ... باحشائي نارا واضرمتم
وما كنتم تعرفون الجفا ... على شوم بختي تعلمتم

فالقف لا اوحش الله منكم والسلام عنى عليكم عدد شوقي اليكم
ما حن الغريب الى الاوطان وغرد حمام الايك على البان فرحم
الله من قرا كتابي وتعطف برد جوابي

احبابنا ما رقى دمعي لفرقتكم ... يوم الفراق ولا اخنى فؤاديه
بنتم فلم يبق لي من بعدكم جلد ... ولا فؤاد ولا صبر اداجيه

ثم انها طوت الكتاب وختمته بعد ان نثرت فتات المسك و
العنبر وناولتني اياه فاخذته واتيت الى دار الامير عمر وابن الجبير الشيباني
فوجدته في الصيد فجلست على بابه ساعة انتظره واذا هو قد اقبل
وهو راكب على حصان اشقر عالي من خيل مضر يساوي ملك قيصر
من اولاد الابجر الذي كان لعنتر ان طلب يلحق وان لم يطلب لم

يلحق

يلحق والامير فوق ظهره كانه انقلب فيه قلبا ومما اليك قد احدقوا
به كما تحدق النجوم بالقمر وهو بخد اسيل وطرف كحيل وردف
ثقيل وله عذار اخضر فوق خد احمر وثغر جوهر وعنق مرمر كما
قال فيه من وصفه جماله

قمر تكامل في نهاية حسنه ... قد القضيب على رشاقة قده
فالبدر يطلع في ضياء جبينه ... والشمس تغرب في شقايق خده
ملك الجمال باسره فكانما ... حسن البرية كلها من عنده

قال ابو الحسن فما امهلته ادون اقبل بكتابه فلما نظر الى ترجل
واعتنقني واخذ بيدي ودخل الى الدار وقال ما كنت اظن ان
الزمان ياتي بهذا غير اني رايته في المنام قال فلما جلس على خاتم
البركة اقبل على يحادثني ساعة واذا بالمائدة قد وضعت بين
ايدينا واذا عليها من الوان الطعام ما انشا وتطاير وتناكح في
الاوكار من قطا وسمان وافراخ الحمام وبط مسمن ودجاج محمر
وفلكات السكر فقال لي بسم الله فقلت لا والله يا مولاي لا
اكلت لك طعاما ولا شربت لك مداما الا ان قضيت لي حاجتي
فقال يا ابا الحسن كان هذا من الاول اين الكتاب الذي للست
بدور التي رحت الى عندها تطلب شربة من الماء عندها و

التقيت عندها بالطبيب وجرى لك معها ما هو كيت وكيت فقال
يا مولاى انت كنت حاضرا فقال لو كنت حاضرا لاى شىء كان كتب
الكتاب فقلت ولا جاء احد من عندها اعلمك فقال انه لا يجسر احد
من علمانها يقابلنى فقلت ولا راح احد من عندك الى عندها
فقال هى اخس واحقر من ان يمضى اليها احد من عندى فقلت
يا سيدى والوحى ما نزل الا على رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم فقال يا غافل اما سمعت قول القائل شعر

قلوب العاشقين لها عيون   ترى ما لا يراه الناظرينا

قلت صدقت يا مولاى ثم ناولته الكتاب ففضه وقرأه ثم
بصق فيه وداسه برجله وادماه فى البركة فتعجب على فلما علم منى
ذلك قال ثم عظلنا فعد الليلة كل واشرب وخذ منى خمس مائة دينار
التى وعدتك بها الست بدور وانا احب اليك منها وانشد يقول شعرا

رايت شاه وديبا وهى ماشكرة	بادنه وهو منقاد لها جارى
فقلت اعجوبة ثم التفت الى	ما بين نابه ملقى نصف دينار
فقلت للشاه ماذا الالف بينكما	والذئب يقرع بانياب واظفار
بتسمت ثم ولت وهى صائحة	بالتبر يكسر ناب الضيغم الضارى

قال فلما سمعت كلامه يا امير المؤمنين تقدمت واكلت بحب

الحكاية

الحكاية والنهاية ثم انتقلنا الى مجلس الشراب وقدمت الينا البواطى
والسلاحيات فتناول الامير عمرو وشرب واسقانى وانا احدثه
وانادمه الى قريب الغياب فقال لى يا ابا الحسن ما عادة امير المؤمنين
اذا شرب الى المساء قلت يقول الشراب بلا طراب ولا سماع الغنا اولى
به فقال بسم الله قم فقمت معه الى مجلس وحظيرة تنقط بالذهب واللازورد
العجب وهو مزخرف قد عبقت ازهارها وضحكت سلاجباتها و
صففت بواطيها ووضعت قدامها فجلس الامير عمرو واجلسنى وقدمت
بين ايدينا الشموع واسرجت القناديل فنظرت الى مجلس عجيب و
حضرت مليحة ثم قلت يا مولاى قد تقدم القول ان الشراب بلا
سماع الدن اولى به فصفق كفا على كف واذا قد اقبلن ثلاث
جوار كانهن الاقمار واحده تحمل عودا والثانيه تحمل دفا وواحدة
تحمل مزمارا ثم نقرت الدفيه على دفها واصلحت العوديه عودها
وزمرت الزامره بزمرها فخيل لى ان المجلس الذى نحن فيه يرقص بنا ثم
ان الدفيه غنت تقول

احبابنا انا من يوم فرقتكم	على فراش الضنا ما زلت مضطجعا
داريت قلبى بحسن الصبر عندكم	عسى يفيق من الاسقام ما نفعا

فوالله يا امير المؤمنين لقد طربت غاية الطرب من حسن صوتها

فلما فرغت الدفيه ضربت العوديه على عودها طرائق عديدة ثم رجعت الى الطريقة الاولى وانشدت

مولس طرفي لا خلا منك ناظري … وجامع شملي لاعدامنك مجلسي
ويا ساكنا قلبي وما فيه غيره … يمل فما استوحشت فيه المونس
وبالله يا عين الوري من ملاحة … تصدق على صب من الصبر مفلس
انلني الرضى اغيظ به العدى … ويا موحشي من بعد ما كان مونسي
رضاك الذي ان نلته نلت منيه … والبس في الناس اشرف ملبسي

قال والله يا امير المؤمنين لم تتمالك عقولنا من الطرب قال ثم التفتت العوديه الى نحو الدفيه وقالت لها يا فلانه انتحسنى ان تقولي مثل هذا فقالت الدفيه انا احفظ ابياتا ما اظنك تحفظي لهن وزن ولا قافيه ولا عروض فقالت العوديه هات فنقرت الدفيه على دفها بانا ملها ورفعت صوتها تقول شعرا

كرر وجود ذكرهم في مسمعي … فيهم شفاء تالمي ونوجعي
اقصر بعدلك يا عذول فان لي … قلبا لعذلك لا يفيق ولا يعي

فقالت لها العوديه انا احفظ الوزن والقافيه والعروض فقالت لها الدفيه هات فضربت العوديه طريقه من اثنين واثنين واربعه واربعه وثمانيه وثمانيه عشر وستة عشر ثم عادت الى الاول تقول

ان لم ليل وادي لا ايثل بادعي … اعلم باني في الصبابة مدعي
يا سعد ان جئت الغوير وعاينت … عيناك بان المنحنى فارجعي
وخذ الحذار من العذال المختفي … واحذر يصدك لحظ ذات الاربع

قالت والله يا امير المؤمنين لقد طربنا حتى قام كل منا ورقص فلما فرغت الجاريه قال لها سيدها غني الذي لقلبي وحبك فضمها سارت عودها وقالت شعرا

ما كنت اول وامق صب صبا … نحو التصابي وهو في عشر الصبا
فعلي م يعذلني العذول على البكا … لولا الهوى لما غدوت معذبا
حكم الهوى بحكمه في مهجتي … ولقد غدا قلبي به متقلبا
يا للرجال حما الهوى بحشاشتي … نارا فما تخبوا على ذاك الخبا
ولقد سبا قلبي غزال لو رات … بلقيس طلعته لما سكنت سبا
ولقد هربت من الغرام فقال لي … مهلا رويدا اين مني المهربا

فلما سمع الامير عمرو ذلك صرخ ووقع على الارض مغشيا عليه فقالت الجاريه يا مولاي انه قد نام سيدي فان اخترت ان شئت فنم في مرقدك وان اخترت الشراب فدونك ونحن بين يديك الى الصباح فلما اصبحت قمت وسالت عن الامير عمرو فقال بعض الجواري انه سرح الى الصيد فاخذت شاشتي لالبسه واذا تحته

كيس فيه الف دينار فاخذته واتيت الى الست بدور واذا بها
واقفه خلف الباب تنتظرني وهي تقول

يا رسولي الى الحبيب اعتذر لي ... فلعل الحبيب يقبل عذري
ثم قل للحبيب عني بلطف ... اي ذنب جرى فاوجب هجري

فلما راتني قالت يا شيخ قمح ام شعير قلت لا والله ما هو الا زوال
والله ما رضي يقرا كتابك ولا يرد جوابا فارمت الى صرة فيها
مائة دينار وقالت اذهب يا ابا الحسن ما هذا الليل وهذا النهار
على شيء الا وازاله وغيره ويغير الله ما في القلوب ثم انها اغلقت
الباب في وجهي ومضيت وعدوت الى دار الامير محمد ابن سليمان
الزينبي فلقيته قد جاء من الصيد فقعدت عنده اياما واخذت
رسمي وعدوت الى بغداد ثم اني في السنه الثانيه لما قدمت
الى البصرة على ما جرت العادة به ومضيت الى عند الامير عمرو ابن
جبير الشيباني لا تمتع بذلك الوجه المليح والقد الرجيح فوجدت الدار
صغيرة والاماء والعبيد لابسين السواد فلما رايت ذلك بكيت
وانشدت اقول شعرا

يا دار اين ترحل السكان ... وسرت عنهم من بعدنا الاظعان
بالامس كان بك الصبا سوابح ... اليوم في عرصاتنا الغلمان

فسمعني

فسمعني بعض الغلمان فظهر لي وقال من ذا الذي يبكي على ديارنا ويندب
منازلنا كفى بنا ما عندنا فقلت له يا عبد الخيران صاحب هذا الدار
كان من اصدق الناس الي فما فعل به الزمان فقال لي الغلام يا مولاي
هو في يد الحوت وهو يطلب الموت فلا يجده فقلت بالله عليك خذ لي
اليه الطريق فقال لي الغلام يا مولاي من اقول قلت قل الشيخ
ابو الحسن الخليع الدمشقي المسامر فقال فعبر الغلام وغاب ساعة
وعاد وقال بسم الله ادخل فدخلت فوجدت الامير عمرو نائم وعند
راسه طبيب وهو يجس يده ويقول له يا مولاي الضارب
ضارب والساكن ساكن لا برد ولا حمى ولا تشكي غير سهر
الليل وجريان الدمع لا يكون المولى مسحور فلما سمع الامير عمرو
كلام الطبيب بكى وانشد يقول شعرا

قال الطبيب لقومي حين جس يدي ... هذا فقا كرو رب العرش مسحور
فقلت ويحك قد قاربت في صفتي ... عين الصواب فهلا قلت مهجور

ثم انه ناوله كاغد فيه بعض دنانير فاخذها الطبيب وانصرف ثم
التفت الامير عمرو الي وقال يا شيخ ابو الحسن ما تنظر الى هذا الحال
الذي وقعت فيه فقلت له حاشاك من الاسوء ما سبب ذلك
قال ما اعرف الا هجر الست بدور وقد قتلتني وجهها اضني فؤادي

فقلت يا مولاى بالعام الماضى تركتك اميرا واليوم اتيت اليك
اسيرا فما السبب فقال الامير عمر يا شيخ انني في ليلة من الليالي
ركبت في الشط وقد عبيت في مركبي من ساير الازهار والفواكه
والرياحين والطعام والمدام واوقدت الشموع حتى صارت
مثل ضوء النهار وقد غرقنا في الشط وبقينا في لعب وضحك الى
ثلث الليل الاول واذا قد اقبل من صدر الشط مركب وهي تعرف
بالطارات والدفوف وتضيء كضوء الشمس وفيها وهج عظيم فقلت
للملاح قدم بنا حتى نتفرج وننظر اينا احسن تعبية مركبنا او هذا
المركب فقدم بنا الملاح الى ان وصلنا الى عند المركب فمديت
عيني فاذا انا ارى صاحبتي الست بدور وهي بين جواريها و
غلمانها تلعب وتضحك وهي مثل اسمها اسم على مسمى فلما وقعت عيني
عليها كان من ادمى جمرة نار فقلت في نفسي فارقت هذا الوجه
المليح بذنب ثم اني تذكرت العهد القديم الذي كان بيننا فلم
اقدر اصبر فمديت يدي واخذت تفاحة ورميتها الى الست
بدور فالتفتت فرأتني فقالت للملاح ارجع بنا الى البر نحن خرجنا
هذه الليلة نتفرج فارسل الله لنا هذا الصبي ينغص علينا
عيشنا فلما سمعتها تتمنى اضرمت النار في قلبي وقلت في نفسي

انت كنت المطلوب بعينها لطالب يهن لي عيش في هذه الليلة
فقلت للملاح ارجع الى الشط ثم اني نزلت ومضيت الى منزلي وما
ذقت طعم المنام فلما اصبحت لم يقر لي قرار وصرت اتوقب ان ياتي
احد من عندها ثلاثة ايام فلم يات احد فبعثت من يعرض بذكري
لها فاخوفت فيهم وشتمتهم فكتبت لها بعد ذلك الف كتاب فلا
ترد لي جوابا وقد ارميت روحي على كل كبير في البصرة فيدخلون
عليها فلم تقبل ولا ترد جوابا الا الجفاء ولي مدة انتظرك يا شيخ
ابي الحسن حتى ابعث معك كتابا وانا احلف لك ان اردت لك
جوابا اعطيتك الف دينار والا اعطيتك مائة دينار فقلت
له اكتب فدعى بدواة وقرطاس وكتب في اول الكتاب بسم الله
الرحمن الرحيم هذا كتاب من متيم يشكوا ويسئلك بالله ان تردي
جوابه اما بعد يعجز لساني ويكل جناني مما انا فيه من طول السهر
ودوام الفكر وبكى لبكائي الجلمود فالف الف لا اوحش الله منك
والسلام عليك ثم ختم الكتاب وناولني اياه فاخذته ومضيت
به الى دار الست بدور فلقيت على غير تلك الحالة الاولى ستر
مرخا وبواب وخادم فقلت لا اله الا الله كلف هذا بالامس خالي
من الاصحاب واليوم عليه خادم وبواب ثم اني تقدمت الى عند

الخادم وقلت قم يا ولدي ادخل واستاذن على مولاتك الست بدور وقل لها الشيخ ابو الحسن الخليع الدمشقي المسامر قد اتى ويطلب التمثيل بين يديك فدخل الخادم ثم عاد مسرعا وقال بسم الله فدخلت الدهليز اسمع الست بدور وهي تقول شعرا

ولاصبرن على الزمان وجوره
حتى يعود كما اريد واشتهي

فلما عبرت رايتها قاعدة على حافة البركة وبين يديها جارية تروح فتقدمت وقبلت يدها وجلست فنظرت واذا عليها غلالة لازوردية وجميع جسدها باين من تحت الغلالة كانه عمود مرمر وعلى الغلالة مكتوب

اقبلنا في حلة زرقاء … لازوردية كلون السماء
فتاملت في الغلالة منها … قمر الصيف في ليالي الشتاء

فقالت لجاريتها هات لي بدلة قماش ثم غيرت ما كان عليها وجلست ثم امرت باحضار المائدة وقالت لي بسم الله كل يا ابا الحسن فقلت لا والله ما اكلت لك طعاما ولا شربت عندك مداما حتى تقضي حاجتي قد كان هذا من الاول ولكن والله قد وقعت من عيني بر واحد الى الامير عمرو وقبل مجيك الينا فقلت لها انا ما روحت فقالت تكون شيخ وتكذب

انت

انت ما حضرت عنده ولقيت الطبيب وهو يقول كيت وكيت وجرى لك معه كذا وكذا وهذا الكتاب في طي عمامتك ويا الامارة قال لك ان رديت الجواب اعطيتك الف دينار وان لم ترد الجواب ماتي دينار فقلت يا سيدتي من اعلمك بهذا فقالت اليس القايل يقول

قلوب العاشقين لها عيون … ترى ما لا يراه الناظرينا

وانا يا شيخ ابا الحسن اعشق منه وادري اكثر مما يراه فقلت صدقت يا مولاتي علمت ذلك ثم ناولتها الكتاب ففضته وقراته ثم انها مزقته وبصقت عليه ورمته في البركة فلما رايت ذلك قلت في نفسي هذا ابد الشوا الدنيا قرض يوفي الا اني حصل لي بعض غيظ على الف دينار التي تفوتني فنظرت الي وعرفت مني ذلك فقالت يا شيخ ابي الحسن مم غيظك انا وعدك بالف دينار بت الليل عندي وكل واشرب والذ واطرب وخذ لك غدا مني الف دينار وامض في دعة الله فقلت يا سيدتي يكاد الامير عمرو ان يموت ثم قالت دعنا من هذا الكلام ثم ان المائدة حضرت فاكلنا بحسب الكفاية فلما فرغنا قالت يا شيخ تعرف تلعب الشطرنج قلت ما اللعب الا الحكم والرضى فقالت نعم ثم دعت الشطرنج فوضع ايدينا ولعبت معها الدست فغلبتني فامرت الجوار ان يرموني في البركة فامسكوني ورموني في البركة فضحكت

على ساعة ثم اخرجني وقد امتلات جميع جوارحي فلما رااتني على تلك الحالة
امرت بيدله من القماش من افخر الملبوس فلبست وقالت تلعب ايضا
على الحكم والرضى قلت نعم فتغايرت عليها وابنت لها بحكاية
لطيفة مضحكة واشغلتها وسرقت القطع الى ان غلبتها وتحكمت فيها
وقلت اريد الف دينار وجواب الكتاب فاعطتني الف دينار
وطلبت الدواة والقرطاس ثم انها اطرقت ساعة ورفعت راسها وكتبت تقول

الا يا عمرو كم هذا العناء	وكم هذا التجلد والا ناء
كتبت الى تشكوا ما تلاقي	من الاسقام اذ نزل القضا
فنقم لا تزال الدهر طولا	وعلمنا ما لها ابدا انقضا
ولو ساعدتنا يا عمرو يوما	لساعدناك اذ نزل القضا
فنحن صبا ومت كدا حزينا	فواحدة بواحدة جزاء

ثم ناولتني الورقة فقراتها فقلت يا سيدتي بالله عليك وارحمي الامير
عمرو واكتبي له غير هذا فقالت يا شيخ ابو الحسن انت رسول والا
فضول فقلت لها رسول وفضول وطفيلي ويغظ القط ويحلف انه
ما يبات الا في الوسط ويغني بالبيت لكم فلما فرغت من كلامي قالت
لا تكثر علي واخش فقلت يا ست بدور اين تلك المحبة التي كنت
تحبيها الامير عمرو فلو ابصرته ما عرفته من شدة ما يقاسيه من الايقام

والامراض فلما سمعت ذلك قالت اخبرني عن اقوى شي من المرض
فقلت يا سيدتي ما اقدر اصف لك بعض ما فيه من اليم المرض فتغرغرت
عيناها بالدموع ثم قالت يعز علي ما وصفت لي عنه وروحي له
الفداء فالحمد لله الذي كان اجتماعنا على يديك ثم دعت بدرج غير
تلك الورقة وكتبت

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل الكتاب فلا عدمت انا ملا	كتبت بهم حتى تضوع طيبا
ففضضته فوجدته	بحنى او جاع القلوب حبيبا
فكانه موسى اعيد لامه	او ثوب يوسف اذ اتى يعقوبا

المملوكة تقبل الارض وتنهي ان شوقها شديد وغرامها يزيد
وسوء الهام من الحميد المجيد ان يجمع شملها بك قبل ان يريد واقول

اشتاقكم حتى اذا نهض الغرام	الى نحوكم قد قعدت بي الايام
والله انى لو وصفت صبابتي	يفنى المداد وكلت الاقلام

ثم انها نثرت فيه المسك والطيب وطوتها وختمتها وناولتني اياها
فاخذتها وقت مسرعا وانا فرح الى ان اتيت الى دار الامير عمرو وقد دخلت
الدهليز وسمعته يقول

ترى حرمت كتب المحبة بيننا	اسحر ام القرطاس اصبح غاليا

قال فاستاذنت ودخلت فلما رآني قال لي فيه ام شعير فقلت فيه
معرّ هل لي فيه زوال الكدر ثم ناولته الكتاب وقراه فلما فهم
معناه تهلل وجهه بالفرح فبكى وقال

هجم السرور علي حتى انني ... من عظم ما قد سرني ابكاني
يا عين قد صار البكاء لك عادة ... تبكين في فرح وفي احزاني

فلما فرغ من البكاء قال يا شيخ ما اظن ان الحديد يلين ولا
الصخر يذوب لعل ان تكون صنفت هذا الكتاب من عندك فقلت
يا مولاي والله ما صنفته ولا كتبته بل خطها بيدها فبينما
هو يخاطبني اذ هي عبرت علينا وتخطر في قوامها وهي تنشد وتقول

تزوروكم لا تؤاخذكم بجفوتكم ... ان الكريم اذا لم يستزر زارا

فلما راها الامير عمرو نهض قائما على قدميه وادنى بروحه عليها
واعتنقها واعتنقته ساعة زمانيه فقمت على ان اخلي لهما المكان
فقالت لي الست بدور الى اين تروح يا شيخ قلت اخلي لكما المكان
لانكما ما اجتمعتما سنة كاملة فقالت ما تفارقنا الساعة الى الصباح
فقام الامير عمرو واخذنا ومضى بنا الى مجلس مليح وقدم بين يدينا
الطعام المفتخر وامر بازالة كل شيء كان عليه من آلة الحزن ووجه
له بالغسل فغسلنا ايدينا وانتقلنا الى مجلس وبتنا في لذة فلما اصبح

قالت لي الست بدور يا شيخ ابي الحسن امض واتينا بالقاضي و
الشهود فلم يكن باسرع مما احضرتهم فقالت الست بدور للقاضي
اكتب كتابي على الامير عمرو وقد وليت الشيخ ابي الحسن عقد النكاح
قال فخطب القاضي خطبة النكاح وعقد العقد بينهما فرسم القاضي
بالف دينار والشهود بمائتي دينار وعمل الوليمه وطبخ الطعام و
عمل الحلاوات وجمع الناس ووضع بين ايديهم الموائد واطعم السادر
والوارد وزفت الست بدور تلك الليلة على الامير عمرو فلما وقفوا
على المنصه قلت ما تصلح الا له وما يصلح الا لها ولو رآها غيره
لزلزلت الارض زلزالها ثم تقدمت الى الامير عمرو وقلت يا مولاي
المثل يقول العصفور ينقلي والصياد يتقلى وانتم تقولون والطرباه
وانا اقول واهرباه فقالت الست بدور ما معنى كلامك هذا قلت يا سيدي
الامير عمرو وعدني بوعد والوعد على الكرماء دين فقالت الست
بدور صدق الشيخ اعطه الذي وعدته فقال الامير عمرو لبعض غلمانه
اعط الشيخ ابي الحسن الف وخمسمائة دينار ليستاهل والله اكثر من هذا
فمضى الغلام وعاد بسرعة ومعه كيس فناولني اياه واعطتني الست بدور
مثله ثم اني ودعتهم وخرجت الى ان اتيت الى الامير محمد بن سليمان الزينبي
وقعدت عنده على عادتي واخذت رسمي الذي عليه في كل سنة و

وسمى الذى عليه فى كل سنة وعدت الى بغداد فما رايت سنة كانت
ابرك على منها حصل لى فيها اربعة الاف دينار وهذا جملة الحديث
فتعجب الخليفة وقال ما قصرت يا شيخ ابا الحسن خذ من جعفر الف دينار
لانك الذى ازلت عنى ما يقلقنى فقال جعفر ومن عند امير المومنين
الف دينار لانه هو الذى ازال عنه ما كان يجده فقال ابو الحسن
صدق الوزير ابقاه الله تعالى ثم انه قبض الف دينار ومضى الى منزله والله اعلم

ومن محاسن اخلاق البرامكة فى فضل جودهم وشرافة جودهم

ما قال ابو القاسم عبد الملك ابن بدرون فى شرحه لقصيدة عبد المجيد
ابن عبدون جعفر البرمكى هو جعفر ابن يحيى ابن خالد ابن البرمك
والبرمك هو الذى يعمر بيت النور وهو بيت النار وكان البرمك من
مجوس بلخ وكان عظيم القدر فيهم وساد خالد وقد وزر لابى السفاح
بعد ابى سلمة الخلال وقتل هرون الرشيد جعفر سنة سبع و
ثمانين ومائة وكان جعفر قد بلغ من الرشيد ما لا يبلغه وزير من
خليفة قبله حتى كان يجلس معه فى حلة واحدة لها جيبان على
ما ذكره بعض المخبرين وكان بلغ عنده الى ان يحكم عليه فيما شاء
من امر ماله وولده فمن ذلك ما حكاه ابرهيم ابن المهدى عم الرشيد وهو
معروف بابن شكله وكانت شكله امه سوداء وقد ذكر ان ابراهيم

كان

كان اسود شديد السواد وكان فى الطبقة العليا فى صنعة
العود قال قال لى جعفر يوما يا ابرهيم اذا كان غدا فبكر الى فلما
كان من الغد مشيت اليه باكرا فجلسنا نتحدث فلما ارتفع النهار
احضر حجاما فحجمنا ثم قدم لنا الطعام فطعمنا ثم خلع علينا ثياب المنادمة
وقال جعفر لخادمه لا يدخل علينا احد الا عبد الملك القهرمان
فنسى الحاجب ما قال له فجاء عبد الملك ابن صالح الهاشمى وكان رجلا
من بنى هاشم اجملهم ملاحة وفصاحة وعلما وحلما وجلالة وقدرا و
فخامة ذكر وصيانة وديانة فظن الحاجب انه الذى امر بادخاله عليهما
فلما راه جعفر تغير لونه فقال له عبد الملك ابن الصالح لما راهم على
تلك الحالة وظهر له انهم احتشموه اراد ان يرفع خجله وخجلهم وكرمه عشا
لهم فى فعلهم اصنعوا بنا ما صنعتم بانفسكم فجاء الخادم فطرح عليه
ثياب المنادمة ثم جلس للشرب فلما بلغ ثلاثا قال للساقى ليخفف عنى
فانى ما شربته قط فتهلل وجه جعفر فقال له هل من حاجة تبلغها
مقدرتى وتحيط بها نعمتى فاقضيها لك مكافاة لما صنعت فقال
بلى ان امير المومنين على غاضب فاساله الرضى عنى قال قد رضى
عنك امير المومنين قال وعلى اربعة الاف دينار دين قال هى لك
حاضرة من مالى ومن مال امير المومنين مثلها قال وابنى ابراهيم اريد

ان اشد ظهره بصهره من امير المؤمنين قال قد زوجه امير المؤمنين
بابنته غاليه قال واحب ان تخفق الالوية على راسه قال نعم
قد ولاه امير المؤمنين مصر قال ابرهيم ابن المهدي فانصرف
عبد الملك ابن صالح وانا اتعجب من اقدام جعفر على قضاء
الحوائج من غير استيذان فلما كان من الغد وقفنا على باب
الرشيد ودخل جعفر فلم نلبث ان دعي بابي يوسف القاضي ومحمد ابن
واسع وابرهيم ابن عبد الملك فعقد له النكاح وحملت البدر
الى منزل عبد الملك وكتب سجلا لابرهيم على مصر وخرج جعفر فاشار
الي فلما سار منزله سرت معه ونزلت بنزوله فالتفت الي وقال
قلبك معلق بامر عبد الملك ابن صالح فاحببت معرفة خبره وذلك
اني دخلت على امير المؤمنين تمثلت بين يديه وابتدات القصه
من اولها الى اخرها كما كانت فيقول الرشيد احسن والله احسن
والله ثم قال ما صنعت فاخبرته عما سئل وبما اجبته في ذلك كله
فقال احسنت وخرج ابرهيم واليا على مصر من يومه انتهى

وايضا از احسانهاى مشهور وعطاى مذكور

ما قال ابرهيم ابن اسحق كنت منقطعا الى البرامكة فبينما انا ذات
يوم بمنزلي فاذا بباب يدق فخرج غلامي وعاد وعلى الباب فتى جميل

يستاذن

يستاذن فاذنت له فدخل فاذا هو شاب عليه اثر السقم
فقال لي مدة احاول لقاك ولي اليك حاجة فقلت ما هي فاخرج
ثلثمائة دينار فوضعها بين يدي وقال اسئلك ان تقبضها مني
وتصنع لي لحنا في بيتين قلتهما قلت انشد بيتهما فقال

بالله يا طرفي الجاني على كبدي	ليطفين بدمعي لوعة الحزن
فلا ابوحن حتى حجبوا سكني	فلا اراه ولو ادرجت في كفني

قال فصنعت لها لحنا يشبه النوح ثم غنيته فاغمي عليه حتى لقد
ظننت انه مات ثم افاق فقال اعد فناشدته الله قلت اخشى ان
تموت قال ليت ذلك لو كان وما زال يخضع ويتضرع حتى رحمته
ولعدته فصعق صعقة اشد من الاولى فلم اشك في موته وما
زلت انضح عليه من ماء الورد حتى افاق فحمدت الله تعالى على السلامة
ووضعت دنانيره بين يديه وقلت خذها لك وانصرف عني قال لا
حاجة بها ولك مثلها فرهبت نفسي فقلت اعيده ولكن بثلاث
شرايط اولها ان يقيم عندي وتاكل من طعامي حتى تقوى نفسك
الثاني ان تشرب من الشراب ما يمسك قلبك الثالث ان تحدثني
بحديثك ففعل ذلك ثم قال اني رجل من اهل المدينة خرجت يوما
متنزها وقد سال المطر في العقيق مع اخواني فرايت فتاة مع فتياة

كانهن غصن جلله الندا انظر بعين ما ارتد طرفهما الا على نفر
ملاحظها فاظلن حتى فرغ النهار فانصرفن وقد ادت بقلبي جراحا
بطيئة الاند مال فغدوت انتسم اخبارها فلم اجد احدا يخبرني
عنها فجعلت اتبعها في الاسواق فلم اقع لها على خبر ومرضت اسي
وحكيت قصتي لذي قرابة لي فقالت لا باس عليك هذه ايام
الربيع ما انقضت وستمطر السماء فتخرج حينئذ واخرج انا معك
فافعل مرادك قال فاطمانت نفسي لذلك الى ان سال العقيق
وخرج الناس ينظرون فخرجت مع اخوتي وقرابتي فجلسنا بعينه
فما لبثنا الا والنسوة كفرسي رهان فقلت لقرابتي قولي لهذه
الجارية يقول لك هذا الرجل لقد احسن من قال

رمتني بسهم اقصد القلب وانثنى	وقد عاودت جرحا به وندوبا

قال فامسكت عن الكلام خوفا لفضيحة وقمت منصرفا فقامت
لقيامي وتبعتها قرابتي حتى عرفت منزلها وسارت فاخذتني
وسرنا اليها حتى اجتمعنا واتصل ذلك حتى شاع وظهر وحجبها
ابوها فلم ازل مجتهدا في لقائها فلم اقدر وشكوت ذلك الى
ابي فجمع اهلنا ومضى الى ابيها راغبا في خطبتها فقال لو بدا له
ذلك قبل ان يفضحها لفعل ولكنه اشهرها فما كنت لاحق

قول

فما كنت لاحق قول الناس قال ابرهيم فاعدت عليه
الصوت وعرفني منزله ثم انصرف وكان بينا عشره
ثم جلس جعفر ابن يحيى وحضرت على عادتي فغنيته بشعر
الفتى فطرب وشرب اقداحا وقال ويحك لمن هذا الصوت
فحدثته حديث الفتى وامرني بالركوب اليه وان اجعله
على ثقة من بلوغ اربه فمضيت اليه واحضرته واستعاده
الحديث فحدثته فقال هي في ذمتي حتى ازوجك اياها فطابت
نفسه واقام معنا فلما اصبح ركب جعفر الى الرشيد وحدثه
بذلك فاستظرفه وامر ان يحضرا جمعا فاستعاد الصوت
وشرب عليه فامر بكتب كتاب الى عامل الحجاز باحضار
ابي المراة واهلها ووالدها مبجلا الى حضرته والانفاق
عليه نفقة واسعة فلم يمض الا يسيرا حتى حضر فاشار الرشيد
بايصال الرجل اليه فحضر وامره بتزويج ابنته من الفتى واعطاه
الف دينار ونقلت اليه ولم يزل الشاب من ندماء جعفر حتى
حدث ما حدث فعاد الفتى باهله الى المدينة وهذا ايضا
من بركة البرامكة رحمهم الله

حكاية اجنبية منقولة من حاشية الكتاب

ومما اتفق ان الوزير ابا عامر احمد بن مروان كان قد اهدى غلام
من النصارى لا تقع العيون على احسن منه فلمحه الملك الناصر وقال
له انا لك هذا قال هو من عند الله فقال بحضرتنا بالنجوم وتستاثر
بالاقمار فاعتذر اليه ثم احتفل في هدية بعثها اليه مع
الغلام وقال له كن داخلا في جملة الهدية ولولا الضرورة ما
سمحت بك نفسي وكتب معه هذه الابيات

امولاي هذا البدر سار لافقكم	وللافق اولى بالبدور من الارض
ارضيكم بالنفس وهي نفيسه	ولم ار قلبي من بمهجته يرضي

فحسن ذلك عند الناصر واتحفه بمال جزيل وتمكن عنده ثم بعد
ذلك اهديت للوزير جارية هي من اجمل نساء الدنيا
فخاف ان ينمي ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون كقصة الغلام
فاحتفل في هدية اعظم من الاولى وارسلها مع الجاريه
وكتب معها هذه الابيات

امولاي هذا الشمس والبدر اولا	تقدم كي ان يلتقي القمران
قران لعمري بالسعادة ناطق	تقدم منهما في كوثر وجنان
فما لهما والله في الحسن ثالث	وما لك في ملك البرية ثان

قال فضاعفت مكانته عنده ثم وشى به بعض اعدائه

عند

عند الناصر ان عنده بقية من الغلام حرارة وانه لا يزال
يلهج بذكره حين تحركه الشمول فيقرع السن على تعذر الوصول
فقال الناصر لا تحرك به لسانك والآحاد داسك وكتب على لسان
الغلام ورقة فيها مولاي تعلم انك كنت لي على الانفراد ولم ازل
معك في نعيم وانا وان كنت عند السلطان فلي شاذكا في المنزل
محاذرا ما يبدو من سطوة الملك فتحيل في استدعائي
منه ثم بعثها مع غلام صغير واوصاه ان يقول هي من عند
فلان وان الملك لم يكلمه فلما وقف عليها ابو عامر استخبر
الخادم فاحس بالشر فكتب على ظهر الورقة يقول

امن بعد احكام التجارب ينبغي	لدى سقوط الغر في غابة الاسد
ولا انا ممن يغلب الحب عقله	ولا جاهل ما يدعيه اولو الحسد
فان كنت روحي قد وهبتك طائعا	وكيف يرد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى استماع
واش فيه بعد ذلك ثم قال كيف خلصت من الشرك قال لان
عقلي بالهوى غير مشترك انتهى بحكمته

ذكر ما ترتب على البرامكة من نكال هتكهم وقتلهم وبادرهم من نقضهم

واما السبب في قتل البرامكة والقصة في ذلك ما رواه

ابرهيم ابن اسحق عن ابي تودذاهر بن معلاب قال بلغني انه
كان لابرهيم الرشيد مجلسا بالليل مع جعفر البرمكي فقال له
يوما لا يطيب لي ذلك الا بحضر اختي ميمونه ولكن لا يجوز الا ان
كتب لك عليها اباحة النظر من غير ان يقربها فاتفقا على ذلك
وعقد له عليها ثم احضرها فكانت تحضر كذلك الا انها ازدادت
وعشقها فيه لظهور جماله وحسن كماله وكان لجعفر امراة تزين
له الجوار كل ليلة فجاءت ميمونه لها وارشتها بما لفرينتها
لدوادخلها عليه فظن انها جارية فواقعها فلما اصبحوا قالت
له انا ميمونه وقد كنت سئلتك ان تساعدني على مودتك فتابى
فلما ايست منك احتلت عليك بما رايت هذه الليله وان لم
تواظب لاكونن سببا في سلب نعمتك وهل انا الا زوجه فقال
لها جعفر ويلك اهلكتني واهلكت نفسك وكان كما قال ولم
يزل بها حتى ظهر امرهما للرشيد فهذا كان سبب قتل البرامكه
وهذا ابتداء الحديث في كدورة قلب الرشيد لظهور بعض
الاسباب الاخر قال المبرد قال ابو عبد الله المارستاني عن يحيى ابن اكثم
القاضي قال سالت اسمعيل ابن يحيى الهاشمي عن سبب زوال نعمة
البرامكة قال نعم اعرف صحة الخبر وباطن القصه كان سبب ذلك

انى كنت

انى كنت مع الرشيد يوما من الايام راكبا الى الصيد فبينا نحن نسير
اذ نظر الى مركب لبغداد اعترضنا فقال يا اسمعيل لمن هذا فقلت
هو لاخيك جعفر ابن يحيى فالتفت يمينا وشمالا الى من معه
في مركبه فاذا هو شرذمه يسيره ثم نظر الى المركب الذى منه جعفر
فلم يره فقال لي اسمعيل ما فعل جعفر في مركبه فقلت يا سيدي
قد مضى اخوك في طريق ولم يعلم بموضعك فقال ما ارانا اهلا
ان يرينا مركبه ويجملنا بجيشه فقلت العفو يا امير المؤمنين
لو علم بمكانك ما تعداك وما سار الا بين يديك واعتذرت
بما حضرني من الكلام ثم سرنا حتى انتهينا الى ضيعة عامرة و
مواشي كثيره وعمارة حسنة وكان الطريق يدور عليها
فدرنا حتى وردنا باب القرية فنظر الرشيد الى السنابل والى
كثرة الغلال فيه والمواشي وسار اهلها فالتفت الي
وقال يا اسمعيل لمن هذه الضيعه قلت لاخيك جعفر ابن
يحيى فسكت ثم تنفس الصعداء ثم سرنا ولم نزل نمر بكل ضيعه
اعمر من الاخرى وكلما مر وسئل عن صاحبها قالوا لجعفر ابن يحيى
حتى سرنا ووصلنا الى المدينة فلما اردت وداعه والانصراف
الى منزلي نظر الى من كان حواليه نظرة فعلموا ما اراد فتفرقوا

وبقيت انا وهو فقال يا اسمعيل قلت لبيك يا امير المومنين فقال
انظر الى البرامكة اغنيناهم وافقرنا اولادنا واغفلناهم قلت
فى نفسى بلية والله وقلت مماذا يا امير المؤمنين قال نظرت الى
هؤلاء واغفلت هؤلاء فقال لانى لا اعرف لاحد من اولادى ضيعة
من ضياع البرامكة على طريق واحد على قرب هذه المدينة
فكيف بما هو لهم غير ذلك على غير هذه الطريق فى ساير البلدان
فقلت يا امير المؤمنين انما البرامكة عبيدك وخدمك و
الضيعات واموالهم وكلما يملكونه لك فنظر الى نظر جبار عنيد
ثم قال ما عد البرامكة بنوا هاشم الا عبيدهم وانهم هم الدولة
وان لا نعمة لبنى العباس انعموا عليهم الا والبرامكة انعموا عليهم
عليهم بها فقلت يا مولاى اصبر من غيره بخدمه ومواليه فقال
والله يا اسمعيل انك لتعلم انى قلت هذا وكانى اراك ان تعلمهم
بكلامى فتتخذ لك عندهم يدا وانى امرك ان تكتم هذا الامر فانه
ما علم به احد غيرك ومتى بلغهم شيئا مما جرى علمت انه ما افشاه
الا انت فقلت يا امير المؤمنين اعوذ بالله ان يكون مثلى يفشى
سرك قال وكان هذا اول ما ظهر من امر البرامكة ثم ودعته و
انصرفت متفكرا فى ايقاع الحيلة عليهم فلما كان من الغد بكرت

اليه وجلست بين يديه وكان فى محل يشرف على الدجلة
من شرقى دار السلام وبازائه منزل جعفر من الجانب الغربى
وكانت المراكب من جميع الاصناف من قائد وامير وعامل
يردون فى كل يوم الى قصر جعفر فالتفت الى وقال يا اسمعيل
هذا ما كنا فيه بالامس انظر كم على باب جعفر من الجيوش والغلمان
والمراكب ولعل ما على باب دارى احد فقلت يا امير المؤمنين
ناشدتك الله ان علقت نفسك لشىء من هذا انما هو جعفر
خادمك وعبدك ووزيرك وصاحب جيوشك اذا لم يكن
الجيش على بابه فعلى باب من يكون انما بابه باب من ابوابك
فقال يا اسمعيل انظر الى دوابهم الست ترى اعجازهم
الى قصرى وتروث بازائنا ونحن ننظر اليها هذا هو الاستخفاف
بعينه والله لاصبرن على ذلك ثم غضب غضبا شديدا وامتلا
غيظا فامسك عن الكلام فقلت هذا قضاء من الله سابق
وحكم لا محالة واقع ثم استاذنته فى الانصراف ورجعت الى
منزلى فلقينى جعفر فى الطريق يريد الرشيد فواريت منه
حتى مضى فدخل عليه وسلم فاجلسه عن يمينه واكرمه
غاية الاكرام وهش فى وجهه وحادثه ساعة ووهب

له خادما من خواصه اوضحهم وجها واكملهم ظرفا كاتبا حاسبا
لبيبا فسر جعفر سرورا ووقع في قلبه اجل موقع وكان ذ تبيا
عليه يرفع اخبار الى الرشيد ويحصي عليه انفاسه ساعة
بساعة ووقتا بوقت فخلى به جعفر يومه ذلك وليلته واحجب
من احله عن الناس فلما كان بعد ثلثة ايام سرت الى جعفر
فسلمت عليه فلما اخلى مجلسه ولم يبق عنده غيري وذلك
الخادم واقف وعلمنا ان الخادم يحصي عليه اخبارنا فقلت ايها
الوزير نصيحة اتاذن بالكلام قال تكلم وكان الرشيد ولاه كورة
خراسان كلها وما يضاف اليها وينسب لها قبل هذا الكلام
بايام وخلع عليه وعقد له لواء وعسكر ابا النهروان وضرب
الناس مضاربهم لها وهم مهيئين للسفر فقلت يا سيدي
انت عازم على الخروج الى بلد كثير الخير واسعة الاقطار عظيمة
المملكة فلو صيرت بعض ضياعك لولد امير المؤمنين لكان احفظ
لمنزلتك عنده فلما قلت ذلك نظر الي مغضبا بصلفة وقال والله
يا اسمعيل ما اكل الخبز ابن عمنا وقال صاحبنا الا بفضلي ولا قامت
له هذه الدولة الا بنا اما كفى ان تركته لا يهتم بشيء من امر
نفسه وولده وحاشيته ورعيته وقد ملئنا اموا له اموالا لا

ولا

ولازلت للامور الجليله ادبرها حتى بيد عينيه الى ادخرته لولدي وعقبي
من بعدي ووطحل حسد بني هاشم وبغيهم ودب فيهم الطمع واتقيه
لئن سال شيئا من ذلك ليكونن وبالا عليه سريعا فقلت والله يا سيدي
ما كان مما ظننت شيئا ولا تكلم امير المؤمنين بحرف قال فما هذا الفضول
منك فقعدت بعدها هنيهة ثم قمت الى منزلي ولم اركب اليه
ولا الى الرشيد وقلت في نفسي هذا الخليفه وهذا وزيره ولي
شيء لي بالدخول بينهما ولا شك في زوال نعمة البرامكة وان امورهم
قد تفاقمت قال وحدثني خادم ام جعفر ان الخادم الذي وهبه الرشيد
لجعفر كتب الى الرشيد بما كان بينه وبينه وما تكلم به في الكلام
الغليظ فلما قرا الخبر احتجب ثلاثة ايام متفكرا في ايقاع الحيلة على
البرامكة فدخل في اليوم الرابع على زبيدة فخلى بها وشكى ما في
قلبه عليها واقراها الخبر الذي رفعه اليه الخادم وكان بين زبيدة
وجعفر شر اعداوة قديمة فلما تمكنت الحجة عليه بالغت في مكروههم
واجتهدت في هلاكهم وكان الرشيد يتبادك بشورتها
فقال اشيري علي برايك الموافق للرشيد فاني خائف ان يخرج
الامر من يدي ان تمكنوا من خراسان وتغلبوا عليها قالت
يا امير المومنين مثلك مع البرامكة كمثل رجل سكران غريق

في بحر عميق وان كنت قد افقت من سكرتك وتخلصت من غفلتك
لخبرتك بما هو اصعب عليك واعظم من هذا بكثير وكثير وان
كنت على الحالة الاولى تركتك فقال لها قد كان ما كان فقولي
اسمع منك فقالت ان هذا الامر قد جناه عنك وزيرك وهو
اصعب مما انت فيه واقبح واشنع فقال لها ويحك وما هو قالت
انا اجلك ان اخاطبك به ولكن ارجوان الخادم احضره وشدد
عليه واوهنه ضربا فانه يعرفك الخبر وكان الرشيد قد احل
جعفر محلا لم يحله اخاه ولا اباه وامره ان يدخل الحريم في السفر
والحضر وابرز اليه جواريه واخواته وبناته لانه كان بينهما
رضاع سوى امراته زبيده فانه لم يكن راها ولا دخل عليها ولا
قضا لها حاجة ولاهي ايضا تستقضيه حاجة فلما فسد قلب الرشيد
على البرامكة وجدت سبيلا على البرامكة وحطت على جعفر
وكان جعفر يدخل على الحريم في غياب الرشيد ويقضي حوائجهن
لانهن لا يستترن منه وكان ذلك بامر الرشيد وما يعلم الرشيد
ما حدث من جعفر قال فخرج الرشيد من عند زبيدة واستدعى
بارجوان الخادم واحضر السيف والنطع وقال بر ان من المضود
لئن لم تصدقني من حديث جعفر قتلتك فقال الامان يا امير المومنين

قال نعم الامان قال اعلم ان جعفر قد خانك في اختك
ميمونه وقد دخل بها منذ سبع سنين وولدت منه ثلاثه
بنين احدهم له ست سنين والاخر له خمس سنين والثالث
عاش سنتين ومات قريبا والابنين قد انفذهما الى مدينه
الرسول صلى الله عليه واله وسلم وهي حامل بالرابع وانت
اذنت له بالدخول على اهل بيتك وامرتني ان لا امنعه في اي
وقت شاء ليلا او نهارا فقال امرتك ان لا تحجبه فحين حدثت
هذه الحادثه لم لا اخبرتني اول مرة ثم امر بضرب عنقه فضرب
عنقه وقام من وقته على الفور ودخل على زبيدة وقال رايت
ما عاملني به جعفر وما ارتكب من هتك ستري ونكس راسي
وفضحني بين العرب والعجم قالت هذه شهوتك وارادتك عمدت
الى شاب جميل الوجه حسن الثياب طيب الرائحة جبار في نفسه
ادخلته على ابنة خليفة من خلفاء الله وهي احسن منه وجها
وانظف منه ثوبا واطيب منه رائحة لم تر رجلا قط غيره فهذا
جزاء من جمع بين النار والحطب فقام من عندها مكروبا وكان
قاسي القلب فظا غليظا قد نزع الله الرحمة من قلبه فقال
يا مسرور اذا كان الليل بعد العتمة فاتني بعشرة من الفعلة جلادا

ومعهم خادمان قال نعم فلما كان بعد العتمة جاء مسرور ومعه الفعلا
والخادمان فقام الرشيد وهم بين يديه حتى اتى المقصورة التى فيها
اخته ميمونه نظر اليها فلم يكلمها بشئ ولم يعاتبها على ما فعلت وامر
الخادمين بادخالها فى صندوق كبير فى مقصورتها بحليها وثيابها كما
هى وقفل عليها وهى ساكته لا تتكلم ولا تعتذر لعلمها بجرمها وقد علمت
انها بعد قتل ادجوان لاحقة به فلما علم انه قد استوثق بها دعى
بالفعلا ومعهم المعاول والزنابيل فحفروا وسط المقصورة حتى
بلغوا الماء وهو قاعد على كرسى قال حسبكم هاتوا الصندوق
فدلوه فى تلك الحفرة ثم قال ردوا التراب عليه ففعلوا وسووا
الموضع كما كان ثم اخرجهم وقفل الباب واخذ المفتاح معه وجلس
فى موضعه والفعلا والخادمان بين يديه فقال يا مسرور دخل
هؤلاء القوم واعطهم اجرتهم والخادمان فاخذهم مسرور و
جعلهم فى جواليق وضبط عليهم بعد ان ثقلهم بالفحر والحصى
ورماهم فى وسط الدجله ورجع من وقته فوقف بين يديه فقال
يا مسرور فعلت ما امرتك به قال وفيت القوم اجورهم فدفع اليه
مفتاح البيت وقال احفظه حتى اسئلك عنه وامض الان وانصب
فى وسط المحل القبه التركية ففعل ذلك ووافاه قبل الصبح ولم

يعلم احد ما يريد فلما جلس فى مجلسه وكان يوم يركب قال يا مسرور
لا تتباعد عنى ودخل الناس فسلموا عليه ووقفوا على مراتبهم و
دخل جعفر ابن يحيى البرمكى فسلم عليه فرد عليه السلام احسن رد
وترحب وضحك فى وجهه فجلس فى مرتبته اقرب المراتب الى امير المؤمنين
ثم حدثه وضاحكه فاخرج الكتب الواردة عليه من النواحى فقراها
عليه وامر ونهى ووقع ونفذ الامور وقضى حوائج الناس ثم استاذن
جعفر فى الخروج الى خراسان فى يومه ذلك فدعى الرشيد المنجم
وهو جالس بحضرته فقال الرشيد كم مضى من النهار قال ثلاث
ساعات ونصف فاخذ له الارتفاع وحسب له الرشيد بنفسه
ونظر فى نجمه فقال يا اخى هذا يوم نحسك وهذه ساعة نحس ولا
ادرى ان يحدث فيها حدثا ولكن تصلى الجمعه وترحل فى سعودك
وتبيت فى النهروان وتبكر يوم السبت وتستقبل الطريق بالنهار
فانه اصلح لك من اليوم فما رضى جعفر بما قال له الرشيد حتى اخذ
الاصطرلاب وقام واخذ الطالع وحسب بنفسه وقال والله صدقت
يا امير المؤمنين ان هذه الساعة ساعة نحس وما رايت نجما اشد
احتراقا ولا اضيق مجرى فى البروج فى مثل هذا اليوم ثم قام وانصرف
الى منزله والناس والقواد والخاص والعام من كل جانب يغبطونه

ويحبونه الى ان وصل الى قصره فى جيش عظيم فى امر ونهى وانصرف الناس
عنه فلم يستقر به المجلس حتى ابعث الرشيد الى مسرور وقال له
امض الى جعفر وأتنى به الساعة وقل له وردت كتب من خراسان
فاذا دخل من الباب الاول والثانى والثالث فلا تدع احدا يدخل معه
من غلمانه بل يدخل وحده فاذا دخل فى صحن الدار فجل به الى القبة
التركية التى امرتك بنصبها فاضرب عنقه وأتنى براسه ولا
يوقفن احدا من خلق الله على ما امرتك ولا تراجعنى فى امره وان لم
تفعل امرت من ياتينى براسك وراسه جملة وفى دون هذا كفاية
وانت اعلم وبادر قبل ان تبلغه الخبر من غيرك فمضى مسرور و
استاذن على جعفر ودخل عليه وقد نزع ثيابه وطرح نفسه
ليستريح فقال يا سيدى اجب امير المؤمنين قال فانزعج وارتاع
منه وقال ويلك يا مسرور انا فى هذه الساعة خرجت من عنده
فما الخبر الساعة قال وردت كتاب من خراسان يحتاج تقراها
فطابت نفسه ودعى بثيابه فلبسها وتقلد بسيفه وذهب
معه فلما دخل من الباب الاول وقف الجند وفى الثانى وقف
الغلمان فلما دخل من الباب الثالث التفت فلم ير احدا من الغلمان
ولا الخادم وبقى نفسه الفرد فندم على ركوبه تلك الساعة ولم

يمكنه الرجوع فلما صار بازاء تلك القبة المضروبة فى صحن الدار
مال اليها وانزله عن دابته وادخله القبة فلم ير فيها احدا
وفى رواية اخرى فيها سيف ونطع فحس بالبلاء وقال لمسرور يا اخى
ما الخبر فقال له مسرور انا الساعة اخوك وفى منزلك
تقول لى ويلك انت تدرى ما القضية وما كان الله ليهملك
ولا يغفل عنك فقد امرنى امير المؤمنين بضرب عنقك وحمل
راسك اليه الساعة فبكى جعفر ويقبل يدى مسرور ورجليه
ويقول يا اخى مسرور قد علمت كرامتى لك دون جميع الغلمان
والحاشية وان حوائجك عندى مقضية فى ساير الاوقات
وانت تعرف موضعى ومحلى من امير المؤمنين ومرتبتى وما يوجه
الى من الاسرار ولعل ان يكون بلغوه عنى باطلا وهذه
باطلا مائة الف دينار احضر لك بها الساعة قبل ان اقوم
من موضعى هذا وخلنى اهيم على وجهى قال لا سبيل الى ذلك
ابدا قال فاحملنى اليه واوقفنى بين يديه فلعل اذا وقع نظره
علىّ تدركه الرحمة فيصفح عنى قال ما لى سبيل الى ذلك ولا
يمكننى مراجعته وقد علمت انه لا سبيل لك الى الحيوة ابدا
قال فتوقف عنى ساعة وترجع اليه ولا تكلمه وتقول له قد فر

مما امرتني به واسمع ما يقول وعه فافعل ما تريد فان فعلت
ذلك وصلت الى السلامة فاني اشهد الله وملئكته انى اشاطرك
في نعمتي مما ملكته يدى واجعلك امير الجيوش واملكك امر الدنيا
ولم يزل به وهو يبكي حتى طمع له في الحيوة وقال ربما يكون
ذلك فخلع عنه سيفه ومنطقته واخذهما ووكل به اربعين
غلاما من السودان يحفظونه ومضى مسرور ووقف بين يدى
الرشيد وهو جالس يقطر غضبا وفي يده القضيب الولع
ينكت به الارض فلما راه قال له ثكلتك امك ما فعلت في امر
جعفر قال يا امير المؤمنين قد انفذت امرك فيه قال فاين راسه قال في الصحن
قال فاتني براسه الساعة فرجع مسرور وجعفر يصلي وقد ركع ركعة
فلم يمهله ان يصلي الثانية حتى سل سيفه الذي اخذه منه
وضرب عنقه واخذ راسه بلحيته فطرحها بين يدى امير المؤمنين
وهو يتحدر دما فتنفس الصعداء وبكى بكاء شديدا وجعل ينكت في
الارض اثر كل كلمة ويقرع اسنانه بالقضيب ويخاطبه
الراحلة بحل نفسي يا جعفر ما كافيتني ولا عرفت حقي ولا حفظت
عهدي ولا ذكرت نعمتي ولا نظرت في عواقب الامور ولا تفكرت
في تصاريف الدهور ولا حسبت تقلب الايام واختلاف احوالها

يا جعفر

يا جعفر خنتني في اهلي وفضحتني بين العرب والعجم يا جعفر
اسأت الى والى نفسك ولا تفكرت في عاقبة امرك قال
مسرور وانا واقف بين يديه وهو ينكت الارض بكل كلمة
ولم يزل كذلك الى ان اذن لصلوة الظهر فدعى بماء فتوضأ
للصلوة وخرج للجامع فصلى بالناس جماعة ثم اظهر وجهه في
جعفر ودوره وقبض على ابيه وابنه واخيه وجميع اولاد البرامكة
واموالهم وغلمانهم واستباح ما فيها ووجه مسرورا الى العسكر
فاخذ جميع ما فيه من مضارب وخيام وسلاح وغير ذلك فلما
اصبح يوم السبت فاذا قد قتل البرامكة وحاشيتهم نحو الف
انسان وترك من بقي منهم لا يرجع الى وطنه وشتت شملهم
في البلاد ولم يقدر واحد منهم على كسرة خبز وحبس اباه
يحيى واخاه الفضل في مطمورة وامر بجثة جعفر فصلب على الجسر
من بغداد ثم بعث الى خراسان ان يوطى بلادها وامر الناس
فردوا امضادهم ودخلوا العسكر واستقرت الامور واحضر علي بن
عباس وعيسى بن هامان فولاه خراسان ثم وجه الى مدينة النبي
صلى الله عليه وآله وسلم فاتى بالصبيين ولدى جعفر من لعبة
ميمونة فادخلا عليه في بيته فلما راهما اعجب بهما وكانا في

نهاية الحسن والجمال واستنطقهما فوجد لغتهما مدنيه وفصاحتهما
هاشميه وفي الفاظهما عذوبة وبلاغة فقال الكبير منهما ما اسمك
يا قرة العين قال الحسن وقال للصغير ما اسمك يا حبيبي
فقال الحسين فنظر اليهما وبكا بكاء اشديدا ثم قال يعز علي
حسنكما وجمالكما لا رحم الله من ظلمكما لا رحم الله من ظلمكما
ولم يدريا ولم يدريا ما يراد بهما وانهما نعيا اليهما انفسهما ثم
قال يا مسرور وما فعلت بالمفتاح الذي دفعته لك وامرتك
بحفظه قال هو حاضر يا امير المؤمنين قال فاتني به ثم بجماعة
من الغلمان والخدم وامرهم ان يحفروا في البيت حفرة عميقة ودعى
بحطب فالقاه في الحفرة ثم امرهم بنقض الردم حتى وصلوا
الى الصندوق وطرح النار والقى الحطب فاشتعل حتى ارتفع
اللهيب واسودت النار بعد بياضها ثم دعى بالصبيين و
اقعد احدهما على فخذه الايمن والاخر على الايسر وجعل يقبلهما
ويبكي حتى ظننت انه يرحمهما ثم قال لا رحم الله من اهلككما فقال
اسمعيل فقال مسرور وانا واقف قد تقطع قلبي رحمة لهما وهما يبكيان
ويتضرعان ويقولان يا خالنا الله في امرنا ولا تهلكنا بذنب غيرنا
وارحم وحدتنا وصغر سننا وهو مع ذلك يبكي بكاء شديدا حتى قد ظننت

انه

انه رحمهما ثم مسح عينيه من الدموع وقال يا مسرور والله ما من تركهما سبيل
ولا اقدر من تركهما ولا اقدر والله اسمع بذكرهما ويلك
يا مسرور نعم ساعة ولا تنغص العيش ابدا خذ اليك هذا الكبير
وافعل به كما انا افعل بالصغير واخذ واحدا واخذت انا الاخر
قذفناهما في النار فوالله ما سمعت لهما حسا ولا حركة غير الصرخة
الاولى ثم خمدتا ولم يتبين لهما في النار عظم ولا غيره فلما
كان بعد ايام خمدت النار امر بذلك الرماد فذري في الدجلة
في يوم ريح عاصف وامر ان لا يذكر البرامكة في مجلس ولا يستغاث
عمن بقي منهم في المدينة احد فخرجوا على وجوههم شاردين
متنكرين وقطع الله دابرهم بعد ثلاثة من هلاك البرامكة وجد الرشيد
رقعه تحت مصلاه فيها خطاب وابيات من الشعر فبحث عنها
ان صاحب الستر عملها فبعث اليه فساله عنها فقال يا امير
المؤمنين وجدتها في صحن الدار ولا اعلم من طرحها فاخذتها
وطرحتها تحت مصلاك فظن ان ذلك من فعل لتهلك من بقي
من البرامكة فملكت الرقعه للرشيد وحركته وزادت في غيظه
واستدعى في الوقت بالفضل ابن يحيى وضربه اسياطا حتى
كاد ان يهلكه وزاد في حديده واغلاله واستدعى بيحيى بن

خالد وكان شيخا كبيرا وزادني في حديثه واغلا له وقد
نشا في النعيم وفقد جمعه وتشتت الاهل فكتب كتابا الى الرشيد وسئله
ان يخفف عنه من القيد والغل

بسم الله الرحمن الرحيم

الى امير المؤمنين ونسل المهديين وامام المسلمين وخليفه رب
العالمين من عبد اسلمته ذنوبه واوثقته عيوبه وخذله شفيقه
ورفضه صديقه وخانه الزمان واناخ عليه الخذلان ونزلت
به الحدثان فصار في الضيق بعد السعه وعالج الموت بعد الدعه
وشرب بكاس المترعه وافترش السخط بعد الرضى واكتحل السهد الكرى
فنهاره فكر وليله سهر وساعته شهر وليله دهر قد عاين الموت
مرارا وشارف الموت جهارا يا امير المؤمنين قد اصابني مصيبتان
الحال والمال اما المال فان ذلك منك ولك وكان في يدي
عارية منك ولا باس برد العواري الى اهلها واما الصيبه فبجرمه وجريرته
وعاقبته عما استحق من امرك وكان جزاؤه فوق ما استحقه واما انا
فاذكر يا امير المومنين خدمتي وارحم ضعفي ووهن قواي وهب جرمي
منك فمن مثلي الزلل ومن مثلك الاقالة ولست اعتذر ولكن اقر وقد
رجوت ان افوز برضاك فتقبل عذري وصدق نيتي وظاهر طاعتي

وتلويح

وتلويح حجتي ما يكتفي به امير المؤمنين ويرى الحقيقة فيه
ويبلغ المراد منه ثم انشا شعرا

قل للخليفة ذي الصنائع	والعطايا الغاشية
وابن الخلائف من قريش	والملوك العاليه
راس الامور وخير من	ساس الامور الماضيه
ان البرامكة الذين	رمكوا الديك بداهيه
عمتهم لك سخطه	لم تبق منهم باقيه
وكانهم مما بهم	اعجاز نخل خاويه
صعر الوجوه عليهم	خلع المذلة باديه
مستضعفون مطردون	بكل ارض قاصيه
بعد الامارة والوز	ارة والامور الساميه
ومنازل كانوا بها	فوق المنازل عاليه
اضحوا وجل مناهم	منك الرضى والعافيه
يا من يريد لي الردا	يكفيك ويحك ما بيه
يكفيك اني مستبا	لمعسري ونائبيه
يكفيك ما ابصرته	ذلي وذل مكانيه
لقد رايت الموت من	قبل الممات علانيه

وبكى فاطمة الكبيرة … والدموع الجاريه
ومقالها بتجمع … يا اسرتي وشقائيه
من لي وقد غلب الزمان … على جميع الرجاليه
بالهمّ نفسي لهفها … ما للزمان وماليه
او ما سمعت مقالتي … يا ذا الفروع الزاكية
يا عطفة الملك الرضي … عودي علينا ثانيه

فلما اشرف الرشيد على الرقعة كتب على ظهرها هذه الابيات

يا ال برمك انكم … كنتم ملوكا عاتيه
فعصيتم وطغيتم … وكفرتم نعمائيه
هذا عقوبة من عصى … من فوقه وعصانيه
اجرى القضاء عليكم … ما تحتموه علانيه
من ترك نصح امامكم … عند الامور البادية

ثم اردف بقوله تعالى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون فلما قراها يحيى وهو بالسجن اخذته الحمى لوقته وساء عيشه وكان ينام على التراب وايس من الحيوة وعلم انه ليس له مخلص مما هو

فيه

فيه من السجن قيل ليحيى ابن خالد ايها الوزير اخبرنا باحسن ما رايت في ايام سعادتك قال ركبت يوما في يوم بعض الايام في سفينه اريد التنزه فلما خرجت لاصعد واتكيت على لوح من الواحها وباصبعي خاتم وكان ياقوتا احمر قيمته الف مثقال من الذهب فطرت من ذلك ثم عدت الى منزلي واذا بالطباخ قد اتاني بذلك الفص بعينه وقال ايها الوزير لقيت هذا الفص في بطن حوت وذلك لاني اشتريت حيتانا للطبخ فشققت بعضها فرايت هذا الفص فقلت لا يصلح هذا الا للوزير اعزه الله تعالى فقلت الحمد لله هذا بلوغ الغاية وقيل اخبرنا ببعض ما لاقيت من المحن قال اشتهيت قدر طباخ وانا في السجن فغرمت الف دينار ودشوة حتى اتيت بقدر لحم مقطع في قصبه فارشيه والخل وساير الحوائج في قصبه اخرى وتركوا عندي ما احتاج اليه واتيت بنار فاوقدت تحت القدر ونفخت وحيتي في الارض حتى كادت روحي تخرج فلما نضجت تركتها تفور وتعرق وفتيت الخبز وعمدت لانزلها فانقلبت يدي وانكسر القدر على الارض فبقيت القط اللحم وامسح منه التراب واكله وذهب منه المرق الذي كنت اشتهيه وهذا اعظم ما مر بي انتهى

ذكر وفات يحيى ابن خالد البرمكي وندامة الرشيد واطلاق الفضل

قيل بعد قضيه البرامكه بايام نذر الرشيد الحج فخرج ومعه العسكر وكان خروجه في رمضان فكان تضرب له السرادقات المكلله بالديباج مفروشه بالحرير يخرج من سرادق والناس محدقون به حتى وصل الى الحرم وحج فاتفق ان الوفاة دنت من يحيى وهو في السجن وكتب رقعه واوصى لولده الفضل ان يوصلها الى الرشيد وكتب فيها هذه الابيات

ستعلم في الحساب اذا التقينا	غدا يوم الحساب من الظلوم
وينقطع التلذذ عن اناس	من الدنيا وتنقطع الهموم
تنام ولم تنم عنك المنايا	تنبه للمنيه يا نؤم
تروم الخلد في دار الدنايا	وكم قد رام غيرك ما تروم
الى ديان يوم الدين نمضي	وعند الله تجتمع الخصوم

فلما قدم الرشيد انفذها اليه الفضل فلما قراها علم بموته فقال مات والله يحيى ومات الجود والكرم والسخا والله لو كان حيا لافرجت عنه ثم امر باطلاق الفضل ابنه واستوزره مكان اخيه رح قال بعضهم

ان البرامكه الذين تعلموا	فعل الكرام فعلموه الناسا

كان

كانوا اذا غرسوا سقوا واذا بنوا	لا يهدمون لما بنوه اساسا
فاذا هم صنعوا الصنايع في الورى	جعلوا لها طول البقاء لباسا
فعلى م تسقيني وانت سقيتني	كاس المودة من جفانك كاسا
ايستوي متفضلا افلا ترى	ان القطيعه توحش الايناسا

سئل اسحق الموصلي عن اسحق اولاد يحيى ابن خالد البرمكي فقال اما الفضل ففعله يرضيك واما جعفر فقوله يرضيك واما محمد فيفعل ما يجد وفي يحيى يقول القايل

سالت الندى هل انت حر فقال لا	ولكنني عبد ليحيى ابن خالد
فقلت شرا فقال لا بل وارثه	توارثنها من والد بعد والد

وفي الفضل يقول القايل

اذا نزل الفضل ابن يحيى ببلدة	رايت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسال الناس سل حاجة	ولا نكت في ثرى الارض ينكت

وفي محمد يقول القائل

سالت الندى والجود ما لي اراكما	تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد امسى مهدما	فقالا اصبنا في ابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته	وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا اقمنا كي نعزى بفقده	مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وذكر الحافظ السيوطي نفعنا الله به في رسالته مشتهى العقول في منتهى المعقول انه قال كان منتهى كرم الوزراء البرامكة لايوجد من العلماء والحكماء والادباء والعظماء والندماء الاول للبرامكة عليه كرم نحا كالنماء وتكرم جعفر بخمسين الف دينار من الذهب وتكرمه منه كثير اني ولايته كلها من غير من ولا اذى ولا تخصيص ولا الغرض ولا المرضية صار يضرب بهم المثل بقولهم تبرمك ومن كرم جعفر انه تكرم في يوم على الف شاعر اعطى كل شاعر الف درهم والدرهم ثلثة اضعاف ومن كرمه انه تكرم على من هجاه بخمسة الاف دينار وعفى عن تاديبه وتعذيبه ولما وقع بهم من الامر ما وقع من الرشيد وصار امرهم الى ما لايوصف من الفقر والذل والاهانة ما قال محمد ابن غسان صاحب صلاة الكوفة وقاضيها قال دخلت على امي عيد اضحى فرايت عندها عجوزا في اطمار دنسة فاذا لها بيان ولسان فقلت لامي من هذه قالت خالتك عتابة ام جعفر ابن يحيى البرمكي فسلمت عليها وقلت لها اصارك الدهر الى ما ارى قالت نعم يا بني ان الذي كنا فيه عارية ارتجعها الدهر فقلت حدثيني بعض شانك قالت خذ جملة لقد

مضى علي عيد اضحى مثل هذا منذ ثلاث سنين وعلى راسي اربع مائة وصيفة وانا ازعم ان ابني جعفر عاق لي وقد جئتكم اليوم اطلب جلدي شاة اجعل احدهما شعارا والاخر دثارا قال فضحكت من ذلك فوهبت لها دنانير كانت عندي ومن قول يحيى ابن خالد البرمكي لابنه يا بني ما دام قلمك يرعف فامطره معروفا

ومن علو همتهم واعطائهم على طول الايام

ما نقل يحيى ابن سلام الابرش قال حدثني ابي قال خرج الرشيد للصيد يوما بعد ما اباد البرامكة فاجتاز بجدار خراب من جدارات بني برمك فراى لوحا مكتوبا عليه

يا من لا لعب الزمان باهله	فاباد هم بتفرق لا يجمع
ان الذين عهدتهم بك مرة	كان الزمان بهم يضر وينفع
ذهبوا الذين يعاش في اكنافهم	وبقي الذين حيوتهم لا تنفع

قال فبكى الرشيد واقبل على الاصمعي وقال اتعرف شيئا من اخبار البرامكة تحدثني به قال ولي الامان قال ولك الامان فقال احدثك بشيء شاهدته بعيني من الفضل ابن يحيى وذلك انه خرج يوما للصيد والقنص وهو في موكبه اذ راى اعرابيا على ناقة قد اقبل من صدر البرية يركض في سيره فقال

هذا يقصد بي قلت ومن اعلمك قال لا يكلمه احد غيري فلما
دنى الاعرابي وراى المضارب تضرب والخيام تنصب والعسكر
الكثير والجم الغفير وسمع الغوغاء والضجة ظن انه امير المومنين
فنزل وعقل راحلته وتقدم اليه وقال السلام عليك يا امير المومنين
ورحمة الله وبركاته قال اخفض عليك ايها الوزير قال ويلك
اخفض عليك ما تقول قال السلام عليك ايها الامير قال الآن
قاربت اجلس فجلس الاعرابي فقال له الفضل من اين اقبلت يا اخا
العرب قال من قضاعة قال ادناها او من اقصاها قال من اقصاها
قال الاصمعي فالتفت الى الفضل وقال كم من العراق الى قضاعة
فقلت مائة فرسخ الى العراق فقال يا اخا العرب مثلك من
يقصد من مائة فرسخ الى العراق لاي شيء قال قصدت هؤلاء
الاماجد الانجاد الذين قد اشتهر معروفهم في البلاد قال من هم
قال البرامكة قال الفضل يا اخا العرب ان البرامكة خلق كثير و
كلهم جليل وخطير ولكل منهم خاصته وعامته فهل افردت
لنفسك منهم من اخترت لقصدك وانعته لحاجتك قال اجل
من اطولهم باعا واسمعهم كفا قال من هو قال الفضل ابن
يحيى البرمكي فقال له الفضل يا اخا العرب ان الفضل جليل القدر

تعجب قال الفضل

عظيم الخطر واذا جلس للناس مجلسا عاما لم يحضر مجلسه الا
الفقهاء والعلماء والشعراء والادباء والكتاب والمناظرين
للعلم اعالم انت قال لا قال افاديب انت قال لا قال افعارف
بايام العرب واشعارها انت قال لا قال هل وردت
على الفضل بكتاب وسيلة قال لا فقال يا اخا العرب غرتك
نفسك مثلك من يقصد الفضل ابن يحيى وهو ما عرفك
باي ذريعة او وسيلة تقدم عليه قال والله يا ايها
الامير ما قصدته الا لاحسانه المعروف وكرمه الموصوف
وخصايصه المعلوم وبيتين قد قلتهما فيه قال الفضل
يا اخا العرب انشدني البيتين فان كان مما يصلحان ان
تلقاه بهما فامر به والا برتك بشيء من مالي ورجعت الى
باديتك ان كنت لم تخلق نفسك ولم تتحف بشعرك قال اتفعل
ايها الامير قال نعم قال اقول

الم تر ان الجود من عهد ادم	تحدر حتى صار يملكه الفضل
ولو ان اما مسها جوع طفلها	غذته باسم الفضل فاغتدى الفضل

قال احسنت يا اخا العرب فان قال لك الفضل هذه البيتين قدم
جنابه بهما شاعر واخذ الجايزة عليهما بل انشدني غيرهما

ما تقول قال اقول

قد كان ادم حين وفاته … اوصاك وهو يجود بالحوباء
ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم … وكفيتنا عن عوله الابناء

قال احسنت يا اخا العرفان قال لك الفضل سمعنا هذان البيتان اخذتهما من افواه الناس انشدني غيرهما ما تقول وقد رمقتك الادباء بالابصار وامتدت الاعناق اليك وتحتاج ان تناضل عن نفسك قال اذا اقول

ملكت جها بذ فضل وزن نائله … ومل كاتبه احصاء ما يهب
والله لولاك لم يمدح بمكرمة … خلق ولم يرتفع مجد ولا حسب

قال احسنت يا اخا العرفان قال لك الفضل هذان البيتان ايضا اخذتهما من افواه الناس ما كنت قائلا قال اقول

وللفضل صولات على مال نفسه … يرى المال منه بالمذلة والعنا
ولولا رب المال امسك ماله … لصلى على مال الامير واذنا

قال احسنت يا اخا العرفان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان انشدني غيرهما ما تقول قال اذا اقول

ولو قيل للمعروف ناد اخا العلى … لنادى باعلى الصوت يا فضل يا فضل
ولو انفقت جدوا الفضل عالج … لاصبح من جدوا الفضل نقل الرمل

قال

قال احسنت يا اخا العرفان قال لك الفضل هذان البيتان مسروقان ايضا انشدني غيرهما ما تقول قال اقول

وما الناس الا اثنان صب وباذل … وان لذاك الصب والباذل الفضل
على ان لي مثلا فاذكر الهوى … ولم ير للفضل في سماحته مثل

قال احسنت يا اخا العرفان قال لك الفضل انشدني غيرهما ما تقول قال اقول ايها الامير

حكى الفضل بن يحيى سماحة خالد … فقام به التقوى وقام بالبذل
وقام به المعروف شرقا ومغربا … ولم يك للمعروف بعد ولا قبل

قال احسنت يا اخا العرفان قال لك قد ضجرنا من الفضل والمفضول انشدني بيتين على الكنيه لا على الاسم ما تقول قال اقول

الا يا ابا العباس يا واحد الورى … ويا ملكا احد الملوك له نعل
اليك تسير الناس شرقا ومغربا … فرادى وازواجا كانهم نحل

قال احسنت يا اخا العرفان قال لك انشدنا غير الاسم والكنيه والقافيه قال والله لئن زادني الفضل بعد هذا وامتحني لاقولن اربعة ابيات ما سبقني اليهن احد ولئن زادني بعده لاجمعن قوائم ناقتي هذه واجعلها في حرام الفضل وارجع الى قضاعة خاسرا ولا ابالي فنكس الفضل راسه وقال للاعرابي يا اخا العرب

اسمعني الابيات قال اقول

ولائمة لامتك يا فضل في الندى ... فقلت لها هل يقدح اللوم في البحر
اتنهين فضلا عن عطاياه للغنا ... فمن ذا الذي ينهى السحاب عن القطر
كان نوال الفضل في كل بلدة ... تحدر هذا المزن في مهمه قفر
كان وفود الناس من كل وجهة ... لاقوى عنده ليلة القدر

قال ماسك الفضل على فيه وسقط على وجهه ضاحكا ثم رفع راسه وقال يا اخا العرب انا والله الفضل ابن يحيى قل ماشئت فقال سئلتك بالله ايها الامير انك هو قال نعم قال له فاقلني قال اقالك الله اذكر حاجتك قال عشرة الاف درهم قال الفضل ازدريت بنا يا اخا العرب تعطى عشرة الاف في عشرة الاف درهم وامر بدفع المال اليه فلما صار المال اليه حسده وزير الفضل وقال يا مولاى هذا اسراف ياتيك جلف من اجلاف العرب بابيات استرقها من اشعار العرب بهذا المال قال السحقه باشخاصه الينا من ارض قضاعه قال الوزير اقسمت عليك يا مولاى الا ما اخذت سهما من كنانتك وركبته في كبد قوسك واوميت به الى الاعرابي فان رده عن نفسه ببيت من الشعر والا استعطف مالك ويكون له في بعضه كفاية فاخذ الفضل سهما من كنانته و

ركبه

ركبه في كبد قوسه واومى به الى الاعرابي وهو يقول

لقوسك قوس الجود والوتر الندى ... وسهمك سهم العز فادم به فقري

فضحك الفضل وانشاء يقول

اذا ملكت كفي منالا ولم انل ... فلا انبسطت كفي ولا نهضت رجلي
على الله اخلاف الذي قد بذلته ... فلا مبقى بخلي ولا متلفي بذلي
اروني بخيلا نال مجدا ببخله ... وهاتوا كريما مات من كثرة البذل

قال الفضل لخازنه اعط الاعرابي مائة الف درهم لقصده وشعره ومائة الف درهم ليكفينا شره ثم ناقه فاخذ الاعرابي وانصرف وهو يبكي فقال له الفضل مم بكاؤك يا اعرابي استقلالا بالمال الذي اعطيناك فقال لا والله ولكن ابكي على مثلك ياكله التراب وتواريه الارض وذكرت قول الشاعر

لعمرك ما الرزية فقد مال ... ولا فرس يموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر ... يموت لموته خلق كثير

وتوجه الاعرابي الى بلده مسرورا بالمال وغنيا بعد ما كان فقيرا فتعجب الرشيد وندم وتاسف عليهم

حكاية مضحكة اتى الرشيد قال لابي نواس بعني نفسك قال بكم قال بالف دينار قال بعتك قال الرشيد لخازنه ادفع اليه

الف دينار فدفعها اليه واخذها وربط وقال امير المؤمنين
خذ ما اشتريت فقال لا ولكن جعلتها وديعة عندك فمضى
ابو نواس واشتغل بامره ولهوه وهو ناسي على حقنه من امير
المؤمنين فبينما هو متفكر في شيء يفعله اذ جاءه قاصد الخليفه
فلم يقدر يتكلم دون ان قام معه ودخل في دار الخلافة فوجد
في جمع كثير من خواص المملكة واعوان الدولة كان من شانه
ان يجلس بالقرب من امير المؤمنين فحادسوا وتناجلوا فضرط
ابو نواس ضرطة مزعجة ازعجت الحاضرين وقال له في ذقنك
يا معرص فقال ابو نواس في الحال الله يعلم هي ذقن من فقال
امير المؤمنين قد وهبتها لك يا ملعون خذها وانصرف

وكسب الالف الدينار بهذه الحيلة **حكاية ظريفة**

كان نصر ابن مقبل عاملا على الرقة فاتى برجل من الظرفاء
وجد ينكح شاة فقال ايها الامير انها والله ملك يميني
وقال الله تعالى وما ملكت ايمانكم فاطلقه وامر ان تضرب الشاة
الحد فان ماتت تصلب قالوا ايها الامير انها بهيمة قال وان
كانت بهيمة فان الحدود لا تعطل وان عطلتها فبئس الوالي انا
فانتهى الى الرشيد خبره ولم يكن راه فدعا به فلما حضر بين يديه

قال

قال له من انت قال مولى الكلب فضحك منه ثم قال له كيف بصرك
في الحكم فقال يا امير المؤمنين البهايم عندي والناس سوا ولو وجب
حد على بهيمة وكانت امي واختي لحددتها ولم تاخذني في الله لومة
لائم فامر الرشيد ان لا يستعان به على عمل فلم يزل معطلا الى ان مات

ومن الاجوبة المستحسنة في الكلام الحاضر

ما يحكى ان هرون الرشيد امر بقتل ابي نواس فقال اتقتلني شهوة
لقتلي فقال لا بل مستحق للقتل قال له فيم استحقيت القتل قال بقولك

الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر … ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر

فقال له افعلم يا امير المؤمنين انه سقاني وشربت فقال
له امير المؤمنين اظن ذلك فقال ابو نواس افتقتلني على الظن وقد
قال الله تعالى ان بعض الظن اثم فقال له الرشيد قد قلت
ايضا ما تستحق به القتل فقال ما هو قال قولك

ما جاءنا احد يخبر انه … في جنة من مات او في النار

فقال يا امير المؤمنين هل جاءنا احد قال لا قال اتقتلني على
الصدق فقال له الرشيد اولست القائل

يا احمد المرتجى من كل نائبة … قم سيدي نعص جبار السموات

فقال له يا امير المؤمنين او صار القول فعلا قال لا اعلم

قال افتقتلني على ما لا تعلم فقال له امير المؤمنين دع هذا كله فقد
اعترفت في مواضع كثيرة من شعرك بالزناء فقال ابو نواس قد
علم الله هذا قبل علم امير المؤمنين بقوله تعالى والشعراء يتبعهم
الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون
ما لا يفعلون فقال الرشيد خلوا عنه ومن هذا اخذ الصفي الحلي قال
نحن الذي جاء الكتاب مخبرا بعفاف انفسنا وفسق الالسن
وعن محمد ابن نافع قال رايت ابا نواس في المنام بعد موته فقلت يا ابا نواس
فقال لات حين كنيه فقلت الحسن ابن هاني قال نعم فقلت ما فعل
الله بك قال غفر لي بابيات قلتها في علتي قبل موتي تحت الوسادة فاتيت
اهله فقلت هل قال اخي شعرا قالوا لا نعلم الا انه دعا بدواة
وقرطاس وكتب شيئا لا ندري ما هو فدخلت ورفعت وسادته
واذا انا برقعه مكتوب فيها

يا رب ان عظمت ذنوبي كثرة	فلقد علمت بان عفوك اعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن	فمن الذي يدعوا ويرجو المجرم
ما لي اليك وسيلة الا الرجا	وجميل عفوك ثم اني مسلم

حكاية العجمي والكردي وما جرى بينهما عند القاضي

حكى ان الخليفه هرون الرشيد قلق ذات ليلة فاستدعى بوزيره

ودبيره

ودبيره جعفر البرمكي فلما حضر عنده قال يا جعفر اني قلقت و
ضاق صدري واريد منك شيئا يشرح خاطري فقال له جعفر
يا امير المؤمنين ان لي صديقا اسمه علي العجمي وعنده من
جميع الحكايات والاخبار فقال علي به فقال سمعا وطاعة ثم ان
جعفر خرج من عند الخليفه في طلب العجمي فارسل خلفه فلما
حضر قال اجب امير المؤمنين قال سمعا وطاعة فاتى الخليفه وترجم
فقال له الخليفة اسمع يا علي انني الليلة ضيق الصدر وقد سمعت
عنك انك علي ذهنك حكايات واخبار واريد منك ان تسمعني
ما يذهب همي وفكري فقال يا امير المؤمنين تريد ان احكي شيئا
سمعته او رايته قال ان كنت رايت شيئا فاحكه فقال سمعا
وطاعة اعلم يا امير المؤمنين اني سافرت في بعض السنين من بلدي
الى هذه وهي بغداد وصحبتي غلام ظريف ومعه جراب نظيف
فبينما انا ابيع واشتري واذا انا برجل كردي ظالم متعدي فهجم
علي واخذ الجراب مني وقال هذا الجراب جرابي وكلما فيه قماشي
وثيابي فقلت يا معشر الناس قد اعترا بي الوسواس فقال الناس
جميعا روحوا الى القاضي فرضينا وانا بحكمه راضي فدخلنا عليه
ومثلنا بين يديه فقال القاضي من اي شيء جئتما فقال الكردي

نحن خصمان قال ايكما المدعى فتقدم الكردى وقال ايّد الله مولانا
القاضى هذا الجراب جرابى وكلما فيه قماسى وثيابى وقد ضاع
منى ووجدته مع هذا الرجل فقال القاضى متى ضاع منك فقال
الكردى ضاع منى امس تاريخه فقال القاضى ان كنت عرفته فصف
لى ما فيه فقال الكردى فى جرابى هذا مقودين من لجين وفيه اكحال
العين ومنديل لليدين ومشربتين مذهبين وطبقين وابريقين
فضيتين وطشتين وقدح ودستين ومعرفه وملعقتين ومسله و
مرودين وسلة وعلبتين وقعب وقصعتين ومخدة ونطعين وجبة
وفروتين وطبقين وابريقين وبقرة وعجلتين وعنز وشاتين
ونعجه وخروفين وبقرة وعجلتين وثورين ولبوة وسبعين و
دبيه وثعلبين ومرتبه وسريرين وطبقه وقاعدتين ورواق
ومقعدين ومطبخ ببابين وجماعة اكراد يشهدون ان الجراب
جرابى فقال القاضى فما تقول انت يا على فتقدمت يا امير المؤمنين
وقد ابهتنى كلامه فقلت اعز الله مولانا القاضى انا ما فى جرابى
الا دويرة خراب واخرى بلا باب ومقصورة للكلاب وفيه
للصبيان كتاب وشبان يلعبون بالكعاب وفيه عساكر واطناب
ومدينه بصرى وبغداد وقصر كنعان ابن شداد وكور وحداد وشبكة

وصياد وعصى واوتاد وبنات واولاد والف قواد يشهدون ان
الجراب جرابى فلما سمع الكردى هذا الكلام بكى وانتحب وقال
يا سيدى القاضى هذا جرابى معروف وكلما فيه موصوف
فى جرابى هذا حصون وقلاع وقرى وضياع وطابق للصراع
ووحوش وضباع ورجال يلعبون الطاقه والدفا وفى جرابى هذا
حجره ومهرين وفحل وحصانين ورمحين طويلين وسبعين و
اربتين وسكين وخنجرين وبحر وخليجين وعشارى ومركبين وصادى
وقريتين وكوره وخوكانين ومنغله وبردين وعجوز وقحبتين وقواد
وساطرين ومخنث وعلقين واعمى وبصيرين وعيار وازعرين وجامع
ومدرستين وديروكنيستين وقسيس وشماسين وبترك وراهبين
وقاضى وشاهدين يشهدون ان الجراب جرابى فقال القاضى
ما تقول يا على فبادرت يا امير المؤمنين وقد امتلأت غيظا وزدت
فى الحمق وقلت ايد الله مولانا القاضى انا فى جرابى هذا زرده خانات
صفاح وخزاين سلاح والف كبش نطاح فى عشرين مراح واربعين
كلبا نباح وبساتين وكرم وتين وعنب وتفاح وصور واشباح
وقنانى واقداح وهوانس ملاح ومغانى وافراح وهرج وصياح
ومعهم اسياف ورماح وقسى ونشاب واصدقاء واحباب

وخلاّن واصحاب ومجلس للعتاب وندمان للشراب وطنبور مع
رباب وقناني مصفوفات وصبيان ودايات واختين معلمات و
نبات بجليات وجوار مغنيات وجاريتين حبشيات وثلاث هنديات
واربع بدويات وخمس دوميات وست تركيات وسبع عجميات وثمان
فتحيات وتسع كرجيات وعشر كليات والدجله والفرات وشبكه
وصياد وقداحة وزناد وارم ذات العماد وقصر شداد ابن عاد
وخانات مع حمامات وقدوم ونجار وخشبه مع مسمار وفاى
مع عطار وبزار مع بيطار وعبد اسود بمزمار ومقدم وراكب
دار ومدن وامصار ومائه الف دينار وراس نوبه وعلم دار
والكوفه مع الانبار وعشرين صندوق ملانه قماش ودكاكين نحاس
وحاصلين معاش وبرجين للحمام وغزة وعسقلان ومن دمياط
الى السودان وايوان كسرى وملك سليمان ومن كوس نعمان
الى ارض خراسان وبلخ واصبهان ومن الهند الى بلاد السودان
وفيه اطال الله عمر مولانا القاضي قماش وعايل ومقاطع وعرض
وموسى بجدماضي تحلق ذقن مولانا القاضي ان حكم ان الجراب
ماهو جرابي فعند ذلك يا امير المؤمنين حار القاضي بما سمع ثم
قال ما اراكما الا شخصين نحسين تلعبون بالقضاه والحكام لان

ماوصف الواصفون ولا سمع السامعون بما وصفتم في هذا
الجراب والله ان من الصين الى شجرة ام غيلان ومن بلاد فارس
الى ارض قابس ومن كوس نعمان الى ارض خراسان ما يسع ما وصفتم
في هذا الجراب ماهذا الا بحر ليس له قرار ثم امر القاضي بفتح الجراب
ففتحه الكردي فاذا فيه خبز وليمون وجبن وزيتون ثم رميت الجراب
قدام الكردي ومضيت فلما سمع امير المؤمنين ضحك حتى
استلقى على قفاه وقد زال همه فاحسن جايزة العجمي والله اعلم

ومن اخبارهم وكلامهم عن زايدة الشيباني وهو الكريم ما المشهور

يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وكان عاملا بالبصرة فحضر
على بابه شاعر واقام مدة يريد الدخول فلم يتهيا له فقال يوما
لبعض الخدم اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه بذلك
فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبه والقاه في الماء الذي
يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما راى الخشبه
اخذها وقراها فاذا فيها البيت

ايا جود معن ناج معنا بحاجتي … فليس الى معن سواك رسول

فقال من الرجل صاحب هذه فاتى به اليه فقال كيف قلت فانشده
البيت فامر بعشر بدر فاخذها وانصرف فوضع الخشبه تحت بساطه

فلما كان اليوم الثانى اخرجها من تحت البساط ينظر فيها ودعا
الرجل فامر له بثمانية الف درهم فلما كان الثالث فعل مثل ذلك
فتفكر الرجل وخاف ان ياخذ منه ما اعطاه فخرج من البلد
بما كان معه فلما كان فى اليوم الرابع طلب الرجل فلم يوجد فقال
معن والله لقد هممت ان اعطيه حتى لا يبقى فى بيت المال درهم
ولا دينار الا اعطيته له وفيه يقول الشاعر

يقولون معن لا زكوة لما له ... وكيف يزكى المال من هو باذله
اذا جاء حول لم يجد فى ديارة ... من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا ... كانك تعطيه الذى انت نائله
هو البحر من اى النواحى اتيته ... فلجته المعروف والبر ساحله
تعود بسط الكف حتى لو انه ... اراد انقباضا لم تطعه انامله
فلو ان ما فى كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله

ومن قول معن دعنى اهب الاموال حتى اعف الاكرمين عن اللئام
ويروى ان معن ابن زائده خرج فى جماعة يتصيدون فاعترضهم
قطيع ظبى فتفرقوا فى طلبه وانفرد معن خلف صيق فلما ظفر به
نزل فذبحه فراى شخصا من البرية على حمار فركب فرسه و
استقبله فسلم عليه وقال له من اين اتيت قال من ارض قضاعة

وان

وان لها عدة سنين بمحل به وقد اخصبت فى هذه السنه فزرعتها
مقثاة فطرحت من غير وقتها فجمعت منها ما استحسنه وقصدت الامير
معن ابن زائده لكرمه المشهور ومعروفه الماثور واحسانه المذكور
فقال له كم املت منه قال الف دينار فقال له ان قال كثير قال
خمسمائه دينار قال ان قال كثير قال ثلثمائة دينار قال ان قال
كثير قال مائتى دينار قال ان قال لك كثير قال مائة دينار قال ان
قال كثير قال خمسين دينار قال فلا اقل من ثلاثين قال فان قال لك
كثير قال ادخل قوائم حمارى فى حرامه وارجع الى اهلى خائبا فضحك
معن منه وساق جواده حتى لحق عسكره ونزل فى منزله وقال لحاجبه
اذا اتاك شخصا على حمار بقثاء فادخل به على فاتى بعد ساعة
فلما دخل على الامير معن لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة خدمه
وحشمه وهو متصدر فى دست مملكته والحفدة قيام عن يمينه و
شماله وبين يديه فلما سلم عليه قال له الامير ما الذى اتى بك يا اخا العرب
وقال كم املت الامير قلت الف دينار قال كثير قلت خمسمائة دينار
قال هو كثير وانت تنقص الى ثلاثين فضحك معن وسكت فعلم الاعرابى
انه صاحبه فقال يا سيدى ان لم تجب الى الثلاثين فالحمار مربوط
بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى على قفاه ثم

استدعى بوكيله وقال له اعطه الف دينار وخمسمائة دينار وثلثمائة دينار ومائتي دينار ومائة دينار وخمسون وثلاثون دينار ودع الحمار مربوط مكانه فبهت الاعرابي وتسلم الفي ومائة وثمانون دينارا انتهى

وايضا من كرمه وجوده

ما حكي ان معن ابن زايدة في بعض صيوده فعطش فلم يجد مع غلمانه ما فبينما هو كذلك واذا بثلاث جوار قد اقبلن حاملات ثلاث قرب فاسقينه فطلب شيئا من غلمانه فلم يجد فدفع لكل واحدة عشر اسهم من كنانته نصولها من ذهب فقالت احديهن ويلكن لم تكن هذه الشمائل الا لمعن ابن زائدة فلتقل كل واحدة منكن شيئا من الابيات

فقالت الاولى

يركب في السهام نصول تبر	ويرمي للعدى كرما وجودا
فللمرضى علاج من جراح	واكفان لمن سكن اللحودا

فقالت الثانية

ومحارب من فرط جود بنانه	عمت مكارمه الاكارم والعدا
صيغت نصول سهامه من عسجد	كيلا يعوقه التقارب والندى

فقالت الثالثة

ومن جوده يرمي العدا باسهم	من الابريز صاغت نصولها
لينفقها المجروح عند انقطاعه	وليشتري الاكفان منها قتيلها

وكان

وكان مع كرمه حسنا شهما فمن ذلك انه سعى رجل في افساد دولة المهدي فهدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف دينار درهم فاقام الرجل حينا مختفيا ثم ظهر في مدينة السلام فبينما هو في بعض الشوارع اذ راه رجل من اهل الكوفة فعرفه فاخذ بمجامع طوقه ونادى هذا من طلبه امير المؤمنين فبينما الرجل على تلك الحالة وقد اجتمع خلق كثير حوله اذ سمع وقع حوافر الخيل من ورائه فالتفت فاذا هو معن ابن زايدة فقال يا ابا الوليد اجرني اجارك الله فوقف وقال للرجل الذي تعلق به ما تريد منه قال هذا طلبه امير المؤمنين الذي هدر دمه وجعل لمن دل عليه مائة الف درهم فقال معن دعه ثم قال يا غلام اردفه وكر راجعا الى داره فصاح الرجل اتحال بيني وبين من طلبه امير المومنين ولم يزل صارخا الى ان اتى قصر المهدي فامر المهدي باحضار معن فاتته الرسل فدعا معن اولاده ومماليكه وقال لا تسلموا الرجل و واحد منكم يعيش ثم سار الى المهدي فدخل وسلم فلم يرد عليه ثم قال يا معن اتجير علينا عدونا قال نعم يا امير المؤمنين قال ونعم ايضا واشتد غضبه فقال معن يا امير المومنين بالامس بعثتني

الى اليمن مقدم الجيش فقتلت فى طاعتك فى يوم واحد عشرة
الاف رجل ولى مثل هذا ايام كثيرة فما رايتمونى اهلا ان اجير
رجلا واحدا استجار بى ودخل منزلى فسكن غضب المهدى
وقال قد اجرنا من اجرت يا ابا الوليد فقال فادى امير المؤمنين
ان يصله بصلة يعلم منها موضع الرضى فان قلب الرجل قد
انخلع من صدره خوفا فقال قد امرنا له بخمسين الف درهم فقال يا امير
المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية فقال قد امرنا
له بمائة الف درهم فقال عجلها يا امير المؤمنين فان خير البر
ما عاجله فعجلها فاحضر معن الرجل وقال خذ صلة امير المؤمنين
وقبل يده وقال واياك ومخالفة خلفاء الله فى ارضه فما كل
مرة تسلم الجرة فارسلها الناس مثلا فاخذ الرجل المال له
استغفر الله ومن حلمه وحيائه كان لا يغيظ احدا ولا احد يغيظه فقال
بعض الشعراء انا اغيظه لكم ولو كان قلبه من حجر فراهنوه على مائة
بعير ان اغاظه فعمد الرجل الى جمل فذبحه وسلخه ولبس الجلد
مثل الثوب وجعل اللحم من خارج والشعر من داخل والذباب
يقع عليه ويقوم ولبس نعلين من جلد الجمل وجعل اللحم من خارج
والشعر من ناحية رجليه وجلس بين يدى معن على هذه الصورة

المشروحة ومد رجليه فى وجهه وقال

انا والله لا ابدى سلاما … على معن المسمى بالامير

فقال معن السلام لله ان سلمت رددنا عليك وان لم تسلم لا
عتبا عليك فقال

اتذكر اذ لباسك جلد شاة … ولك نعلين من جلد البعير

ذكر خلافة عبد الله المامون ونوادر ايامه وقصص خصائله

وهو السابع من خلفاء العباسيين وكان مع شهامته وعلو
طبيعته متبحرا فى العلوم العقلية والنقلية والشرعية و
الحكمية وكثيرا ما كان جالسا مع العلماء والحكماء والادباء
وراغبا فى صحبتهم ومناظرتهم ومما وضع فى بطون الدفاتر و
استحسنته عيون البصائر ونقلته الاصاغر عن الاكابر وتداولته
السنة الاوائل والاواخر من مروته ووفائه وكثرة مكارمه ما روى
خادم المامون قال طلبنى امير المؤمنين ليلة وقد مضى من الليل
ثلثه فقال لى خذ معك فلان وفلان وسماهما على ابن محمد
والاخر دينار الخادم واذهب مسرعا لما اقول لك فانه بلغنى
ان شيخا يحضر ليلا اثار البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا
كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض انت وعلى ودينار

حتى تروا هذه الخرابات فاستتروا خلف بعض الجدر فاذا بالشيخ قد جاء وبكى وندب وانشد ابياتا فاتونى به فقال فاخذتهما ومضينا حتى اتينا الخرابات فاذا نحن بغلام قد اتى ومعه بساط وكرسى حديد واذا شيخ وشيم له جمال وعليه بها به ولطف قد اقبل وجلس على الكرسى وجعل يبكى وينتحب وهو يقول هذه الابيات

ولما رايت السيف جندل جعفرا	ونادى منادى الخليفه فى يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تاسفى	عليهم وقلت الان لا تنفع الدنيا

مع ابيات اطالها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا اجب امير المؤمنين ففزع فزعا شديدا وقال دعونى حتى اوصى وصية فانى لا اثق بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض الدكاكين واستفتح واخذ ورقة وكتب فيها وصيته وسلمها الغلام ثم سرنا به فلما مثل بين يدى امير المؤمنين راه فقال له من انت وبم استوجبت منك البرامكة ما تفعله فى خرايب دورهم قال الخادم ونحن نسمع فقال يا امير المؤمنين ان للبرامكة ايادى حضره افتاذن لى ان احدثك حالى معهم قال قل قلت انا المنذر بن المغيرة من اولاد الملوك وقد زالت نعمتى عنى كما تزول عن الرجال فلما ركبنى

الذين

الذين واحتجت الى بيع ما على راسى ورؤس اهلى وبيتى الذى ولدت فيه اشاروا على بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعى نيف وثلاثون امراة وصبيا وصبيه وليس معنا ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلت بغداد ونزلنا فى بعض المساجد فدعوت الى ثوبيات كنت اعددتها لاتنبث بها فلبستها وخرجت فتركتهم جياعا لا شىء عندهم ودخلت شوارع بغداد سائلا عن دور البرامكة فاذا بمسجد مزخرف وفى جانبه شيخ باحسن زى وعلى الباب خادمان وفى الجامع جماعة جلسوا فطمعت فى القوم وولجت المسجد ودخلت بين ايديهم وانا اقدم رجلا واؤخر اخرى والعرق يسيل منى لانها لم تكن صناعتى فاذا الخادم قد اقبل ودعا القوم فقاموا وانا معهم فدخلوا دار يحيى ابن خالد ودخلت انا معهم واذا بيحيى جالس على دكة وسط بستان فسلمنا وهو يعدنا مائة وواحد وبين يديه عشرة من ولده واذا امرد قد اخضر خداه قد اقبل من بعض المقاصير وبين يديه مائة خادم ممنطقون فى وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها الف مثقال مع كل خادم مجمرة من ذهب فى كل مجمرة قطعة عود كهيئة الفهر

قد قرن به مثله من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي
الغلام وجلس الغلام الى جنب يحيى ثم قال للقاضي تكلم وزوج ابنتي
عايشه من ابن اخي هذا فخطب القاضي وزوجه وشهد اولئك
الجماعة واقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر فالتقطنا
والله يا امير المؤمنين ملأ كمي وانظرت واذا نحن بالمكان ما
خلا يحيى والمشايخ وولده والغلام مائة واثنى عشر رجلا ومائة
واثنى عشر خادما مع كل خادم صينية من فضة على كل صينية الف دينار
فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرايت القاضي والمشايخ
يضعون الدنانير في اكمامهم ويجعلون الصواني تحت اباطهم
ويقوم الاول فالاول حتى بقيت وحدي بين يدي يحيى لا
اجسر على اخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت واخذتها
وجعلت الذهب في كمي والصينية في يدي وقمت وجعلت
التفت الى ورائي مخافة ان امنع من الذهاب فبينما انا كذلك
الى ان صرت في صحن الدار ويحيى يلحظني فقال للحاجب ائتني
بذلك الرجل فاتيته فقال ما لي اراك تلتفت يمينا وشمالا
فقصصت على يحيى قصتي فقال للخادم ائتني بولدي موسى فاتاه
به فقال يا بني هذا رجل غريب صنفك فخذه اليك واحفظه

بنفسك

بنفسك
وطعمتك فقبض ولده موسى على يدي وادخلني الى دار من
دوره فاكرمني غاية الاكرام واقمت عنده يومي وليلتي في
الذ عيش واتم سرور فلما اصبح دعا باخيه العباس وقال
له الوزير امرني بالعطف على هذا الفتى وقد علمت اشتغالي
في بيت امير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل ذلك
ذلك واكرمني غاية الاكرام ثم لما كان من الغد تسلمني
اخوه احمد ثم لم ازل في ايدي القوم يتداولوني عشرة ايام
لا اعرف خبر عيالي وصبياني في الاموات هم ام في الاحياء
فلما كان اليوم الحادي عشر جاءني الخادم ومعه جماعة من
الخدم فقالوا قم فاخرج الى عيالك بسلام فقلت واويلاه
سلبت الدنانير والصينية فاخرج على هذه الحالة انا لله وانا
اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع
فلما رفع الخادم الستر الاخير قال مهما كان من الحوائج
فارفعها الي فانني مامور بقضاء جميع ما تامرني به فلما رفع
الستر الاخير رايت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني
رايحة الند والعود ونفحات المسك فاذا بصبياني وعيالي
يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي مائة الف درهم و

عشرة الاف دينار و منشور بضيعتين وتلك الضيعة التى
كنا خذتها بما فيها من الدنانير والبنادق اى المسك والعنبر
واقمت يا امير المؤمنين مع البرامكة فى دورهم ثلاث عشر
سنة لايعلم الناس امن البرامكة انا ام رجل غريب فلما جاتهم
البليه ونزلت بهم يا امير المؤمنين من الرشيد ما نزل الجئنى
عمرو بن مسعدة والزمنى فى هاتين الضيعتين من الخراج ما
لايفى دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت فى اخر الليل اقصد
خرائب دورهم فاندبهم واذكر حسن صنيعهم الى وابكى على
احسانهم على بعمرو ابن مسعدة فلما اتى به قال له اتعرف هذا
الرجل قال يا امير المؤمنين هو بعض صنايع البرامكة قال كم
الزمته فى ضيعته قال كذا وكذا قال له رد له كلما استاديته
منه فى مدته ووقع له بها ليكونا له ولعقبه من بعده قال
فعلى نحيب الرجل فلما راى امير المؤمنين كثرة بكائه قال له يا هذا
قد احسنا اليك فما يبكيك قال يا امير المؤمنين وهذا ايضا من
صنيع البرامكة لو لم ات خراباتهم وما ابكيهم واندبهم حتى اتصل
خبرى با مير المؤمنين ففعل لى ما فعل من اين كنت اصل الى
امير المؤمنين قال ابرهيم ابن ميمون فرايت المامون وقد دمعت

غناه

عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمرى هذا من صنايع البرامكة
فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فاوف ولاحسانهم فاذكر انتهى
قال اسحق الموصلى دخلت يوما على المامون فى زمن الورد
فقال لى يا اسحق هل قلت شيئا فى الورد قلت اقول بسعادة
امير المؤمنين وفكرت فلم تسنح قريحتى فى ذلك الوقت بشئ فخرجت
من عنده وبقيت ليلتى متفكرا فلم ينفتح لى بشئ فلما اصبحت اريد دار
الخلافة واذا غلام الفضل ابن مروان على باب المامون ومعه
سبع وردات على صينية فضة ينتظر الاذن بالدخول عليه
فسالته المهلة بها قليلا فامتنع فسالته ثانيا وقلت امهل
قليلا ولك بكل وردة دينارا فاجابنى الى ذلك فدفعت له
سبع دنانير واحببت ان لايصل اليه الورد قبل وصول الشعر
وخرجت على وجهى اقصد الازقة لعلى اسمع شيئا من احد او
ينبعث خاطرى ولو ببيت واحد فبينما انا كذلك اذا انا برجل يعزل
التراب وهو ينشد هذه الابيات

اشرب على ورد الخدود فانه	ازهى وابهى فى الصبوح يطيب
فالورد احسن من تورد وجنة	حمراء جاد بها عليك حبيب
صبغ المدام بياضها فكانه	ذهب يقالب فضة مصبوب

فلما سمعت نزلت عن دابتى ودخلت مسجدا بالقرب منه
وطلبته فلما اقبل سالته ان يمليها على فابى وقال ان
اردت فاعطنى بكل بيت عشره دنانير فدفعتها واستمليتها
منه ثم عدت ودخلت انا وغلام الفضل ابن مروان واذا
بالمامون يشرب من وراء الستارة فلما جيت العود قال
لجوابه اسكن فقد جاء اسحق فقدم ذلك العود بين يديه
فانشدت الابيات فسمعت الشهيق والنعير من وراء الستارة
ثم اخرج الى بدرة فيها عشرة الاف درهم فاعدت الابيات
فاخرج الى بدرة اخرى فاعدت ثالثه فاخرج الى بدرة
ثالثة فاخذت فى غير الشعر فخرج الى خادم وقال يقول لك
امير المؤمنين لو دمت على انشادك لدمنا على البدرة لو
الى الليل انتهى من حلبة الكميت

ومن ما حلمه فى كظم غيظه

ما روى عن العباس صاحب شرطة المامون قال دخلت
الى مجلس امير المؤمنين المامون ببغداد يوما وبين يديه رجل مكبل
بالحديد فقال لى يا عباس قلت لبيك يا امير المؤمنين قال
خذ هذا اليك واستوثق به واحفظ به وبكر به الى فقد

واحرز

واحرز عليه كل الاحراز قال العباس فدعوت جماعة حملوه
ولو لم يقدر ان يتحرك فقلت فى نفسى مع هذه الوصية التى اوصانى
بها امير المؤمنين فى الاحتفاظ به ما يجب الا ان يكون معى فى
بيتى فلما تركوه فى دارى اخذت احدثه عن قصته وحاله
ومن هو فقال انا من دمشق فقلت جزا الله دمشق واهلها خيرا
فمن انت من اهلها قال وعمن تسئل قلت او تعرف فلانا قال لى
ومن اين تعرف ذلك الرجل فقلت وقعت لى معه قصته فقال
ماكنت بالذى اعرفك خبره حتى تعرفنى قصتك معه قلت ويحك
كنت مع بعض الولاه بدمشق فنمت اهلها وقد خرجوا علينا حتى
ان الوالى خرج فى زنبيل من قصر حجاج وهرب هو واصحابه
وهربت فى جملة القوم فبينما انا هارب فى بعض الدروب واذا
بجماعة يعدون خلفى فما زلت اعدوا امامهم حتى تجاوزتهم
ومررت بهذا الرجل الذى ذكرت لك وهو جالس على باب
داره فقلت اغثنى اغاثك الله قال لا باس عليك ادخل الدار فدخلت
فقالت لى زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف
الرجل على باب الدار فما شعرت به الا وقد دخل والرجال
خلفه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها

حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامرأته فيها فقالوا اهاهو
ذا فصاحت بهم المرأة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل و
جلس على باب داره ساعة وانا قائم ارجف ما تحملني رجلاى
من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس ولا بأس عليك فجلست
فلم نلبث حتى دخل الرجل فقال لا تخف فقد صرف الله عنك
شرهم وصرت الى الامن والذمه انشاء الله تعالى فقلت
له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرني احسن معاشرة واجملها
وافرد لى مكانا من داره ولم يحوجني الى شئ ولم يغتر عن
تفقد احوالي فاقمت عنده اربعة اشهر في انعم عيش وارغد
الى ان سكنت الفتنه وهدئت وزال اثرها فقلت له اتأذن
لى فى الخروج حتى اتفقد حال غلماني فلعلى اقف منهم على
خبر فاخذ على المواثيق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلماني
فلم ار لهم اثرا فرجعت اليه واعلمته وهو واعلمته وهو مع هذا
كله لا يعرفني ولا يعرف من انا فقال لى علام تعزم فقلت
قد عزمت على التوجه الى بغداد فان القافلة بعد ثلاثة ايام
تخرج وقد تفضلت على هذه المدة ولك على عهد الله لانسى
لك هذا الفضل ولاوفينك مهما استطعت قال فدعى بغلام

له اسود فقال له انعل الفرس الفلانى ثم جهز آلة السفر فقلت
فى نفسى ما اشك انه اريد ان يخرج الى ضيعه له اخرى او جهة
من النواحى فاقاموا يومهم ذلك فى كد وتعب فلما كان
يوم خروج القافله جاء فى السحر فقال يا فلان قم فان القافله
تخرج الساعة واكره ان تنفرد عنها فقلت فى نفسى كيف اصنع
وليس معى ما اتزود به ولا ما اكرى به مركبا فاذا هو وامرأته يحملان
بقشة من افخر اللباس وخفين جديدين ونعلين وآلة السفر
ثم جاءنى بسيف ومنطقه فشدهما فى وسطى ثم قدم الى فحمل
عليه صندوقين وفوقهما فرش ودفع الى نسخه ما فى الصندوقين
وفيهما خمسة الاف درهم وشد الى الفرس الذى نعله بسرجه
ولجامه واقبل هو وامرأته وقال اركب وهذا الغلام الاسود
يخدمك ويسوس مركوبك واقبل هو وامرأته يعتذران الى
من التقصير فى امرى وركب معى يشيعنى وانصرفت الى بغداد وانا
اتوقع لافى بعهدى له فى مجازاته ومكافاته واشتغلت مع
امير المؤمنين فلم اقدر اتفرغ اليه ان ارسل اليه من يكشف
خبره فلهذا انا اسئل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال قد
امكنك الله من الوفاء له ومكافاته على فعله ومجازاته على صنيعه

بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال
انا الرجل واتما الضر الذى انا فيه غير عليك حالى وماكنت
تعرفنى ثم لم يزل يذكر لى تفاصيل الاسباب حتى اثبت معرفته
فما تمالكت ان قبلت راسه ثم قلت فما الذى اصارك الى
ما ارى فقال هاجت بدمشق فتنة مثل الفتنة التى كانت
فى ايامك فنسبت الى وبعث امير المؤمنين بجيوش فاصلحوا
البلد فاخذت وانا وضربت الى ان اشرفت على الموت
وقيدت وبعث بى الى امير المؤمنين وامرى عنده عظيم
وهو قاتلى لا محالة وقد اخرجت من عند اهلى بلا وصية
وقد تبعنى من ينصرف اليهم بخبرى وهو نازل عند فلان
فان رايت ان تجعل من مكافاتك ان ترسل من يحضره لى حتى
اوصيه بما اريد فان انت فعلت ذلك فقد جاوزت
حد المكافاة وقمت بوفاء عهدك قال العباس يصنع الله
خيرا ثم احضر حدادا وفك قيوده وازال عنه ما كان عليه من
الانكال وادخله حمام داره والبسه من الثياب ما احتاج
اليه ثم سير من احضر غلامه فلما راه جعل يبكى ويوصيه
فاستدعى العباس نايبه وقال على بالفرس الفلانى

والبغل

والبغل الفلانى والبغلة الفلانية حتى عد عشرة من
الصناديق ومن الكسوة كذا وكذا قال ذلك الرجل واحضر لى
بدرة فيها عشرة الاف درهم وكيسا فيه خمسة الاف
دينار وقال لعامله فى الشرطة خذ هذا الرجل وشيعه
الى حد الانبار فقال له ان ذنبى عظيم عند امير المؤمنين
وخطبى جسيم وان انت احتججت بانى هربت بعث امير المؤمنين
فى طلبى كل من على بابه فاردوا وتقتلنى فقال انج بنفسك
ودعنى ادبر امرى فقال والله لا ابرح من بغداد حتى اعلم
ما يكون من خبرك فان احتجت الى حضورى حضرت فقال
صاحب الشرطه ان كان الامر كما تقول فلتكن فى موضع
كذا فان انا سلمت فى غداة غد اعلمتك وان انا قتلت و
قيتك بنفسى واشهد الله ان لا يذهب من ماله درهم و
تجتهد فى اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذنى صاحب
الشرط وصيرنى فى مكان يثق به وتفرغ العباس لنفسه و
تحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم افرغ من صلوة الصبح الا
ورسل المامون فى طلبى يقولون قال لك امير المؤمنين هات
الرجل معك وقم فتوجهت الى دار امير المؤمنين واذا هو جالس

وعليه ثيابه فقال اين الرجل فسكت فقال ويحك الرجل فقلت
يا امير المؤمنين اسمع مني فقال لله علي عهد لئن ذكرت انه هرب
لاضربن عنقك فقلت لا والله يا امير المؤمنين اسمع مني
انه ما هرب ولكن اسمع حديثي معه وحديثه معي ثم شانك
وما تريد تفعله في امري قال قل فقلت يا امير المؤمنين كان
من حديثي معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته انني
اريد ان افي له واكافيه على ما فعله معي وقلت انا وسيدي
ومولاي امير المؤمنين بين امرين اما ان تصفح عني وقد وفيت وكافيت واما
ان تقتلني فاقيه بنفسي وقد تحنطت وها كفني يا امير المؤمنين
فلما سمع المامون الحديث قال ويحك لا جزاك الله خيرا عن نفسك
انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافيه بعد المعرفة والعهد
بهذا الا اخبرتني لا عرفتني خبره فكنت اكافيه ولا اقصر في
وفائك له فقلت يا امير المؤمنين انه ها هنا وقد حلف انه لا
يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المامون
وهذه منه اعظم من الاولى اذهب الان فطيب نفسه وسكن
روعه واتني به اتولى مكافاته قال فاتيت اليه وقلت له يزول
عنك خوفك ان امير المؤمنين قال كيت وكيت فقال الحمد لله

الذي

الذي لا يحمد على السراء والضراء احد سواه ثم قام فصلى ركعتين
فاتيت به الى امير المؤمنين فلما مثل بين يديه اقبل عليه وادناه
مجلسه وحدثه حتى حضر الغذاء واكل معه وخلع عليه
واعرض عليه اعمال دمشق فاستعفى عنها فامر له المامون
بعشرة افراس بسروجها ولجمها وعشر بغال بالاتها وعشر
بدر وعشرة الاف دينار وعشرة مماليك بدوابهم وكتب
الى عامله بدمشق بالوصية به واطلق خراجه وامره بمكاتبته
باحوال دمشق فصارت كتبه تصل الى المامون وكلما وصلت
خريطة البريد وفيها كتابه يقول يا عباس هذا كتاب صديقك انتهى

حكاية ظريفة

حكي عن اسحق الموصلي انه قال خرجت ليلة من عند المامون
متوجها الى بيتي فاحسست بالبول فعمدت لزقاق وقمت لا مسح
بالحيطان اذا انا بشيء معلق من تلك الدور واذا انا بزنبيل كبير
باربع اذان ملبس ديباجا فقلت ان لهذا سببا وبقيت متحيرا في
امره فحملني السكر وقال لي اجلس فيه فجلست فلما احسوا بي الذين
كانوا يرقبون جذب يوم الى راس الحائط فاذا اربع جوار يقولون
لي انزل بالرحب والسعة ومشيت بين يدي جارية بشمعة حتى نزلت

الى دار ومجالس مفروشه لم ار مثلها الا فى دار الخلافة فجلست
فما شعرت بعد ساعة الا بالستور قد رفعت فى ناحية الجدار واذا
بوصايف يتماشين وفى ايديهن الشمع وبعض مجامر يحرق فيها
العود وبينهن جارية كانها البدر الطالع فنهضت فقالت مرحبا
بك من زائر وجلست ثم سالتنى عن خبرى فقلت انصرفت من عند
بعض اخوانى وغرنى الوقت وحرقنى البول فحدث الى هذا
الزقاق فوجدت زنبيلا معلقا فحملنى النبيذ الى ان جلست
فيه فان كان خطأ فالنبيذ اكبينه قالت لاضرر وارجوا ان
تحمد عاقبة امرك ثم قالت فما صناعتك فقلت خرازى ببغداد
من بغداد قالت فهل رويت من الاشعار شيئا ضعيفا قالت
فذاكرنى شيئا قلت ان للداخل حشمه ولكن بتدئين انت فانشدتنى
شعر الجماعة من القدماء والمحدثين من اجودها واقاويلهم وانا مستمع
لا ادرى مما اعجب من حسنها ام من حسن روايتها ثم قالت اذهب
ما كان بك من الحصر قلت اى والله قالت فان رايت ان تنشدنا
فانشدتها شيئا لجماعة من القدماء ما فيه مقنع واستحسنت ذلك
ذلك ثم قالت والله ما ظننت ان يوجد فى ابناء السوقة هذا ثم
امرت بالطعام فاحضر فجعلت تقطع وتضع قدامى وفى المجلس من

اصناف الرياحين وغريب الفواكه ما لا يكون الا عند سلطان ودعت
بالشراب وشربت قدحا ثم ناولتنى قدحا وشربت ثم قالت
هذا اوان المذاكرة والاخبار فاندفعت اذاكرها وقلت بلغنى ان
كذا وكان رجل يقال له كذا حتى اتيت على عدة اخبار حسان فسرت
بذلك وقالت لكثر تعجبى ان تكون احد من التجار يحفظ مثل هذا وانما
هذه احاديث ملوك فقلت كان لى جار يحادث الملوك وينادمهم
واذا تعطل حضرت معه فربما حدث عما سمعت فقالت لعمرى
لقد احسنت الحفظ وما هذه الا قريحه جيدة واخذنا فى المذاكرة
اذا اسكت ابتدات وان سكت ابتدانا حتى قطعنا اكثر الليل و
بخور العود يعبق وانا فى حالة لو توهمها المامون لطار شوقا اليها
فقالت انك من اظراف الرجال وضيئ الوجه بارع فى الادب وما
بقى الا شئ واحد قلت وما هو قالت لو كنت تترنم ببعض الاشعار
قلت والله لقديما الفته ولم ارزقه واعرضت عنه وفى قلبى
منه حرارة وكنت احب فى مثل هذا المجلس شيئا منه لتكمل ليلتى قالت
كانك عرضت فقلت والله ما هو تعريض قد بدات بالفضل وانت
جديرة على ذلك فامرت بعود فحضر وغنت بصوت ما سمعت بحسنه
مع حسن ادبها وجوه الضرب بالكمال الراجح ثم قالت هل تعرف هذا

الصوت ومن غنى به قلت لا قالت الشعر لفلان والمعنى لاسحق الموصلى
قلت واسحق هذا جعلت فداك بهذه الصفة قال الشيخ تخ اسحق
رباع هذا الشان قلت سبحان الله اعطى هذا الرجل ما لم يعطه
احد قلت فكيف لو سمعت هذا الصوت منه ثم لم نزل على تلك الحالة
حتى اذا كان انشقاق الفجر اقبلت عجوز كانها داية لها فقالت ان الوقت
قد حضر فنهضت عند قولها فقالت لتستر ما كان فيه فان المجالس
بالامانات فقلت جعلت فداك لم اكن احتاج الى وصية فى ذلك
فودعتها وجارية بين يدى الى باب الدار ففتح لى وخرجت الى دارى فصليت
الصبح ونمت فاتانى رسول المامون الى فسرت اليه فاقمت عنده
نهارى فلما كان العشا تفكرت ما كنت فيه البارحة وهذا شىء
لا يصبر عنه الا جاهل فخرجت وجئت الى الزنبيل فجلست ورفعت
الى موضع البارحه واذا هى قد طلعت فقالت لقد عاودت فقلت
ولا اظن الا انى قد ثقلت واخذنا فى المحادثة فى مثل الليلة التى بقة
فى المذاكرة والمناشدة وغريب المعنى منها الى الفجر فانصرفت الى منزلى فصليت
الصبح ونمت فاتانى رسول امير المؤمنين الى فمضيت اليه واقمت نهارى عنده فلما
كان العشية توجه الى الخطا باه وقال اقسمت عليك ان تجلس حتى اجى واحضر فلما كان حتى
غاب وجالت سا وسى فلما تذكرت ما كنت فيه هان على ما تحصل امير المؤمنين فوثبت

مبادرا

مبادرا وخرجت جاريا حتى اتيت الزنبيل فجلست فيه فرفعت الى
صديقتنا قلت اى والله قالت اجعلها دار اقامه قلت جعلت
فداك حق الضيافة ثلاثة ايام فان رجعت بعد ذلك فانتم فى
حل من دمى ثم جلست فى ذلك الحال فلما قرب الوقت علمت بان
المامون لا بد ان يسئلنى فلا يقنع الا بشرح القصه فقلت لها
اراك ممن يعجب بالغناء ولى ابن عم احسن منى وجها واظرف قدرا
واكثر ادبا وهو اعرف خلق الله يعنى اسحق قالت طفيلى وتقترح
قلت لها انت الحكم ثم قالت ان كان ابن عمك على ما تصف فما نكره
معرفته ثم جاء الوقت فنهضت وقمت ورحت فلم اصل الى دارى الا
ورسل المامون قد هجموا على وحملونى حملا عنيفا فوجدته قاعدا على كرسى
وهو مغتاظ منى فقال يا اسحق اخروجا عن الطاعة قلت لا والله قال
فما قصتك اصدقنى قلت نعم فى خلوة فاومى الى ما بين يديه فتنحوا
فحدثته الحديث وقلت له وعدتك فى امرك قال احسنت فاخذنا
فى لذتنا ذلك اليوم والمامون معلق القلب بها فما صدقنا ان جاء
الوقت وسرنا وانا اوصيه واقول له تجنب واحذر ان تناديني
باسمى قدامها وبحضرتها وغنى لنا لك تبعا وهو يقول نعم ثم سرنا
الى عند الزنبيل فوجدنا اثنين فقعدنا فيهما ورفعنا الى الموضع

المعهود فحضرت واقبلت وسلمت فلما راها المامون بهت
في حسنها وجمالها واخذت تذاكره وتناشده الاشعار ثم احضرت
النبيذ فشربنا وهي مقبلة عليه مسرورة به وهو اكثر فاخذت
العود وغنت صوتا ثم قالت وابن عمك هذا من التجار واشارت
الي قلت نعم قال وانكما لغريبان قلت نعم فلما شرب المامون
ثلثه ارطال داخله الفرح والطرب فصاح وقال يا اسحق
قلت لبيك يا امير المؤمنين قال غن هذا الصوت فلما علمت
انه الخليفه نهضت الى مكان فدخلته فلما فرغ من الصوت
قال انظر من رب هذه الدار فبادرت عجوز وقالت للحسن ابن
سهل فقال علي به فغابت العجوز ساعة واذا الحسن قد حضر
فقال له المامون الك ابنه قال نعم قال وما اسمها قال بوران
قال امزوجه قال لا والله قال فاني اخطبها اليك قال هي جاريتك
وامرها اليك قال قد تزوجتها على نقد ثلاثين الفا تحمل اليك
صبيحة هذه الليلة فاذا قبضت المال فاحملها الينا من ليلتنا قال
نعم ثم خرجنا فقال يا اسحق لا تقف على هذا الحديث احدا فسترته
الى ان مات المامون فما اجتمع لي تلك الاربعة الايام مجالسة
المامون بالنهار ومحادثة بوران بالليل ووالله ما رايت احدا

من الرجال مثل المامون ولا شاهدت امراة تقارب بوران فهما
وعقلا وقيل في هذا العرس بذل الحسن ابن سهل على الناس
اموالا جزيلة واشياء منيعه ما راى احد في الجاهليه والاسلام

ومن فضايل انتهى من حلبه الكميت مرقومة

قيل كان المامون يوما ياكل مع ابنه الرشيد فلما فرغ جعلت
جارية تصب الماء على يد الرشيد فنظر اليها المامون واشار اليها
كانه يقبلها فانكرت ذلك منه بعينيها وابطات في الصب بقدر
النظر الى المامون فقال لاي شي صنع الابريق من يدك فوالله
لئن لم تصدقيني لاضربن عنقك قالت يا سيدي نظر الى عبد الله
الرشيد فسقط مغشيا عليه كانه ميت مما داخله من الجزع والخوف
فاخذه وضمه الى صدره وقال له يا عبد الله اتحبها قال لدي
والله يا امير المؤمنين فقال له هي لك خذها بيدها وادخل بها
هذه القبه قال ففعل فلما خرج الى الرشيد قال له هل قلت
في هذا شيئا قال نعم يا امير المؤمنين وانشد

ظبي كتبت بطرفي … من الضمير اليه
قبلته من بعيد … فاعتل من شفتيه
ورد اخبث رد … بالكسر من حاجبيه

فما برحت مكاني … حتى قدرت عليه

مما وقع في مكالمة النساء وفصاحتهن

روي عن ابي عبد الله البهيري انه قال كنت يوما مع المامون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو ساير اذ لاحت له طريدة فاطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل فاشرف على نهر من ماء بحر الفرات فاذا هو بجارية عربية خماسية القد قائمة النهد كانها القمر ليلة البدر وبيدها قربة قد ملانها من النهر وسالتها على كتفها فصعدت من حافة النهر فانحل وكاها فصاحت برفيع صوتها يا ابتاه ادرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال فعجب المامون من فصاحتها ورمت القربة من يدها فقال لها المامون يا جارية من اي العرب انت قالت من بني كلاب قال وما حملك ان تكوني من الكلاب قالت والله لست من الكلاب وانما انا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من اي الناس انت قال او عندك علم بالانساب قالت نعم قال انا من مضر قال من اكرمها نسبا واعظمها حسبا وخيرها اما وابا ممن تهابه مضر وتخشاه قالت اظنك من كنانة قال انا من كنانة قالت من اي

كنانه

كنانة قال من اكرمها مولدا واشرفها محتدا واطولها في المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخشاه قالت اذا انت من قريش قال انا من قريش قال من اجلها ذكرا واعظمها فخرا ممن تهابه قريش كلها وتخشاه قالت والله انت من بني هاشم قال انا من بني هاشم قالت من اي بني هاشم قال من اعلاها منزلة واشرفها قبيلة ممن تهابه بنو هاشم وتخشاه قال فعند ذلك قبلت الارض وقالت السلام عليك يا امير المؤمنين قال فعجب المامون منها ومن فطنتها وطرب طربا شديدا ثم قال والله لا تزوجن بها لانها من اكبر الغنايم ووقف حتى تلاحقه العسكر وارسل خلف ابيها وخطبها وزوجه

ومن محاسن بها وهي والدة العباس اخلاقه

ما حكي عن القاضي يحيى ابن اكثم قال كنت نايما ذات ليلة عند المامون فعطش فامتنع ان يصيح لغلام يسقيه وانا نائم فاستيقظت من نومي فرايته وقد قام يمشي على اطراف اصابعه حتى اتى موضع الماء وكان بينه وبين الماء نحو من ثلثمائة خطوة ثم رجع يمشي على اطراف اصابعه حتى وصل الفراش الذي انا عليه فخطى خطوات وهو خائف لئلا ينبهني حتى اتى على فراشه ثم رايته اخر الليل وهو يبول فقعد طويلا يحاول ان

اتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائما وصاح بالغلام وتاهب
للصلوة ثم جاءني وقال كيف اصبحت يا ابا محمد وكيف مبيتك قلت
خير جعلني الله فداك قال لقد استيقظت للصلوة فكرهت ان اصيح
بالغلام فادعجك فقلت يا امير المؤمنين لقد خصك الله تعالى باخلاق
الانبياء عليهم الصلوة والسلام واوجب لك سيرتهم فهناك الله
تعالى بهذه النعمه واتمها عليك وامر لي بالف دينار وانصرفت
وايضا حدث سليمان الوراق قال ما رايت اعظم حلما من المامون دخلت
وفي عليه وفي يده فص مستطيل من ياقوت احمر له شعاع قد اضاء في
المجلس وهو يقلبه بيده ويستحسنه ثم دعى برجل صائغ وقال اصنع
لهذا الفص كذا وكذا وعرفه كيف يعمل به فاخذه الصائغ
وانصرف ثم عدنا الى المامون بعد ثلاث فذكره فاستدعى با
بالصائغ فاتى به وهو يرعد وقد انتقع لونه فقال المامون ما فعلت بالفص
فتلجلج الرجل ولم ينطق بكلام ففهم المامون عنه فولى عنه
وكاسر عنه حتى سكن جاشه ثم التفت اليه واعاد القول فقال
الامان يا امير المؤمنين قال لك الامان فاخرج الفص اربع قطع
وقال يا امير المؤمنين سقط من يدي على السندان فصار كما ترى
فقال المامون لا باس عليك اصنع بها اربع خواتم والطف له

فی

في الكلام حتى ظننت انه يشتهي الفص على اربع قطع فلما خرج الرجل
من عنده قال لنا كم قيمة هذا الفص قلنا لا ندري قال اشتراه
الرشيد بمائة الف وعشرون وايضا قال يحيى كنت انا والمامون
يوما في بستان ندور فيه فمشينا في البستان من اوله الى اخره
وكنت مما يلي الشمس والمامون مما يلي الظل فكان يجذبني ان اكون
الى الظل وهو في الشمس فامتنعت من ذلك حتى اذا رجعنا قال لي والله
يا يحيى لتكونن في مكاني واكون في مكانك حتى اخذ نصيبي من الشمس
كما اخذت فقلت والله يا امير المؤمنين لوقدرت لوقدرت ان اقيك
من هول المطلع بنفسي لفعلت ولم يزل بي حتى تحولت الى الظل وتحول
هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال بحياتي عليك الا ما وضعت
يدك على عاتقي مثل ما فعلت فانه لا خير في صحبة من لا ينصف وايضا
في حلمه انه كان له خادم يسرق طاساته التي يتوضأ فيها فقال له
المامون يوما اذا سرقت شيئا فاتني بما تسرقه فاشتريه منك فقال
له الخادم اشتر مني هذه واشار الى التي بين يديه قال بكم قال بدينارين
قال على شرط انك لا تسرقها قال نعم واعطاه دينارين فلم يعد الخادم
يسرق شيئا لما راى من حلمه وغضه في امواله واما في مال الغير فلا

وذكر جوده وكرمه

ما روى بعض اهل الادب ان فتى من اهل الكوفة قد فاق اهل زمانه
فى الادب والبيان والفصاحة فى اللسان ناقدا فى صناعته حافظا
للاخبار وراويا للاشعار خبيرا بسير الملوك فى الايام السابقة بصيرا
بالبحث عن امورهم فى الازمنة السالفة حاذقا فى التصنيف فائقا
فى التاليف صبيح الوجه معسول المشافهة خليق الشمائل وكان مع ذلك
لا يتوجه له وجه من العمل الا عارضه فيه عائق وحال دونه
حائل وقد دسابق فبقى على ذلك حينا من الدهر وقد برز فى التقدم
او المال والجاه من كان عنه فى الصناعة متاخرا فضاق صدره
وعيل صبره وصلت مقاليده فخرج الى بغداد واكترى فى بعض
حاناتها منزلا واجمع رايه على ان يحمل نفسه على خطة هائلة
فيكون فيها هلاكه او ملكه وتربص لذلك الى ان يرى وجها
الى ان عزم امير المؤمنين المامون ان يشرب يوما هو وصنوه
المعتصم فامر المامون بالاستعداد ليوم سماه ليخلوا فيه مع الجوارى
منفردان عن ساير الندماء فطار خبرهما بذلك وعرف الناس
ذلك اليوم الذى عزما عليه هذا الاديب المذكور فتطفل
فى ذلك اليوم على المامون واخيه المعتصم فمضى الى اخوانه
واصدقائه فاستعار من هذا قباء ومن هذا حلة وردية ومن اخر

منطقه وخفا وسيفا واخر بردونا ومن اخر ما يحتاج اليه
من الطيب واستعد لذلك ودخل الحمام سحرا وتطيب ولبس
وركب عند طلوع الشمس الى دار المعتصم وقال للحاجب عرف
الامير انى رسول امير المؤمنين واستاذن لى عليه فسعى الحاجب
عدوا حتى اخبر المعتصم فاذن له فلما دخل عليه ومثل بين يديه
قال يا سيدى ان امير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك
انسيت الموعد ام يقدم اليك بالركوب لنخلو ونتروح يومنا
هذا قال المعتصم لا والله ما نسيت ذلك ولكن تربصت ساعة
وتممت نومة لاتقوى بذلك على انتصاب ساير النهار فقال الفتى
فعجل الان ايها الامير فانه امرنى ان لا افارقك حتى اتيه بك
فامر المعتصم باسراج مركوبه واسرع فى التاهب ولبس ثيابه
وتطيب وركب الفتى معه والمعتصم لا ينكر شيا من كلام الفتى
ويتامل لطافته وهيئته ولم يتوهم انه من بعض خواص المامون واخذ
الفتى يحدث المعتصم واقبل عليه بكليته ولم يتمكن من سواله
شهوة لاستماع حديثه حتى بلغ الخليفة فالقى نفسه عن دابته
واخذ يمشى بين يديه والحجاب لا ينكرون منه شيا ويظنون
انه من خدم المعتصم حتى نزل المعتصم فاخذ الفتى بركابه ودخل

معه فلما استقر المعتصم فی مجلسه جلس الفتی بین یدیه وهو منهمك
فی نوادره والمعتصم یصنع الیه تعجبا مما یسمع من حسن کلامه واخبر
المامون ان المعتصم قد وصل ومعه رفیق لا یعرف من هو فقال
المامون اخی قد عرفنا ان هذا المجلس اتفقنا علیه لا یجمل ان ینظره
احد من الناس الا من هو عدیل النفس وقد احسن اخی اذ جعل لنا
ثالثا فان المجلس اذا لم یحضره اکثر من اثنین تعطل لقیام احدهما الی
الصلوة او الی ما لا بد منه ثم خرج من ساعته فرحا ولیس له همة الا
تصفح وجه الغلام واستنطاقه واعتبار قدره وعقله فلما استقر
علی سریر ملکه والفتی عالم بما وقع فی نفس المامون فنهض قائما فقبل
ید المامون وعاد الی مجلسه واخذ فی نوادره وحدیثه ومضحکاته
وحسن اخباره وغرایب اشعاره کانه یغرف من بحره وهو مع ذلك
یوهم المامون انه من خواص المعتصم فساعة یبکیه وساعة یضحکه
حتی غلب علی قلب المامون واظهر الحسد لاخیه فی صحبة مثل هذا
الغلام وکلامه وامر المامون باحضار المائدة فنصبت بانواع
الطعام فاکلوا وغسلوا ولمجلس الشراب انتقلوا وامر المامون
باحضار الجواری من غیر ستارة فحضرن واخذن فی الغناء فما
من صوت یمر الا والفتی عارف به والمعنی ومتی قیل وفیمن قیل

ضرع

ضرع المامون حتی ملا عینیه وتزاید حسده لاخیه فی صحبة مثله
فلما رای الفتی ذلك ولم یجد للمدافعة سبیلا ففتح وهو متیقن انهما سیذکر
انه ویتواضعان امره وحاله اذا خلا المجلس فما هو الا ان غاب من بین
ایدیهما حتی قال المامون لاخیه المعتصم یا ابا اسحق من صاحبك هذا
والله ما رایت رجلا اکثر منه ادبا ولا الطف هیئة ولا اشرف من شمائله
فقال المعتصم والله ما اعلم من هو وانه جاءنی مبکرا برسالة امیر المومنین
فقال المامون سالتك بالله یا اخی اهو کذلك فقال ای والله الذی
لا اله الا هو فقال المامون هذا طفیلی ورب الکعبة وغضب وامر
الجواری بالنهوض فنهض واقبل الفتی راجعا فلما نظر الی خلو المجلس من
الجواری والی تغیر وجه المامون وتجهمه وقف علی راس المجلس واقبل بوجهه
علی المعتصم وقال یا ابا اسحق کانی بك وقد اخذت فی نوع من الزهد
والبهت وهذا المجلس من المجالس التی لا تحمل المزاح وما هکذا اوعدتنی
ثم قال والله یا امیر المومنین ما بلیت باحد من الناس مثل ما بلیت به
من هذا لانه دائما ابدا یعرضنی لمثل هذا واشباهه ویعزی بی و
یوقعنی فی کل ورطة ثم اقبل علی المعتصم وقال یا ابا اسحق سالتك
بالله وبحق امیر المومنین الا ما اعفیتنی من مداعبتك التی لا تحمل وتودی
الی مواخذة امیر المومنین ولم یزل یاتی بهذا وامثاله حتی شك

المامون فی امره والتفت الی اخیه المعتصم وقال سالتك بالله یا اخی
وبحیاتی علیك الا ما اخبرتنی بحقیقه امره فقال المعتصم یا امیر المومنین
برئت من دمة الله ورسوله ومن حیاتك وولایتك ان كنت اعرفه
اورایته قط الا فی یومی هذا فقال الفتی كذب والله یا امیر المومنین
لقد كنت معه دهری الاطول وفی موضع كذا وكذا وان هذا
فعله معی فضحك المامون تعجبا وقال ادخل فدخل وامره بالجلوس
ثم قال لك الامان ان صدقتنی فصدقه الحدیث علی وجهه من حسن
منطقه ولطف مدخله ودقیق تصرفه وامر باعادة الجواری الی
مجلسهم فطربوا سایر یومهم فقال المامون اخبرنی باعجب ما لحقك
فی قدومك من الكوفة الی بغداد واجعله نظما ولا تكتم عنی
شیا فقال نعم ثم انشا یقول

بینا انا راقد فی البیت مكتیب … مفكرا دائما فی اللی واللیت
ولیس فی البیت من شیء الوذ به … وبی من الجوع ما یدنی من المیت
اذا انا بصوت بباب الدار اسمعه … والاذن مصغیه منی الی الصوت
نادیت من ذا الذی ارجو له فرجا … نادی انا فرج زن لی كرا بیت

فضحك المامون حتی استلقی علی فراشه ثم ضرب برجله الارض
من شدة اعجابه قال المامون ثم ماذا یا امیر المومنین قال ثم خرجت

فاذا هو صاحب الخان یطالبنی بالكری فواعدته یرجع الی مرة
اخری فمضی ومضیت علی وجهی لا اعلم این اتوجه فسالت من
لقیته من صدیق لی كنت استانس به فنزل علی بیتیان من الشعر فی ذلك

غریب الدار لیس له صدیق … جمیع سواله این الطریق
تعلق بالسوال لكل شخص … كما یتعلق الرجل الغریق

فاشرفت یا امیر المومنین علی جاریة كانها البدر فی كماله وهی تقول

ترفق یا غریب فكل حر … یمر بحاله سعة وضیق
وكل ملمة اصبحت فیها … صبرت لها اتیح لها الطریق

ثم قالت خذ هذه وادفع بها فاقتك فوالله ما هی الا مواساة من قوت
ورمت الی صدری بقرطاس فاذا فیه عشرة دراهم فرجعت من
فوری فوجدت صاحب الكری قائما علی الباب فدفعت الیه
خمسة دراهم واستعنت بالباقی الی ان وقعت هذه القصه
وهذا الامر الذی كلفنی علی ما فعلت وانشا یقول

لم ات فعلا غیر مستحسن … جهلا بفعل الاحسن الاملح
لكننی لی حاجة اوجبت … ضرورة اتیان ما یقبح

فاعجب المامون امره واستحسنه وامر له بمائتی الف درهم یصلح
بها شانه والحقه بمراتب الخاصة ورفعت منزلته عنده

وصار اقرب الناس اليه واخر خارج من عنده واول داخل اليه
وسمى طفلى المعتصم وانشد الى المامون يومًا

كانت لقلبى اهواء مفرقة ... فاستجمعت مذ رأتك العين اهوائى
تركت للناس دنياهم ودينهم ... شغلا بحبك عن دينى ودنيائى
وصار يحسدنى من كنت احسده ... وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى

فاستحسن المامون الابيات وامر بالقائها على الستارة وصار الفوائد حضر يوم سرور المامون لم يكن للمامون هم اقتراح هذه الابيات الى ان ينقضى المجلس ثم ان الفتى بعد ان حسنت حالته ارسل الى الدار التى اشرفت عليه منها الجارية فاذا هى لرجل من اهل بغداد من مياسيرها وقد مات ولم يخلف ولدا سوى تلك الجارية وماما حتى تضعضع حاله فاعلم المامون بذلك فامر بخطبتها للفتى ودفع المهر من عنده وصار الفتى والجارية فى نعمة عظيمة وراحة كثيرة فى بقية

ومن مآثر العمر والزمان انتهى العفو مروءة

قيل انه سرق شاب فاتى به الى المامون فامر بقطع يده فانشأ الشاب
يقول شعرًا

يدى يا امير المؤمنين اعيذها ... بعفوك ان تلقى نكالا يشينها
فلا خير فى الدنيا ولا راحة بها ... اذا ما شمال فارقتها يمينها

وكان

وكان ام الشاب واقفة على راسه فبكت وقالت يا امير المؤمنين انه ولدى ناشدتك الله الا ما رحمتنى وهدئت لوعتى وجدت بالعفو عمن استحق العقوبة فقال المامون هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا امير المؤمنين اجعل عفوك عن هذا الحد ذنبا من الذنوب التى تستغفر منها فرق المامون وكظم غيظه وعفى عنه انتهى

ومن محاسن كرمه وقبوله فى الموعظة ما قال

فى حيوة الحيوان رايت فى بعض المجاميع بخط بعض العلماء الاكابر ان المامون اشرف يوما من قصره فراى رجلا قائما وبيده فحمة وهو يكتب بها على حائط قصره فقال المامون لبعض خدمه اذهب الى ذلك الرجل فانظر ما كتب وائتنى به فبادر الخادم الى الرجل مسرعا وقبض عليه وقال ما كتبت فاذا هو قد كتب هذين البيتين

يا قصر جمع فيك الشوم واللوم ... حتى تعشعش فى اركانك البوم
يوما تعشعش فيك اليوم من فرحى ... اكون اول من ينعاك مرغوم

ثم ان الخادم قال له اجب امير المؤمنين فقال الرجل سألتك بالله لا تذهب بى اليه فقال له الخادم لا بد من ذلك ثم ذهب به فلما مثل بين يدى امير المؤمنين اعلم بما كتب فقال له المامون ويلك ما حملك على هذا فقال يا امير المؤمنين انه لا يخفى عليك ما حواه قصرك هذا من

خزائن الاموال والحلى والحلل والطعام والشراب والفراش والاواني
والامقعه والجواري والحلم وغير ذلك مما يقصر عنه وصفي ويعجز
عنه فهو وانا يا امير المؤمنين قد مررت عليه الان وانا في غاية
من الجوع والفاقة فوقفت مفكرا في امري وقلت في نفسي هذا القصر
عامر عالي وانا جائع ولا فايدة لي فيه فلو كان خرابا ومررت به
لم اعدم منه رخامة او خشبة او مسمارا ابيعه واتقوت بثمنه
او ما علم امير المؤمنين قول الشاعر حيث يقول

اذا لم يكن للمرء في دولة امرء … نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض له غير انه … يرجي سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المامون يا غلام اعطه الف درهم قال هي لك في كل سنه
ما دام قصرنا عامرا فرجع الرجل باهله مسرورين وانشد في معنى

ذلك شعرا

اذا كنت في امر فكن فيه محسنا … فعما قليل انت ماض وتارك
فكم دحت الايام ارباب دولة … وقد ملكوا اضعاف ما انت مالك

وحكي انه تنبأ رجل في زمن المامون فقال ليحيى ابن اكثم يا ابا الحسين
امض بنا متسترين حتى ننظر هذا المتنبي والى دعواه فركبا في الليل
مستترين ومعهما خادم حتى صارا الى بابه وكان مستتر بثوبه فاستاذن

اليه

اليه فخرج اليهما ادنه فقال من انتما فقالا رجلان يريدان
يسلما على يديك قال ادخلا فدخلا وجلس المامون عن يمينه
ويحيى عن يساره فقال المامون الى من بعثت قال الى الناس كافة
قال افيوحى اليك ام ترى في المنام ام ينكت في قلبك قال بل التاجو
والحلم قال ومن يأتيك قال جبرئيل قال فمتى كان عندك قال
الساعة قبل ان تاتياني بساعة قال فما اوحى اليك قال اوحي
الي انه سيدخل رجلان يجلس احدهما عن يمينك والاخر عن يسارك
والذي يجلس على يسارك الوط خلق الله تعالى قال له المامون
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ونبي الله وكان
يحيى ابن اكثم يعزى الى قاله المتنبي انتهى

حكاية في حسن المناظرة والمحاضرة

دخل ابو نواس على القاضي يحيى ابن اكثم ومعه غلام جميل الوجه
فقال الغلام هذا عدا علي وقبلني كرها فقتن به القاضي فانشد

اذا كنت للتجميش والبوس كارها … فلا تدخل الاسواق الا منقبا
ولا تظهر الاصداغ من تحت طرة … وتشهر منها فوق خديك عقربا

فلما سمع الغلام ذلك انشا يقول

لقد كنت ارجو ان ارى العدل بيننا … فاعجبني بعد الرجاء قنوط

متى تصلح الدنيا وتصلح اهلها | اذا كان قاضى المسلمين يلوط

يا يحيى من الذى يقول هذا

قاضٍ يرى الحد فى الزناء ولا | يرى على من يلوط من باس

فقال له الذى يقول

ما ادى الجور ينقضى وعلى | الامه وال من ال عباس

وقيل ان المامون شرب يوما ومعه القاضى يحيى ابن اكثم فمال الساقى على القاضى حتى وقع سكرانا فامره المامون ان يلقى عليه الورد حتى يدفن فيها كانه ميت وصنع بيت وقال للمغنيه خذ العود وغنى على راسه فقال

ناديته وهو حى لا حراك له | مزمل فى ثياب من ديباجين
فقلت قم قال رجلى لا يطاوعنى | فقلت خذ قال كفى لا يواتينى

فاستيقظ يحيى بنقر العود والجاريه تغنى البيتين فنام وقال

يا سيدى وامير الناس كلهم | قد جار فى حكمه من كان يسقين
سقانى الراح لم تخرج سلافتها | حتى بقيت سليب العقل والدين

ومن خصايص حلمه وما غفره معامله ابراهيم ابن المهدى

قال الواقدى كان ابرهيم ابن المهدى ادعى لنفسه الخلافه واقام مالكها سنه واحد عشر شهرا واثنا عشر يوما وله اخبار كثيرة

فمما حكاه قال لما دخل المامون بغداد فى طلبى اثقل على الطلب وجعل لمن دل على واتاه بى مائة الف درهم فخفت على نفسى وتحيرت فى امرى فخرجت من دارى وقت الظهر وكان يوما صايفا وما ادرى اين اتوجه فمررت بزقاق لا ينفذ فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون وخفت ان رجعت على اثرى يعلموا بى فرايت فى صدر الزقاق عبدا اسود قايما على باب دار فتقدمت اليه وقلت له اعندك موضع اقيم فيه ساعة من نهار قال نعم وفتح الباب فدخلت الى بيت نظيف فيه حصر نظيفه وبسط ومخداة جلد ثم انه اغلق الباب على ومضى ليدل على فبقيت متحيرا مثل الحبه فى المقلى قلقا مينا من الخوف فبينما انا كذلك اذ اقبل ومعه حمال حامل كلما يحتاج اليه من لحم وخبز وقدر حديد وجوه وكيزان جدد ثم التفت الى وقال جعلنى الله فداك انا رجل حجام وانا اعرف انك تتقذر لما اتولاه من معيشتى فشانك ما لم يقع عليه يد قال ابرهيم ولى حاجه الى الطعام فقمت وطبخت قدرا ما ظننت انى اكلت مثلها قط فلما قضيت اربى قال لى هل لك ان تشرب شيا فانه يسلى الهم ويطيب النفس ويهب للنفس الفرح ويفرج الغم قلت ما اكره ذلك

رغبته في موانسته فجاءني بفطير جديد واحضر لي بقلا وفاكهة في
اواني جدد من فخار ثم قال بعد ذلك اذنت لي جعلت فداك ان اقعد
ناحيه منك واتي بشراب فاشربه سرورا بك فقلت له افعل فقعل
فشرب ثلاثا ثم دخل الى خزانة له فاخرج عودا له مصلحا ثم قال يا سيدي
ليس من قدري ان اسالك ان تغني ولكن قد وجب علي مروتك
حرمتي فان رايت ان تشرف عبدك بان تغني لنفسك والعبد
يسمع فافعل فقلت له من اين لك اني احسن الغنا فقال متعجبا
سبحان الله انت اشهر من ذلك انت ابرهيم بن المهدي خليفتنا بالامس
الذي جعل المامون لمن يدل عليك مائة الف درهم فلما قال
ذلك عظمت مروته عندي وعلمت ان نخوته اجل مما بذلت فتناولت
العود فاصلحته وقد مر بخاطري ذكر اهلي و ولدي

فقلت شعرا

وعسى الذي اهدى ليوسف اهله	واعزه في السجن وهو غريب
ان يستجيب لنا فيجمع شملنا	فالله رب العالمين قريب

فقال يا سيدي اجعل ما تغنيه مما اقتضبك اياه قلت نعم

فقال غني

ان الذي عقد الذي انعقدت به	عقد المكاره فهو يملك حلها

فاصبر

فاصبر فان الصبر يعقب راحة	فلعلها ان تنجلي ولعلها

فحسن عندي افراحه فشرب وشربت وقال غني وقل فقلت

وراء مضيق الخوف متسع الامن	واول مفروح به اخر الحزن
فلا تياس فالله ملك يوسفا	خزائنه بعد الخلاص من السجن

فغنيته فشرب وشربت وقال غني وقل فقلت

اذا الحادثات بلغن النهى	وكادت لهن تذوب المهج
وحل البلاء وقل العزا	فعند التناهي يكون الفرج

فغنيته وحرك في نفسي اقتضابه وانست به واستظرفته ثم قال والله
على نذر ان من يعزيك وما كنت اظن ان الزمان يسمع عندي
في منزلي فان رايت يا سيدي ان تاذن لي ان اغني ما خطر بالي
وان لم اكن من اهل هذه الصناعة فقلت يكون ذلك زيادة
في ادبك ومروتك فاخذ العود فجعله على فخذه وغنى شعرا

شكونا الى احبابنا طول ليلنا	فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشي عيونهم	سريعا ولا يغشى لنا النوم اعينا
اذا ما دنى الليل المضر بذي الهوى	جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما	نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

فوالله لقد احسنت البيت قد سار بي وذهب كلما كان [illegible]

الهلع وسالته ان يغني فغنى يقول

تعيرنا انا قليل عديدنا … فقلت لها ان الكرام قليل
وما ضرنا انا قليل وجارنا … عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم لا نرى القتل سبة … اذا ما راته عامر وسلول
يقرب حب الموت اجالنا لنا … وتكرهه اجالهم فتطول

فوالله لقد اجاد وذهب عني كلما بي من الفزع والجوع والتباث
برود اخلني من الطرب ما لا مزيد عليه وعاجلني السكر
فنمت فلم استيقظ الا بعد المغرب فعاودني فكري في صناعة
هذا الحجام وحسن ادبه وظرفه وكيفية غناه واداركته ان يلحق
مما انا فيه اشار الى تخصيصه ما لو فاء لضيفه ونصره لجارح
فقعدت وغسلت وجهي وايقظته واخذت خريطة كانت
صحبتي فيها دنانير ومصاغ لها قيمة فدفعتها اليه وقلت استودعك
الله فاني ماض عندك واسئلك ان تصرف ما في هذه الخريطة
في بعض مهماتك ولك عندي اذا امنت المزيد فاعادها علي
مبادرا وقال يا سيدي الصعلوك منا لا قدر له عند
اهل الرياسات ويظنوا فيه الظنون الردية فما اخذ على
ما وهبني الله من قربك وخلوتك في منزلي ثمنا لا والله فالحق

عليه

عليه فاخذ موسى له بيده والله لئن راجعتني لاقتلن نفسي فخليت
عليه واخذت الخريطة وقد اثقلني حملها فلما انتهيت الى باب
الدار قال يا سيدي ان هذا الموضع اخفى لك من غيره وليس عندي
في مونتك ثقله فاقم عندي الى ان يفرج الله عنك فرجعت وسالته
ان ينفق علي ان ينفق علي من تلك الخريطة فلم يقبل وكان كل يوم
يفعل بي ما فعل بي اليوم قال فاقمت اياما في اطيب عيش واهناه
ثم اني مللت من الاقامة عنده وخشيت الثقل عليه فتركني ومضى
يجد دلنا حالنا فلبست ثيابي وتزييت بزي النساء بالخف والنقاب
وخرجت فلما صرت في الطريق داخلني من الخوف والجزع امر شديد
وجئت لاعبر الجسر فاذا الموضع مرشوش بما فبصر بي جندي ممن
كان يخدمني فعلق بي وقال طلبة امير المومنين فمن حلاوة الروح
دفعته والفرس فوقع في الطريق وصار عبرة فبادر الناس اليه
فاجتهدت في المشي حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا فوجدت
بابا وامراة واقفة فقلت يا سيدة النساء احقني دمي فاني رجل
خائف فقالت ادخل فدخلت فادخلتني غرفة وفرشت لي وقدمت
لي طعاما وقالت ليهدا روعك فانه لا يعلم بك مخلوق ولو قمت
سنة واذا بالباب يدق فخرجت وفتحت الباب فاذا هو صاحبي

الذي دفعنه على الجسر وهو مشدوح الراس ودمه يسيل على
ثيابه فقالت ما دهاك فقال لها ان حديثي عجيب وامري
غريب ظفرت بالفتى وانفلت مني واخبرها بالحال فقالت وكيف قال
ابرهيم ابن المهدي لقيته فتعلقت به فدفعني فاصابني ما ترين
من حالي وحملته الى المامون لاخذت منه الف درهم
قال فاخرجت حراقا وذرورا وفرشت له بعد كبس خرجه فنام قليلا
وطلعت وقالت اظنك صاحب القصه قلت نعم قالت لي اني
خائفه عليك ثم جددت لي الكرامه واقمت عندها ثلاثة ايام
ثم قالت لي اني خائفه عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على
امرك فينم عليك فانج بنفسك فسالتها امهالها الى الليل فلما
دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها واتيت الى
بيت مولاة لنا فلما راتني بكت وتوجعت وحمدت الله على سلامتي
وخرجت كانها تريد كرامتي وخرجت كانها تريد السوق للاهتمام
للضيافه فظننت خيرا فلم اشعر الا بابرهيم الموصلي بخيله ورجله
والمولاة معه حتى سلمتني اليه فرايت الموت عيانا وحملت
مثل ما انا الى امير المؤمنين فجلس مجلسا عاما وامر بادخالي عليه
فلما مثلت بين يديه سلمت عليه السلام الخلافه فقال لا سلم

الله

قلت يا امير المؤمنين

الله عليك ولا حفظك ولا رعاك ان ولي الثار يحكم في القصاص
والعفو اقرب الى التقوى ومن تناولته يد الاعتدا اديله من الاسباب
الرجاء ما يامن معه عادية الدهر وقد جعلك الله فوق خلقه واصبح
عفوك فوق كل ذي عفو كما ان ذنبي فوق كل ذنب فان تاخذ فبحقك
وان تعفو افبفضلك وانشد واقول هذه الابيات

ذنبي اليك عظيم … وانت اعظم منه
فخذ بحقك او لا … فاصفح بحلمك عنه
ان لم اكن في فعالي … من الكرام فكنه

فرفع راسه فقلت مبتدرا

اتيت ذنبا عظيما … وانت للعفو اهل
فان عفوت فمنا … وان جزيت فعدل

قال فرق لي المامون واسترجع فاسترو حت روائح الرحمة في شمائله
ثم اقبل على اخيه ابي اسحق محمد المعتصم وابنه العباس وابنه العباس
وجميع من حضر من خاصته وقال ما ترون في امره فكل اشار بقتلي
الا انهم اختلفوا في كيفية القتل فقال المامون لاحمد ابن ابي خالد
ما تقول يا احمد فقال يا امير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك
قتل مثله وان عفوت عنه فلم نجد مثلك عفى عن مثله فنكس

المامون رأسه وجعل يخط فى الارض باصبعه ثم رفع راسه متمثلا وقال

فومى هم قتلوا اميم اخى … فاذا رميت يصيبنى سهمى

فكشفت المقنعة عن راسى وكبرت تكبيرة عظيمه وقلت والله عفى عن امير المؤمنين فقال المامون لا باس عليك يا عم فقلت ذنبى يا امير المؤمنين اعظم من ان انفوه معه بعذر وعفوك اعظم من ان انطق معه بشكر ولكن اقول

ان الذى خلق المكارم حازها … فى صلب ادم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منه مهابة … وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
ما ان عصيتك والغواة تمدنى … اسبابها الا بنية طامع
فعفوت عن لم يكن عن مثله … عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت اطفالا كافراخ القطا … وحنين والده بقلب جازع

فقال المامون لا تثريب اليوم عليك قد عفوت عنك ورددت مالك عليك وضياعك فقلت

رددت مالى ولم تبخل على به … وقبل ردك مالى قد حقنت دمى
امنت منك وقد خولتنى نعما … هما الحياتان من موت ومن عدم
فلو بذلت دمى ابغى رضاك به … والمال حتى اسل النعل من قدمى

ماكان ذاك الا منك عارية … رجعت ولو لم تعرها لكنت لم تلم
فان جحدتك ما اوليت من نعم … انى الى اللوم اولى منك بالكرم

فقال المامون ان من الكلام لدرا وهذا منه وامر لى بمال وخلع على وقال يا عم ان ابا اسحق والعباس اشارا بقتلك فقلت انهما نصحاك يا امير المؤمنين ولكن فعلت ما انت اهله ودفعت ما خفت بما رجوت فقال المامون لقد مات حقدى بحياة عذرك فقد عفوت عنك ولم اجرعك مرارة امتنان الشافعين ثم سجد المامون طويلا ثم رفع راسه ثم قال يا عم لم تدرى لم سجدت قلت له شكرا لله تعالى على ما اوقع على وملكك لى فى يدى بافية تفعل ما تشاء فقال اخطات ولكن شكرا لله على ما الهمنى من العفو عنك قبل نفسى ثم قال واعظم من عفوى عنك انى لم اجرعك مرارة امتنان الشافعين فحدثنى عما كان من امرك فشرحت له ما جرى مع الحجام والجندى وزوجته والمولاة التى نمت بى الى امير المؤمنين فامر باحضارها وهى فى دارها تنتظر الجائزه فلما حضرت قال لها المامون ما حملك على ما فعلت تسليم ابرهيم مع انعامه عليك قالت رغبة فى المال قال الك من ولد

اوزوج قالت لا فامر بضربها مائة سوط وامر بها فخلدها فى السجن
ثم احضر الجندى وامرأته والحجام فسئل الجندى ما السبب الذى
حمله على ما فعل قال رغبة فى المال فقال انك اولى بان يكون
حجاما ووكل به من يلزمه الجلوس فى مكان الحجام ليتعلم الحجامة
واحسن الى امرأة الجندى وجعلها قهرمانة قصره وقال هذه امرأة
ادبية تصلح للمهمات ثم قال للحجام لقد ظهر من مروتك ما يجب المبالغة
فى اكرامك وسلم عليه دار الجندى بما فيها وخلع عليه واثبته
برزقه فى الديوان وزيادة الف دينار فى كل سنة ولم يزل فى تلك النعم حتى مات

حكاية زريج الحمنة مع المامون

روى عن محمد ابن عبد الله التميمى قال حدثنا احمد ابن محمد
الحريرى قال كانت لحمنة بنت عبد الرحمن الهاشمى من الاموال
ما لا يسعه الديوان ولا تاكله النيران وكانت ادب نسا
بنى هاشم وافصحهن لسانا واقولهن شعرا فدخلت على المامون
يوما وكانت تحبه غاية الحب سرا وكان المامون جالسا
فى ايوان قد ابتدعه لم يتبدعه من الخلفاء غيره قبله وكان
قد ليوق فى نبائه وكان فيه من كل صورة فى البر والبحر تمثلا
من الذهب والفضة وقد فرشه ببساط من الديباج الاصفر

واسبل

واسبل عليه سورا من الحرير الفيتى وقد اقام اربع مائة
وصيفة بقراطق الحرير وقلانس الوسى بطرز وسعور واصداغ
وهن بقد واحد لا تزيد لواحدة منهن على الاخرى واقام مايتين
عن يمينه ومايتين عن شماله فقال لها يا حمنة هل كان لابيك
او لملك من الخلفاء مثل هذا الايوان مع فرشه هولاء الجوار
مع زينتهن فقالت يا امير المؤمنين متعك الله به وعمره
بك فلقد اوتيت ملكا عظيما انت اهله لترفك وشرفك فان
احببت خادمتك خمسه اجلستك فى مجلس لم تجلس فى مثله
قط واريتك صيدا لم تصد مثله قط واسقيتك شرابا لم تشرب مثله
قط وكان عنده يحيى ابن اكثم فقال لها يا حمنه قد اجبتك
الى ما سالتنى ولكن لا يقنعنى ولا يهنينى ذلك الا بمشهد يحيى
ابن اكثم فانه لا يطيب لى مجلس الا به فقالت نعم يا امير المؤمنين ثم
ضربت بيدها الى خفها فاخرجت منه مخزنة من ذهب احمر محشو
مسكا اذ فدفعها الى يحيى وقالت يا يحيى ان الاجير لا يعمل حتى يستوفى
اجرته وهذه اجرتك منى فكن مستحثا على امير المؤمنين غدا عند
الزوال فى المسير الى منزل خادمته فقال حبا وكرامة ثم خرجت
من عنده فهيات ما تحتاج اليه للمامون وغيره فلما كان من

العند جلس المامون فی مجلس السلام فلما زالت الشمس وصارت فی کبد
السماء قال یحیی یا امیر المؤمنین الحاجة التی عرضت بالامس فخطن
المامون بذلک وقام من مجلسه ولبس ثیاب التجار ولبس یحیی مثل ذلک
ودعی بحمارین مصریین بغاشیتین حتی اتیا دار حمنه فدقا الباب
خفیفا فسمعته وعلمت بمکانهما فاقبلت بنفسها حتی فتحت الباب و
اقبلا یمشیان جمیعا حتی انتهوا الی بیت فی بستان قد حمل علی
اربعة اعمدة من الرخام الاحمر المنقوش بالدر والجوهر وارضه
من العقیان الاحمر واذا فی صدر البیت ثلاثة اسطر منقوشة
بالدر وصنوف الجوهر مکتوب علیها هذه الابیات

ماسرنی ان فؤادی اولا	ان لسانی ما نطق یوما خلا
ولی ملک بنی هاشم	یجی الینا اولا اولا
یا سائلی بوجهی بلا علة	انت المعافا وانا المبتلی

قال المامون یا یحیی ما ملک احد من الخلفاء مثل هذا البیت واذا
فرشه ارمنیه محفورا منقوشا باللآلی واذا فوق الارض مطارح
من الدیباج الاخضر حشوها حواصل الریش وفی البیت المسک والعنبر
والکافور والصندل والزعفران فی اوانی الذهب والفضة فهی
تفرح رائحة لایدری ما هو من طیب ثم اخرجها الی اربعة میادین

فیها

فیها انواع الریاحین حول البیت فقال ان هذا الا سحر یؤثر ثم
دعت لهما بمائدة من الجزع الیمانی قوائمها منها قطعة واحدة
فوضعتها وقدمت علیها الالوان الغریبة فقال المامون ما طعمت
مثل هذا الطعام ثم دعت بالطشت والابریق فغسلا ایدیهما
ثم امرت فقدم الیها قنانی الزجاج الشامیة المرتفعة الصافیة
والبلور فیها شراب قد اتت علیه الایام والاعوام فهی تحکی
الهوی لوقتها والیاقوت لحمرتها والزنجبیل لحدتها ووضع بین
ایدیهما مع اقداح وارطال تشاکل ذلک فقال المامون والله
ما رایت مثل هذا قط ثم اخرجت جاریتین من حجاب الوشی الکوفی
المنسوج بالذهب وعلی رؤسهما مقانع رسیدیه وتیجان من الذهب
مکللة بالجواهر فجلستا وفی حجرهما العیدان المبسوطة الموزونة
فحرکتا الاوتار وغنتا بصوت شجی ملیح من انواع الاغانی وغرایب
الاصوات فقال المامون هذه الجاریة مما نری فیها من غرایب الطیب
والجوهر فقال یحیی وقد بقی لنا یا امیر المؤمنین شرط اخر فقال
وما هو یا یحیی قال الصید یا امیر المؤمنین قال صدقت یا یحیی ثم
قال یا حمنه ما فعل الصید قالت قوما الیه فقام المامون
ویحیی حتی دخلا بستانا لم یر مثله وقد کانت زینت البستان

باحسن ما تقدر عليه واتخذت فيه الوان الطيور من الفواخت
والقماري والطواويس وكانت الاطيار تغني من رؤس الاشجار
ونغرد سرا وجهرا وقد كانت زينت مائة جارية نواهد ابكار
بطرز وشعور وخدود ومباسم ساطعات الانوار كل واحدة
منهن ابهاء من صاحبتها واحسن وعليهن من الوان الثياب وفي
اوساطهن مناطق الذهب الاحمر وتقدمت اليهن وقالت لهن
اذا رايتن المامون ويحيى تعادين ما بين الاشجار فروا منهم فلما
دخل المامون ويحيى البستان فعلن ما امرتهن فضاعف السرور
على المامون واعجب بذلك اعجابا شديدا ثم قال ليحيى هذا الصيد
فقال يا امير المؤمنين رايك فيه فقال المامون لو كان عندنا
كلب لاصطدنا هؤلاء فقال يحيى انا كلبك يا امير المؤمنين فعد
المامون ويحيى فاصطادوا منهن صبية فقالت حمنه سالتك
باجدادك الا ما خليت عن الجواري ابخل بهن عليك وقد فهمت
المعنى منه وقد كانت حمنه تغار على المامون فخلى عن الجواري
وقال ليحيى دونك والصيد ان انت فحل فقال يحيى لو كان لي
كلب لاصطدنا من هؤلا فقال المامون انا كلبك فضحك يحيى وضرب
بقلبنسوته الارض فعدا خلفهن فاخذ امنهن حمنه فقالت

حمنه

حمنه لك الحمنه ولا غيرة لي عليك وانما اغار على المامون لحاجتي
اليه فقال يحيى والله يا امير المؤمنين لقد رايت الهوى الغالب في
حماليق عينيها ولا تتم لنا النعم الا بتزويجك اياها ان رايت ذلك
فقال المامون انا بريء من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
ومنفي من جدي العباس ان رحت من البستان حتى تزوجها ثم
قال يا يحيى اخطب خطبة النكاح فخطب يحيى وامهرها المامون الف
الف دينار واقطعها مائة ضيعة من منتخبات الضياع فحمدت الله
حمنه سرورا بما ظفرت بتزويج امير المؤمنين اياها وامرت ليحيى بعشرة
الاف دينار ورجع المامون الى منزله وزفت اليه في تلك الليلة
فواقعها وكانت اجمل نسائه انتهى وحكي ان المامون كان مشغوفا
بجارية يقال لها نسيم ذات عقل وادب وفضل وكمال وكان لا يفارقها
في الحضر ولا في السفر ثم بعد ذلك مال الى جارية اخرى احسن منها و
اعرض عنها فاغتمت ولم تجد حيلة في استعطافه وكانت ربت جارية
روميه احسن منها في الفضل والادب وكتمت امرها عن المامون فقصد
عرفا فجعل الناس يدخلون عليه باصناف التحف والهدايا فاهدت
نسيم اليه الجارية المذكورة ومعها جام بلور وعطيته بمنديل ديبقي
مكتوب عليه بالذهب هذه الابيا

فصدت عرفا تبتغي صحته … البسك الله به العافيه
فاشرب بهذا الجام يا سيدي … مستمتعا في هذه الجاريه
واجعل لمن اهداه نهاروده … تحظى بها في الليلة الثانيه

فاعجب المامون ما راى من الجام والجاريه ثم بعث لها بقولغم وفي هذه الليلة ثم رضي على نسيم وواصلها بعد ذلك

ومن غرايب المناظره

فاحكي ان المامون مر يوما على زبيدة ام الامين فراها تحرك شفتيها بشي لم يفهمه فقال لها يا اماه اتدعين علي اني قتلت ابنك وسلبته ملكه قالت لا والله يا امير المومنين قال فما الذي قلته قالت يعفيني امير المؤمنين فالح عليها وقال لابد ان تقوليه قالت قبح الله الملاجة ولعن الله الاستبداد قال لم وكيف ذلك قالت لاني لعبت يوما مع امير المؤمنين الرشيد الشطرنج على الحكم والرضى فغلبني فامرني ان اتجرد من ثيابي واطوف القصر عريانة فاستعفيته فلم يعفني فتجردت من اثوابي وطفت القصر عريانة وانا مخفة عليه ثم عاودنا اللعب فغلبته فامرته ان يذهب الى المطبخ فيطأ اقبح وانكر جواريه واشوهها خلقة فاستعفني من ذلك فلم اعفه فنزل لي عن خراج مصر والعراق فابيت وقلت والله لتطأنها ولجحت عليه فاخذت بيده وجئت به الى المطبخ فلم ارَ

جارية

جارية اقبح ولا اقذر ولا اشوه خلقة من امك مراجل فامرته ان يطأها فوطئها فعلقت بك فكنت سببا لقتل ولدي وسلب ملكه فولى المامون وهو يقول لعن قبح الله اللجاجة اي الذي الح عليها حتى اخبرته بهذا الخبر فذهب منزجرا.

واتى شاعر الى المامون فقال له قد قلت فيك شعرا فقال انشدنيه فقال

حياك رب العالمين حياكا … اذ بجمال الوجه قد فاكا
بغداد من نورك قد اشرقت … واورق العود بجدواكا

فاطرق المامون ساعة وقال يا اعرابي انا قد قلت فيك شعرا وانشد

حياك رب العالمين حياكا … ان الذي املت اخطاكا
اتيت شخصا قد خلا كيسه … ولو حوى شيئا لاعطاكا

فقال يا امير المؤمنين ان الشعر بالشعر حرام فاجعل بينهما شيئا يستطاب فضحك المامون وامر له بمال جزيل

حكاية في الطفيلي وذمهم على الحرص

روى ابن عامر الفهري عن اشياخه قال امر المامون ان يحمل اليه من اهل البصرة عشرة رجال كانوا اتهموا عنده بالزندقة فحملوا اليه فمر بهم طفيلي فراهم مجتمعين فظن خيرا ومضى معهم الى الساحل وقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فانسل ودخل الزورق

وقال لا اشك انها نزهه فلم يكن الا يسيرا وقد قيد القوم وقيدتهم
فعلم انه وقع فيما لا طاقة له به ورام الخلاص فلم يقدر وصاروا الى ان
وصلوا الى بغداد ودخلوا على المامون فاستدعى بهم باسمائهم
واحدًا بعد واحد وجعل يذكر بفعله وبقوله ويضرب عنقه حتى لم يبق
الا الطفيلي وفرغت العشرة فقال المامون للموكل بهم من هذا قال
لا اعلم يا امير المؤمنين غير رايناه معهم فجئنا به فقال المامون اسالوه
فقال له ما قصتك ويلك فقال يا امير المؤمنين امراتي طالق ان كان
عرفت من احوالهم شيئا ولا اعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله
وانما رايتهم مجتمعين فظننت انها وليمة يدعون اليها فلحقت بهم
فضحك المامون وقال اف لك قد بلغ من سوم التطفل ان يحل صاحبه
هذا المحل لقد سلم هذا الجاهل من القتل ولكن لا بد ان يؤدب
حتى لا يعود الى مثلها وكان ابرهيم ابن المهدي حاضرا فقال يا امير المؤمنين
هبه لي وانا احدثك عن نفسي فيما وقع لي في التطفل من العجب فقال
وهبته لك هات حديثك قال يا امير المؤمنين خرجت متنكرا
يوما انظر الى سكك بغداد فاستهواني الطرب والتفرج فانتهى
بي المسير الى موضع شممت فيه رايحه طعام وابازير قد فاحت
فتاقت نفسي اليها ووقفت يا امير المؤمنين لا اقدر على المشي فرفعت بصري

واذا

واذا بشباك خلفه كف ومعصم ما رايت احسن منه فبقيت متحيرا
ونسيت رايحة الطعام بذلك الكف فاخذت في اعمال الحيلة الى
الوصول اليها فاذا بجانب المكان خياط فسلمت عليه فرد على السلم
فقلت يا سيدي لمن هذه الدار فقال لرجل من البزازين فقلت ما
اسمه قال فلان قلت هو ممن يشرب الخمر قال نعم واظن ان عنده
اليوم اصحابه تجار مثله فبينما نحن في الكلام اذا اقبل رجلان فقال
هولاء ندماؤه فقلت له ما اسماؤهما وما كناهما قال فلان الفلاني
فحركت دوابهم فلحقتهم جعلت فداكما قد استبطاكما فلان اعزه الله
ولم ازل معهما حتى اتينا البيت فدخلت ودخلوا فلما راني صاحب
البيت بينهم لم يشك الا اني معهم فرحب بي واجلسني في افضل الاماكن
ثم جئ بالماىدة ونقلت الينا الالوان فقلت في نفسي هذه الالوان
قد من الله علي بها ببلوغ الغرض فيها وبقي الكف والمعصم ثم جئ بالما
فغسلنا ايدينا ثم نقلنا الى مجلس المنادمه فاذا به شكل مليح ما رايت
احسن منه ولا اظرف ورايت صاحب المكان يتلطفني ويقبل
علي لظنه اني ضيف لاضيافه وهم على الحال ذلك حتى اذا شربنا اقداحا
خرجت علينا جارية كانها غصن في غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت
من غير خجل ولا احتشام وجلست واتي بعود فجسته احسن جس واذا هي

حاذقة في الصناعة غنت شعرا

نوهمها فكري فالم خدّها … وفيه مكان الوهم من نظري اثر
وصافحها كفي فالم كفها … فمن ضم كفي في اناملها عقر

فهجت يا امير المؤمنين بلابلي فطربت لحسن شعرها وحذقها

ثم غنت تقول شعرا

اسرتا ليها هل عرفت مودتي … فردت بطرف العين اني على العهد
فحدت عن الاظهار عمدا لسرها … وحادت على الاظهار ايضا على عمد

فحسدتها يا امير المومنين على حذقها واياتها معنى الشعر فضحكت
من الطرب لما لم املك نفسي معه ثم غنت تقول شعرا

اليس عجيبا ان بيتا يضمنا … واياك لانلهوا ولا نتكلم
سوى اعين تبدوا سرائر انفس … وتقطيع اكباد على النار تضرم
اشارة افواه وغمز حواجب … وتكسير اجفان وكف مسلم

فحسدتها يا امير المؤمنين على حذاقتها واصابتها معنى الشعر لانها
لم تخرج عن المعنى قلت بقي عليك يا جارية شيا فرمت العود
من يدها وقالت متى كنتم تحضرون البغضاء فندمت على ما كان
منى ورايت القوم كانهم قد انكروا على فقلت في نفسي فاتني جميع
ما املت ان لم اتلافى قصتي فقلت اثم عود غير هذا فالوانعم فاحضروا

عودا فاصلحت ما اردت اصلاحه ثم قلت

ما للمنازل لاتجيب حزينا … اصممن ام قدم البلاء بلينا

فلما اتممت شعري حتى وثبت الجاريه وانكبت على يدي تقبلها
وتقول المعذرة اليك يا سيدي والله ما علمت مكانك ولا
علمت هذه الصناعة من احد ثم زادوا اكرامي وطربوا غاية الطرب
فشربت عدة اقداح ثم غنيتهم لبيتان فرايت من طربهم شيئا
عظيما حتى قلت ان ارواحهم فارقت ابدانهم فسكت ساعة عنهم حتى
يرجعوا الى عقولهم فغنيتهم وقلت هذه الاشعار

هذا محبك مطوى على كمد … وجدا وتجرى مدامعه على جسده
له يد تسال الرحمن راحتها … مما به ويد اخرى على كبد
يا من راى كلفا مستهترا دنفا … كانت منيته في عينه ويده

قال فجعلت الجارية تصيح وتقول هذا والله هو الغنا ما الذي
كنا فيه وشربوا القوم فلما جاءهم البسط امر صاحب البيت عبيده
ان يحفظا ندماه الى منازلهم وخلوت معه فقال والله يا سيدي
ذهب ما مضى من عمرى باطلا الذى ما عرفتك قبل يومي هذا
فبالله يا مولاى من انت فجعلت ارد عليه ويقول ويقسم على الى
ان اعلمته على حقيقة حالي فلما سمع ذلك قام على قدميه وقال عجبت

من ان تكون هذه المكارم الا لملك ولقد اصابنى من الدهر نعما
لا اقوم بشكرها ثم قال اترى هذا يقظة ام مناما اقمت الى لا ازال
هذه الليلة قائما الى ان تاذن لى بالجلوس فانى احقر من ان اجالس
الملوك فاقسمت عليه بان يجلس ثم اخذ فى الكلام وجعل يعرض على
السبب الذى اوجب حضورى عنده بالطف تعريض فاخبرته بالامر
على الحقيقة ولم اخفه شيئا ثم قلت له كفيته الطعام ثم نلت
بغيتى منه وقلت بقى الامر الاخر فقال يا سيدى ما هو فقلت
له واقعته الكف والمعصم فوثبت الى باب القاعة وقال لكل منكن
تلبس افخر ثيابها وتخرج علينا من المخدع ثم استدعى بهن وجعل
يقال يا فلانة وهن يخرجن واحده بعد واحدة وانا لا ارى صاحبة
الكف والمعصم الى ان اتت اربعين امراة فقال والله ما بقى الا
اختى وها انا اخرجها اليك فقلت افعل فقال حبا وكرامة ثم
استدعاها فرايت يدها ومعصمها فاذا هى التى رايتها
فقلت هذه الحاجة فامر غلمانه لوقته ان ياتوا بعشرة شهود ثم قام
اخرج عشرين الف درهم والف اخرى فلما حضروا قال لهم هذا سيدى
ابرهيم ابن المهدى يخطب فلانة واشهدكم انى قد زوجتها
وامهرتها عنه عشرين الف درهم فقلت قبلت الزواج ثم دفع

دفع الالف التى كان اخرجها لهم فشكروا له ودعوا ثم انصرفوا ثم
انصرفوا ثم قال يا سيدى امهد لك بعض البيوت تنام مع اهلك
او احملها الى منزلك فاعجبنى ما كان من كرمه واستحيت ان
ادخل بها فى داره فقلت بل احملها الى منزلى فوحقك يا امير المؤمنين
لقد حمل معها من الفرش والاثاث ما ضاقت به بيوتنا فاولدتها
هذا الغلام القائم بين يديك يا امير المؤمنين فعجب المامون
من كرم الرجل وقال لله دره ما اكرمه والله ما سمعت بمثله قط
ثم اطلق الطفيلى وامر باحضار الرجل واستنطقه فاعجبه حسن منطقه
وعقله وادبه فصيره من جملة خواصه وندمائه

خلافة ابرهيم المعتصم ابن الرشيد واخباره

هو ثامن خلفاء بنى عباس وكان شديد القوة ما كان فى العباسيين
مثله فى القوة والشجاعة والاقدام ومدة خلافته ثمان سنة
وثمان شهر وثمانيه ايام قيل انه اصبح ذات يوم برد
شديد وثلج فلم يقدر احد على اخراج يده ولا امساك قوس
فاوتر المعتصم فى ذلك اليوم اربعة الاف قوس وكان يدعى
بالخليفه المثمن وقال ابو تمام حبيب ابن اوس الطائى
يمتدح المعتصم ابن هرون الرشيد يقول

ان حسّ عود ارايت الخيل راقصة ... فانها من سماع هرها نغم
او حركت يدي اليمنى له وترا ... على اعاديه اعني البوم والرخم

ومن لطايف الحكايات

ما حكي عن احمد ابن ابي داود القاضي انه قال جيئ بتميم ابن جميل
الى المعتصم اسيرا وكان قد خرج عليه قال فما رايت رجلا عرض
على الموت فلم يكترث به سواه ثم دعا بالسيف والنطع فلما مثل
بين يديه فاعجبه حسنه وقدّه ومشيه الى الموت غير مكترث
فاطال الفكر فيه ثم كلمه لينظر ابن عقله ولسانه فقال
يا تميم ان كان لك عذر فات به فقال اما اذا اذن امير المؤمنين
في الكلام فاني اقول الحمد لله الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ
خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين
يا امير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ولمّ بك شعث المسلمين
واخمد بك نار الباطل واثار بك سبيل الحق ان الذنوب تخرس
الالسنة وتصدع القلوب وايم الله لقد عظمت الجريرة و
انقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا عفوك وهو اشبه بك واليق
ثم انشد يقول

ارى الموت بين السيف والنطع كامنا ... يلاحظني من حيث لا اتلفت

ذكر

واكبر ظني انك اليوم قاتلي ... واي امرئ عما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي ياتي بعذر وحجة ... وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الاوس ابن تغلب موقف ... يسل علي السيف فيه واصلت
وما جزعي من ان اموت وانني ... لاعلم ان الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم ... واكبادهم من حسرة تتفتت
كاني اراهم حين انعى اليهم ... وقد لطموا حر الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا في سرور ونعمة ... ازود الردى عنهم وان مت موتوا
فكم قائل لا ابعد الله داره ... واخر جذلان يسر ويشمت

قال فبكى المعتصم ثم قال ان من البيان لسحرا كما قال النبي صلى
الله عليه واله وسلم يا تميم كاد والله ان يسبق السيف العذل
فقد غفرت لك الصبوة ووهبتك للصبية ثم عقد له ولاية
على عمله واعطاه خمسين الف دينار انتهى من زهرة الاكمام

ومن ظرايف الحكايات

ما ذكر صاحب تاريخ بغداد عن مخاريق المغني قال تطفلت
تطفيلة قامت على امير المؤمنين المعتصم بتسعين الف درهم قيل
وكيف ذلك قال شربت معه ليلة الى الصبح فلما اصبحنا قلت
له يا امير المؤمنين ان رايت ان تخرج الى الرصافة فنتنسم الى وقت

انتباه امير المؤمنين قال نعم فامر البوابين ان يتركوني فخرجت
اتمشى في الرصافة واذا بجارية كان الشمس تشرق في جبينها فتبعتها
ورايت معها زنبيلا فوقفت على فاكهاني واشتريت سفرجلا
بدرهم وانصرفت فتبعتها فالتفتت فراتني فقالت يا ابن الفاعله
الى اين قلت خلفك يا سيدتي فقالت ارجع يا ابن الزانيه
لئلا يراك احد فيقتلك فتاخرت ومشيت وتمشت امامي ثم التفتت
فراتني فشتمتني شتما قبيحا ثم جاءت الى دار كبيرة فدخلت فيه و
جلست انا عند الباب وقد ذهب عقلي ونزلت على الشمس وكان
يوما حارا فلم البث ان جاء فتيان كانهما بدران على حمارين فلما
وصلا الى الباب اذن لهما فدخلا فدخلت معهما فظننا ان صاحب
المنزل قد دعاني وجيء بالطعام فاكلنا وغسلنا ايدينا فقال
لنا صاحب المنزل هل لكم في فلانة فقالوا ان تفضلت قال
فاستدعى بتلك الجارية فخرجت فاذا هي صاحبتي وورائها
وصيفة تحمل عودا لها فوضعته في حجرها فغنت وشربوا و
طربوا وهي تلحظني وتلاحظني فقالوا لمن هذا الصوت فقالت لسيدي
مخارق فما لبثت ان قلت يا جارية شدي يدك فشددتا وتارها
وخرجت عن ايقاعها الذي تقول عليه قال فاستدعيت بعدوة

وقضيت

وقضيت وغنيت الصوت الذي قالته الجاريه فقاموا
الي وقبلوا راسي قال وكان مخارق من احسن الناس صوتا
وكان يوقع بالقضيب برقيعا عجيبا قال ثم غنيت الصوت الثاني
والثالث فكانت عقولهم تطير فقالوا بالله من انت يا سيدي
فقلت مخارق فقالوا وما سبب مجيئك قلت طفيلي اصلح الله
شانكم واخبرتهم خبري قال صاحب المنزل لصديقيه اما
تعلمان اني اعطيت في هذه الجارية ثلثين الف درهم قالوا
نعم قال هي له قال صديقاه علينا عشرون الف درهم وعليك
عشرة الف قال مخارق فملكوني الجاريه وجلست عندهم الى العصر و
انصرفت بها وكلما مررت بالمواضع التي شتمتني فيها اقول يا مولاتي
اعيدي كلامك فتستحي مني فاحلف عليها لتعديه فتعيده
حتى وصلت الى امير المؤمنين فقيل له انتبه فطلبك في منازل
ابناء القواد فلم يجدك فيغيظ غيظا شديدا فدخلت عليه
ويدي في يدها فلما راني سبني وشتمني فقلت يا امير المؤمنين
لا تعجل وحدثته الحديث فضحك وقال نحن نكافيهم عنك فاحضرهم
وامر لكل واحد بثلاثين الف درهم

حكاية اجنبية غر محلها

قال الاصمعي دعني بعض الكرام الى قرا الطعام فخرجت معهم الى البريه فاتوا بباطيه بازين وعليها السمن غارقا فجلسنا للاكل واذا اعرابي ينتسف الارض نسفا حتى جلس من غير نداء فجعل ياكل والدسم يسيل على كراعه فقلت لاضحك الحاضرين منه تدري كيف انت يا اعرابي قال لا فقلت

كانك نخلة في ارض هش ... اتاها وابل من بعد طش

فالتفت الي بعين متحملقه وقال لي الكلام انثى والجواب ذكر اتدري كيف انت قلت لا فقال

كانك بعرة في است كبش ... مدلدلة وذاك الكبش يمشي

فقلت له هل تعرف شيئا من الشعر او تدريه فقال كيف لا وانا ابن امه وابيه فقلت له ان عندي قافيه تحتاج الى غطا فقال هات من عندك فغصت في بحور الاشعار فما وجدت قافيه اصعب من الوا والمجزوم لعله ان يولي عنه وهو مهزوم

قوم بخاقان عهدناهم ... سقاهم الله من النو

اتدري النو ماذا قال

نو تلالا في دجى ليلة ... مظلمه حالكة لو

فقلت لو ماذا فقال

لوساقي

لو سار فيها فارس لانثنى ... على بسا الارض منطو

فقلت له منطو ماذا فقال

منطو الكشح هضيم الحشا ... كالباز ينقض من الجو

فقلت له الجو ماذا فقال

جو السماء والريح تعلو به ... اشتم ريح الارض فاعلو

فقلت له فاعلو ماذا فقال

فاعلو لما عيل من صبره ... وصار نحو القوم ينعو

فقلت ينعو ماذا فقال

ينعو رجالا للقنا شرعت ... كفيت ما لاقوا وتلقو

قال فعلمت انه لاشي بعدا لقنا ولكن اردت ان اثقل عليه فقلت و يلقوا ماذا فقال

ان كنت لا تفهم ما قلته ... فانت عندي رجل بو

فقلت له البو ماذا فقال

البو سلخ قد حشي جلده ... يا الف قرن ان تقم او

فقلت له او ماذا فقال

او اضرب الراس بصوانة ... تقول في ضربتها قو

فخفت ان اقول قو ماذا فيضربني ويكمل البيت فقلت له ابن ضيفي الليلة

قال لا يا ابي الكرامة الا اللئيم فقلت لزوجتي اصنعي دجاجة ففعلت
فاتيته بها وجنبيه انا وزوجتي وبنتاي وقلت فرق يا بدوي فقال
الراس للراس واعطاني الراس وقال الولدان جناحان لهما الجناحان
والبنتان لهما الرجلان والمراة العجوز ولها العجز وانا الزاير ولي
الزور واكل الدجاجة ثم قلت لزوجتي في الليله الثانيه اصنعي لنا
خمس دجاجات ففعلت واتيته بالدجاج وقلت له اقسم يا بدوي
فقال تريد شفعا ام وترا فقلت ان الله وتر ويحب الوتر قال كانك تريد
بالفرد فقلت نعم قال انت وزوجتك ودجاجة فرد وابناك ودجاجة
فرد وانا ودجاجتين فرد فقلت ما ارضى هذه القسمه فقال لكانك تريد
شفعا فقلت نعم فقال انت وولداك ودجاجة زوج وزوجتك وبنتاها
ودجاجة زوج وانا وثلاث دجاجات زوج ووالله ما احول عن هذه
القسمة قال الاصمعي فغلبني مرتين مرة في الشعر ومرة في الدجاج ثم انصرف
وحين الانصراف خرجت لاودعه فقال يا اصمعي ما كان عندي
ازيد مما تركته في مكاني فسالك العفو على المعذرة فرجعت فوجدته
قد ترك لي دنانير كثيرة فاخذتها وعلمت انه من العظماء الكرماء
وقيل لي انه من اولاد الامجاد الحسين ابن علي عليهم السلام انتهى

ذكر خلافة الواثق بالله

هو

هو تاسع خلفاء العباسيين ومدة ملكه خمس سنة وكان يقول
بخلق القران وضرب على ذلك احمد ابن حنبل على ان يقول ذلك
فلم يقبل رضي الله وله معه اعلام طويله فلينظرها في حيوة الحيوان
قال ابنه محمد الذي يقال له المهتدي بالله كان ابي الواثق
بالله اذا اراد ان يقتل احدا احضرنا ذلك المجلس فبينما نحن عنده
ذات يوم اذا اتي بشيخ مقيد فقال ادنوا العبد الله يعني ابن ابي
داود واصحابه وادخل الشيخ في مصلاه فقال السلام عليك
يا امير المؤمنين فقال لا سلم الله عليك فقال الشيخ يا امير
المؤمنين بئسما ادبك مؤدبك قال الله تعالى وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ
فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا والله ما حييتني بها ولا باحسن
منها فقال ابن ابي داود يا امير المؤمنين الرجل متكلم فقال
الواثق كلمه فقال الشيخ لم تنصفني ولي السؤال بل انا اسالك
فقال الواثق سله فقال الشيخ لابن ابي داود ما تقول في القران
فقال ابن ابي داود مخلوق فقال الشيخ هذا شيء علمه النبي
صلى الله عليه واله وسلم وابو بكر وعمر وعثمان وعلي
رضي الله عنهم والخلفاء الراشدون ام شيء لم يعلموه فقال
لم يعلموه فقال سبحان الله لم يعلمه النبي صلى الله عليه واله

وسلم ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الخلفاء
الراشدون وعلمته انت قال فخجل وقال اقلنى قال قد فعلت
والمسئله بحالها قال نعم قال ما تقول فى القران قال مخلوق
قال ايضا هذا شىء علمه النبى صلى الله عليه واله وسلم وابو
بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفاء الراشدون ولم يعلموه قال
علموه ولم يدع الناس اليه قال افلا وسعك ما وسعهم قال ثم
قام ابى فدخل مجلس الخلوة واستلقى على قفاه ووضع احدى
رجليه على الاخرى وهو يقول هذا شىء لم يعلمه النبى صلى الله
عليه وسلم ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا الخلفاء
الراشدون وعلمته انت سبحان الله فضحك وذكر الحافظ ابو نعيم
فى حليته على طريق الاخر وهو انه قال الحافظ ابو بكر الاجرى
بلغنى عن المهتدى انه قال ما قطع ابى يعنى الواثق الا شيخ جئ
به من المصيصه فمكث فى السجن مدة طويله ثم ان ابى ذكره يوما
فقال على بالشيخ فاتى به مقيدا فلما وقف بين يديه سلم
عليه فلم يرد عليه السلام فقال يا امير المؤمنين ما سلكت
معى ادب الله ولا ادب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
قال الله تعالى وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا وامر

النبى

النبى صلى الله عليه واله وسلم برد السلام فقال ابى وعليك
السلام ثم قال لابن ابى داود القاضى وهو حاضر فى المجلس سله
فقال الشيخ يا امير المؤمنين انا محبوس مقيد اصلى فى الحبس بتيمم
ومنعت من الماء فمر بحل قيودى وبماء اتوضاء واصلى ثم سلنى فامر
به فحل قيوده وامر له بماء فتوضا وصلى ثم قال لابن ابى داود سله
فقال الشيخ المسئلة لى وله ان يجيبنى فقال سل فاقبل الشيخ
على ابن ابى داود فقال اخبرنى عن هذا الامر الذى تدعوا الناس
اليه اشىء دعا اليه النبى صلى الله عليه واله وسلم قال لا
قال افشىء دعا اليه ابو بكر الصديق قال لا قال افشىء دعا اليه
عمر ابن الخطاب بعدهما قال لا قال افشىء دعا اليه عثمان ابن
عفان بعدهم قال لا قال افشىء دعا اليه على ابن ابى طالب عليه السلام
قال لا قال الشيخ فشىء لم يدع اليه رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم ولا ابو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على تدعوا انت اليه الناس
ليس يخلوا ان تقول علموه او جهلوه فان قلت علموه فسكتوا عنه لعد
وسعنا واياك من السكوت ما وسع القوم وان قلت جهلوه
وعلمته انت يا لكع ابن لكع يجهل النبى صلى الله عليه واله
وسلم والخلفاء الراشدون رضى الله عنهم وتعلمه انت واصحابك

قال المهتدي فرايت ابي وثب قائما ودخل الحجره فجعل ثوبه في
فيه ويضحك ثم يقول صدق الشيخ قال المهتدي ما زلت
اقول القران مخلوق صدرا من خلافة الواثق بالله ابي حتى
اقدم علينا احمد ابن ابي داود القاضي شيخا من اهل الشام
فادخل الشيخ على الواثق مقيدا وهو جميل الوجه تام القامة
حسن الشيبه فرايت الواثق قد استحيى منه ورق له فما زال
يدنيه ويقربه حتى قرب منه فسلم عليه الشيخ فاحسن
السلام ودعا فابلغ الدعاء واوجز فقال له الواثق اجلس ثم
قال يا شيخ ناظر ابن ابي داود فيتول ويضعف عن مناظرتك فقال
الشيخ هون عليك يا امير المؤمنين ما بك وايذن لي في مناظرته
فقال الواثق ما دعوناك الا للمناظرة فقال الشيخ يا احمد
يا ابن ابي داود الى ما دعوت الناس ودعوتني اليه فقال الى
ان تقول مخلوق فقال الشيخ يا امير المؤمنين ان رايت ان تحفظ
علي وعليه ما نقول فقال افعل فقال الشيخ يا احمد اخبرني
عن مقالتك هذه واجبه داخلة في عقد الدين فلا يكون
الدين كاملا حتى يقال فيه ما قلت قال الشيخ اخبرني
عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم حين بعثه الله عز

وجل الى عباده هل ستر شيا مما امر الله به في دينه فقال
لا قال فدعا رسول الله صلى الله عليه واله الى مقالتك
هذه فسكت ابن ابي داود فقال الشيخ تكلم فسكت فالتفت الشيخ
الى الواثق فقال يا امير المؤمنين قل واحده فقال
الواثق هذا واحد فقال الشيخ يا احمد اخبرني عن الله عز وجل
حين انزل القران على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الاسلام دينا اكان الله صادقا في اكماله ام انت الصادق
في نقصانه فلا يكون كاملا حتى يقال فيه بمقالتك هذه
فسكت ابن ابي داود فقال الشيخ اجب يا احمد فلم يجبه فقال
الشيخ يا امير المؤمنين اثنتان فقال اثنتان فقال الشيخ يا احمد
اخبرني عن مقالتك هذه اعلمها رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم ام جهلها فقال ابن ابي داود علمها فقال الشيخ افدعا
الناس اليها فسكت ابن ابي داود فقال الشيخ يا امير المؤمنين
قل ثلاثا فقال الشيخ يا احمد فاتسع لرسول الله صلى الله عليه
واله وسلم كما زعمت ولم يطالب امته بها قال نعم قال الشيخ
فاتسع لابي بكر الصديق وعمر ابن الخطاب وعثمان ابن عفان

وعلى ابن ابيطالب عليه السلام فقال احمد نعم فاعرض الشيخ
عنه واقبل على الواثق فقال يا امير المؤمنين لم يتسع لك
من الامساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله صلى الله عليه
واله ولابي بكر وعمر وعثمان وعلي عليه السلام فلا وسع الله
على من لم يتسع له منا ما اتسع لهم من ذلك فقال الواثق نعم ان لم
يتسع لنا من الامساك عن هذه المقاله ما اتسع لرسول الله صلى
الله عليه واله ولابي بكر وعمر وعثمان وعلي فلا وسع الله علينا
اقطعوا قيد الشيخ فلما قطع القيد فاخذ الشيخ ووضعه في كمه
فقال الشيخ لاني نويت ان اقدم الى من اوصى اليه اذا مت
يجعله في كفني حتى اخاصم به هذا الظالم عند الله عز وجل
يوم القيمة واقول يا رب سل عن هذا لم قيدني وروع
اهلي وولدي واخواني بلا حق اوجب ذلك وبكى الشيخ و
بكى الواثق وبكينا ثم ساله الواثق ان يجعله في حل وسعه مما
ناله فيه فقال الشيخ يا امير المؤمنين قد جعلتك في حل وسعة
من اول يوم اكراما لرسول الله صلى الله عليه واله اذ انت رجلا
من اهله فقال الواثق لي اليك حاجة فقال الشيخ ان كانت ممكنة
فعلت فقال الواثق عند ما ينتفع بك فتنا بنا فقال الشيخ يا امير

المؤمنين ان ردك اياي الى الموضع الذي اخرجني منه هذا
الظالم انفع لك من مقامي عليك واخبرك لم ذلك اصير الى
اهلي وولدي فاكف دعاهم عنك فقد خلفتهم على ذلك فقال
الواثق فتقبل منا صله تستعين بها على دهرك فقال الشيخ
يا امير المؤمنين انا غني وذو ثروة قال فتسئل حاجتك قال او تقضيها
قال نعم قال تخل سبيلي الى الثغر الساعة وتاذن قال اذنت
لك فسلم عليه الشيخ وخرج في الساعة فقال المهتدي بالله
فرجعت عن هذه المقاله من كان في اليوم حاضرا
قيل وقف رجل للواثق فقال يا امير المؤمنين صلني رحمك فادحم
اقاربك وارحم رجلا من اهلك فقال الواثق من انت فاني لا
اعرفك قبل اليوم قال ابن جدك ادم فقال يا غلام اعطه
درهما قال يا امير المؤمنين وما اصنع بالدرهم قال ارايت لو
قسمت بيت المال على اخوتك اولاد جدك ما كان قسمك منه
حبه فقال لله درك ما ازكى فهمك فامر له بعطا وانصرف انتهى

ذكر نبذة مما وقع في خلافة المتوكل على الله

هو العاشر من خلفاء بني العباس اخ الواثق ومدة خلافته
اربعة عشر سنة وتسعة اشهر وقتل محمد ابن عبد الملك ابن الزيات

وزير الواثق فى يد وخلافة وفى سنة ست وثلاثين ومائتين امر
المتوكل بانهدام قبر امير المؤمنين حسين ابن على عليه السلام
والصلوة وقال المتوكل يوما لابى العيناء ما اشد حرص امك
عليك فى ذهاب عينيك قال فقد رويتك يا امير المؤمنين
فاستحسن منه هذا الجواب وامر له بجايزة نفيسه انتهى
ومما حكا ابو القاسم على ابن محمد التنوخى عن ابى عبد الله النحوى
قال لما حج محمد ابن عبد الله ابن طاهر راى فى الطواف جاريه فى نهاية
الحسن والكمال فسئل عنها فقيل انها من الادباء قد رواها
الاشعار والاخبار والنحو والعروض وقد احسنت ضرب العود وطرق
الغنا فاشتراها بمائة الف درهم فلما قدم بها مدينه دار السلام
شغف بها شغفا شديدا واخفى امرها وكان من شدة وجده بها
يجلس عندها اياما وما يجد منها تخوفا من امير المؤمنين المتوكل
وكتم امرها لا يظهر الناس فظنون انه مريضا وامره معها مستور
وفطن به سويد ابن ابى العاليه صاحب البريد وكان بينه وبين
محمد منافرة فلم يجد سويد ما يكيده به الى ان كتب الى المتوكل
وهو نازل على اربعة فراسخ من بغداد كتابا نسخة بسم الله الرحمن
الرحيم اما بعد يا امير المؤمنين فان محمد ابن عبد الله عاملك

اشترى جارية بمائة الف درهم فهو يضطجع معها ويعتنق زمانه
كله معها وقد اشتغل بها عن النظر فى امور المسلمين وعن
التوقيع فى قصص المظلومين ولا يامن امير المؤمنين ان تضطرب
عليه بغداد مع كثرة ما فيها من الغوغاء فيتعب امير المؤمنين
فى اصلاحها وقد انهى المملوك الى امير المؤمنين ايده الله
وهو اعلى رايا والسلام ورحمة الله وبركاته فلما
قراء المتوكل الكتاب رفع راسه الى رجس الخادم وقال
له امض الساعة الى محمد ابن عبد الله ابن طاهر وادخل عليه
داره بغتة من غير اذن وانظر الى ما يصنع ثم خذ منه جاريته
فلانة وات بها من غير تاخير فمضى رجس من ساعته وكان محمد
قد اضطجع معها فى ذلك اليوم فدخل عليهما رجس من غير استيذان
فلم يشعر محمدا الا وهو واقف عليه فتغير وجهه وانتقع لونه
وفاضت عيناه وارتعدت فرايضه لعلمه ان رجسا ما دخل
عليه بغير اذن الا وقد اضمر لهما السوء فقال له يا رجس ما
الذى اقدمك قال امير المؤمنين امرنى ان اخذ جاريتك
هذه قال رجس هذا يوم قد حضر شره وغاب خيره وقد ترى
ما نحن فيه وانا لا اخالف ما امر به امير المؤمنين ثم امر الخادم

بكرسي فجلس عليه بعد ان اسعى ساعة وقال ان مثلي لا
يجلس مع مثلك ثم ان محمد انظر الى الجارية وبكى بكاء اشديدا
وقال لها غني لا تزودمنك فاخذت العود وغنت بصوت حزين تقول

الله بين معذبين دهاهما … بشماتة العذال والحساد
اما الرجل فحين حين تحلت … مهج النفوس به من الاجساد
من لم يذب والبين يصدع شمله … لم يدر كيف تفتت الاكباد

ثم انهما اعليا بالبكاء والنحيب والشهيق فرحمهما الخادم ورق
لهما حين عاين ما حل بهما فقال ايها الاميران رايت ان امضي
واودعكما على ما انتما عليه واعتلل عنكما عند امير المؤمنين فقال
يا رجل من خلفه فعل ابي الاسود كيف يمكنه التعلل ولكن
ادفق قالت الجارية والله يا سيدي لا ملكني غيرك ابدا ولئن
دفعني اليه لاقتلن نفسي فقال لها محمد لو كان غير امير المؤمنين
لكان لي في ذلك اوسع حيلة ولقد وددت ان ياخذ مني امير
المؤمنين جميع ما املك ويعزلني عن عملي ويبقيك علي ولكن هذا
قضاء الله وقدره ثم التفت الى رجس وقال لقد شاهدت مني
ومن الجارية ما تشهد به قلبك علينا بالمحبة والموده والالفه
وليس يخفى عن علمك ان صنايع المعروف تقي صنايع السوء

ومثلك

176

السوء ومثلك من يصنع المعروف مع مثلي فخذها وامض بها
الى امير المؤمنين وقل ما شئت مما يليق بمروتك ثم التفت اليها
وقبلها وبكى وبكت وبكى رجس ثم اخذها وخرج وهي تبكي و
تخمش خدها ثم حملها رجس على بغلة امير المؤمنين وسار حتى دخل
على المتوكل فلما دخل قال ما وراءك يا رجس قال وراي يا امير
المؤمنين كل بلية ثم انه جلس بين يديه وقص عليه حالهما
ولم يخف منه شيئا فقال المتوكل وكل هذا الوجد يجد
محمد من هذه الجارية قال يا امير المؤمنين والذي خفي اكثر
مما ظهر وما اظنه يعيش بعدها فرق قلب المتوكل وقال يا رجس
ارجع بها اليه الساعة من وقتك هذا وادركه قبل ان تزهق
روحه وقد امرت له بعشرة الف درهم ولها مثل ذلك وجعلت
امر سويدا اليه يصنع به ما يشاء ثم كتب له توقيعا بذلك حتى
دخل عليه فوجده عريانا ينقلب على حصير سامان من شدة
الكرب وقد احدقن به الجواري يروحنه بالمراوح فقال
ابشر يا محمد ان الامير المؤمنين قد رد عليك جاريتك من غير ان
يقطع نظره عليها وقد جعل امر ابي سويدا اليك ثم ناوله التوقيع
بذلك ودخلت الجارية عليه فوثب اليها وعانقها وقبلها ساعة

ثم خرج من مجلس الى باب داره وبعث الى ابي سويد فلما حضر دفع
اليه التوقيع فلما قراه قال اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك
من عقوبتك وان تهدم ركنا انت شيدته وان تضيع صنيعة
اصطنعتها الى مثل فتلى من هفا ومثلك من عفى ثم قام وقبل
البساط فقال له محمد لا ابدل نعمة الله كفرا ثم امر له بخمسين الف
درهم فقالت الجارية وانا ايضا اهب له خمسين الف درهم مما وهب لي
امير المؤمنين شكر الله تعالى على ذلك ثم امره على ما كان عليه
وامره ان يحمل المال بين يديه الى منزله ورجع محمد والجارية
الى ما كانا عليه في اطيب عيش واحسن حال متظاهرا بذلك غير
مستتر ولا خائف وهذا من اكمل الاحسان انتهى والله اعلم

ومن كرائم عفوه

ما نقل انه اتى المتوكل بمحمد ابن النصيب ووزيره ابن الدبراني
فلما مثل بين يدى المتوكل قال له ما حملك على ما فعلت يا
محمد قال الشقوة يا امير المؤمنين وثنى بنا الظنون وانشد

ابى الناس الا انك اليوم قاتلي ... امام الهدى والعفو بالحر اجمل
تضال ذنبي عند عفوك قلة ... فجد لي بعفوك فالعفو اجمل

فقال المتوكل خلوا سبيله ثم قدم ابن الدبراني فقال اضربوا

عنقه فقال سبحان الله يا امير المؤمنين تعفو عن الراس وتقطع
الذنب فضحك المتوكل وعفى عنه وايضا كتب محمد ابن
عبد الملك ابن الزيات وهو في السجن وقد اشتد به الحال
ودفعه الى المتوكل ويقول فيه هذه الابيات

هى السبيلين من يوم الى يوم ... كفرحة النايم الفرحان بالنوم
لا تعجلن رويدا انها دول ... دنيا تنقل من قوم الى قوم

فلما قراها المتوكل تنبه ورق قلبه وبكى وامر باطلاقه
فذهبوا الى السجن فوجدوه

ذكر ما وقع في خلافة المعتضد بالله

كان يسمى السفاح الثاني لانه جدد ملك بني العباس بعد ان
اخلقته الاتراك وفي ذلك يقول علي ابن العباس الرومي

كما بابي العباس انشا ملككم ... كذا بابي العباس ايضا يجدد

ولقد اتفق في ايامه على ما حكي امر فضيع كشفه الله له بهيبته في
النفوس الناس لما عرفوا انه كان لا يتجرى احد منهم ان يكتمه
ما في نفسه مخافة صولته ان عثر على مثل هذا من وزرائه
وقواده وذلك ان احد كبراء قواده او وزرائه كان قد بنى بناء
عاليا مشرفا على منازل جيرانه لمكانه من عزه وسلطانه وكان يجلس
كثيرا في ذلك البناء فراى يوما من الايام في دار من دور جيرانه

جارية بارعة الجمال فائقة الكمال لطيفة المعصم مليح المبسم كما قيل فيها

فريدة لو رائها الشمس ما طلعت ... من بعد رؤيتها يوما على احد

فاولع بها فسئل عنها فاخبر انها بنت احد التجار فارسل الى والدها
خاطبا فقال له ابوها وكان من اهل اليسار لست ازوجها الا من تاجر
مثلى فانه ان تزوجها من هو مثلى لم يظلمها وان ظلمها قدرت على
النصفة منه وانت ان ظلمتها لم اقدر لها على حيلة نصرة فلم يزل
يرومه فى ذلك بكل امر و توسط اليه بالاكابر والاماثل
من الناس وهو مع ذلك يمتنع فلما يئس منه ان يجيبه شكى ذلك
الى احد خواصه فقال له الف مثقال الذهب يقوم لك بهذا
قال كيف ذلك والله لو علمت انى انفق عليها مائة الف وانى بها
لفعلت قال له عليك ان تحضر لى الف دينار فامر باحضارها فمشى
بها ذلك الرجل الى عشرة رجال كانوا عدولا عند القاضى فى
شهاداتهم وذكر لهم الامر وقال لهم اما ليس عليكم من الله فيه
تبعة نفسا قد اشرفت على الهلاك ويكون لكم عنده من
الجاه مع هذا ما تدعون ابرها وانما هى عاضل لها فى التزويج
والا فما يمنعه من ذلك وقد خطبها مثل فلان فى جلالة قدره
ومكانه من امره وقد اعطاه صداقا لا يعطى الا بنت ملك ثم مع

هذا

هذا يتابى هل هذا الا عضل بين ولكن لكم مائة مثقال من الذهب
لكل واحد منكم وتشهدون انه قد زوجها منه فانه اذا علم
ابوها بانكم قد شهدتم عليه رجع الى هذا وليس فيه الا الخير
فاخذ الشهود كل واحد مائة وشهدوا ان ابوها زوجها على
صداق مبلغه كذا ورفعوا فى الصداق غاية ما ترفع اليه
صداقات الملوك فلم يعلم ابوها بذلك زادغارا وتابيا
فمشى الوزير وذلك القايد الى القاضى وقال انى زوجت فلانة
بنت فلان على هذا الصداق وهؤلاء شهود عليه ثم قد انكر
الشهود وقد اردت ان ادفع له حق ابنته واخذها فامر القاضى
باحضار الشهود فشهدوا عنده فى التزويج والصداق واحضر
مال النقد بين يدى القاضى والرجل على انكاره متماد يا
فامر القاضى بامضاء الحكم عليه وان يؤخذ ابنته منه احب
اوكره وامر بحمل المال اليه فلما حصلت الجارية لم يزل ابوها
يروم الوصول المعتضد وكان المعتضد غليظ الحجاب لا يصل
اليه احد غير الخاصة فقيل للرجل انه يحضر كل يوم ساعة
من النهار على بنيانا له بقصر له فان استطعت ان تكون من جملة
رجال الخدمة تصل اليه وتكلم بما اردت ففعل ذلك الرجل

وغير زيي ودخل في جملة رجال الخدمة للبناء فلما
كان في ذلك الوقت الذي كان عادة امير المؤمنين المعتضد
يقف على البناء خرج ذلك الرجل فرامى الى الارض وجعل
ينثر التراب على راسه ويستغيث به فسأله عن شانه فقص
عليه القصة فارسل المعتضد في المقام لذلك القايد و
الوزير فاغلظ عليه وهو يطمع ان يعتذر في ذلك اذ جعل له
من الصداق ما هو فوق قدرها وامر باحضار الشهود فصنع
وامثل بما صنع صاحبهم وذلك كله رهبة له او اجلالا الا انه لم يجحدوه
بكذب مع تخيلهم عنه سيتجافى عن هذه الزلة اذ قد اراد و
احيا نفس ذلك الوزير او القايد وايضا فقد دفع له بين يدي القاضي
نقدا لا يكون الا في صداقات بنات الملوك وقد جعل لها
من الكالي على نفسه اضعاف ذلك فكانه قد اجذه بحقها
او باكثر من حقها فلما تحقق عنده جلة خبرهم امر ان يصلب
كل شاهد منهم على باب دار وان يوضع ذلك الوزير في جلد ثور
طري السلخ ويضرب بالمزارب حتى يختلط لحمه وعظمه بدمه
ثم امر بهلما صنع له ذلك ان يصنع بين تمور كانت عنده فلما نضجت
تلك التمور ذلك الدم امر الرجل صاحب البنت ان ياخذ كلما ذكره

لها ذلك الوزير في صداقها من عقار ودار ومال انتهى فلما
مات المعتضد وولي ابنه وكان صبيا صغير السن عادت
الاتراك الى ما كانت عليه من ذلك ولم نطلع على امر
بديع منه الا هذا

ويقرب من شهامة هذا الملك ما ذكره في حيوة الحيوان

في ترجمة يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن صاحب بلاد
المغرب وكان بينه وبين الادفنش النصراني صاحب طليطله
مكاتبات قال بعث الادفنش الى الامير يعقوب يتوعده ويتهدده
ويطلب منه بعض حصون وكتب له رسالة من انشاء وزيره ابن الفخار

هذه صورته

باسمك اللهم فاطر السموات والارض وصلى الله على المسيح
روح الله وكلمته الفصيح اما بعد فلا يخفى على ذي ذهن ثاقب
ولا على ذي عقل لازب انك امير الملة الحنيفة كما انا امير الملة
النصرانية وقد علمت ما عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتكاسل
واهمالهم امر الرعية واخلادهم الى الراحة والامنية وانا
اسومهم بحكم القهر واخلاء الديار واسبي الذراري و
بالرجال واذيقهم عذاب الهون وشديد النكال ولا عذر لك

في التخلف عن نصرتهم وان امكنك القدرة وساعدك من عساكرك
وجنودك كل ذي راى وخبرة وانتم تزعمون ان الله قد فرض
عليكم قتال عشرة منا واحد منكم والان خفف الله عنكم وعلم
ان فيكم ضعفا رحمة منه ونحن الان نقاتل عشرة منكم بواحد منا
لا تستطيعون دفاعا ولا تملكون امتناعا وقد حاك انك اخذت
في الاحتفال واشرفت على ربوة القتال وتماطل نفسك سنة
بعد اخرى تقدم رجلا وتؤخر اخرى فلا ادري اكان الجبن
ابطا بك ام التكذيب بما وعد ربك ثم قيل لي انك لا تجد
الى الجواز سبيلا وها انا اقول لك ما فيه الراحة لك واعتذر
عنك ولك علي ان تفي بالعهود والمواثيق والاستكثار من الرهان
والاحملن بجملتي عليك واقاتلك في اعز الاماكن عليك فان كانت
النصرة لك كانت غنيمة جلبت اليك وان كانت يدي العليا
عليك والله الموفق للتفاق لا رب غيره ولا خير الا خيره قال
فمزق يعقوب الكتاب وكتب في الجواب على قطعة اليهم
فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون
الجواب ملتري لا ما تسمع واستشهد بهذا البيت

ولا كتب الا المشرفية عندنا
ولا رسل الا الخميس العرمرم

ثم امر

ثم امر بكتب الاستنفار واستدعى الجيوش من الامصار وضرب
السرادقات من يومه بظاهر البلد وصار الى البحر المعروف بزقاق
سبتة فعبر فيه الى الاندلس ودخل بلاد الفرنج فكسرهم كسرة شنيعة
وعاد بغنايمهم والله اعلم

ومن غرايب المنقول وعجايبه في دولة الناصر لدين الله

ما روي عن الامير بدر الدين ابي المحاسن يوسف المهمندار
المعروف بمهمندار العرب انه قال حكى لي الامير محمد شجاع الدين
الشيرازي متولي القاهرة في ايام الملك الكامل الناصر لدين الله
سنة ثلثين وستماية قال نبتنا عند رجل ببلاد الصعيد فاكرمنا
وكان الرجل شديد السمرة وهو شيخ كبير فحضر له اولاد بيض
الوجوه حسان الاشكال فقلنا له هؤلاء اولادك قال نعم ثم قال
كانكم انكرتم على بياضهم وسوادي فقلنا نعم فقال هؤلاء امهم
افرنجية اخذتها في دولة الملك الناصر صلاح الدين وانا شاب
فقلنا وكيف اخذتها قال حديثي بها عجيب غريب فقلنا اتحفنا
فقال زرعت كتانا في هذه البلده وقلعته ونفضته فاصرفت
عليه خمسماية دينار ثم لم يبلغ في الثمن اكثر من ذلك فحملته للقاهرة
فلم يحصل لي اكثر من ذلك فاشير علي بحمله الى الشام فحملته فلم

يزد على تلك القيمة شيئا فدخلت به الى عكة فبعت بعضه لاجل
والبعض تركته واكتريت حانوتا لابيع على مهل الى حيث تنقضي
المدة فبينما انا ابيع اذ مرت بي امراة فرنجية ونساء الفرنج يمشون
في الاسواق بلا نقاب فاتت تشتري مني كتانا فرايت من جمالها ما
ابهرني فبعتها وسامحتها الثمن ثم انصرفت واتت الي بعد ايام فسامحتها
اكثر من المرة الاولى فتكررت علي وعلمت اني احبها فقلت للعجوز
التي كانت معها انني قد تعلقت بحبها واريد منك الحيلة فقالت لها
ذلك فقال تروح ارواحنا الثلاثة انا وانت وهو فاعادت على
الجواب فقلت لها اما انا فقد سمحت بروحي في حبها واتفق الحال على
على ان ادفع لها خمسين دينارا فوزنتها وسلمتها للعجوز فقالت
نحن الليلة عندك فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من ماكول
ومشروب وشمع وحلوى فجاءت الفرنجية فاكلنا وشربنا حتى
الليل فلم يبق غير النوم فقلت في نفسي اما تستحي من الله وانت مغترب
تعصي الله مع نصرانية اللهم اني اشهدك اني قد عففت عنها
في هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم تمت الى
الصبح فقامت من السحر وهي غضبانة ومضت الى حانوتي
فجلست فيه فاذا هي قد عبرت علي هي والعجوز وهي مغضبة وكانها

القمر فهلكت وقلت في نفسي ومن هو انت هذه البارعة
في حسنها حتى تتركها ثم لحقت العجوز فقلت لها ارجعي فقالت
وحق المسيح ما ارجع لك الا بمائة دينار فقلت نعم بسم الله
فمضيت ووزنت مائة دينار فلما حضرت الجارية عندي
لحقتني الفكرة الاولى وعفوت عنها وتركتها حياء من الله تعالى
ثم مضت ومضيت الى موضعي ثم عبرت علي بعد ذلك وقالت
وحق المسيح ما بقيت تفرح بي الا بخمسمائة دينار او تموت كمدا
فارتعت لذلك وعزمت على ان اصرف ثمن الكتان جميعه فبينما
انا كذلك اذا المنادي ينادي معاشر المسلمين ان الهدنة التي
كانت بيننا وبينكم قد انقضت وقد امهلنا من هذا اليوم من
المسلمين الى جمعة اخرى فانقطعت عني واخذت في تحصيل ثمن
الكتان الذي لي والمصالحة على ما بقي منه واخذت معي بضاعة
حسنة وخرجت من عكة وفي قلبي من الفرنجية ما فيه فوصلت
الى دمشق وبعت البضاعة باوفى ثمن بسبب فراغ الهدنة ومن الله
علي بكسب وافر واخذت اتجر في الجواري لعل يذهب ما بقلبي
من الفرنجية فمضيت ثلاث سنين وجرى للملك الناصر ما
جرى من وقعة حطين واخذ جميع الملوك وفتح بلاد الساحل باذن الله

تعالى فطلب مني الملك الناصر جارية فاحضرت له جارية حسنة
فاشتريت مني بمائة دينار فوصلوا الى تسعين دينارا وبقيت عشرة
دنانير فلم يلقوها في الخزانة في ذلك اليوم لانه انفق جميع الاموال
فاحضرت الغنيمة فجاوا الملك وشاوروه على ذلك فقال امضوا
به الى الخيمة التي فيها السبي من نساء الفرنج فخيروه في واحدة
منهن يأخذها بالعشرة الدنانير التي بقيت له فاتيت الخيمة
فرايت المراة الفرنجية التي قد شغفت بحبها فعرفت عزيمتي
فقلت اعطوني هذه فاخذتها ومضيت الى خيمتي وخلوت بها
وقلت اتعرفيني قالت لا فقلت لها انا صاحبك التاجر الذي جرى
لي معك ما جرى واخذت مني الذهب وقلت ما بقيت تبصرني
عندك الا بخمسمائة دينار وقد اخذتك بعشرة دنانير فقالت
مد يدك فاذا قالت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله فاسلمت وحسن اسلامها فقلت والله لا وصلت
اليها الا بامر القاضي فتوجهت الى ابن شداد وحكيت له ما جرى
فتعجب وعقد لي عليها وبات تلك الليلة عندي فحملت مني ثم
دخل العسكر واتينا دمشق وبعد مدة يسيرة اتى رسول الملك
الناصر يطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردوا

ماكان اسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا التي عندي فسألوا
عنها واتضح الخبر انها عندي فطلبت مني فحضرت وقد تغير لوني
واحضرتها معي بين يدي السلطان الملك الناصر فقلت هذه
اسلمت وصارت امراتي فقال لها السلطان بحضرة الرسول
اترجعين الى بلادك او الى زوجك هذا فقد فككنا اسرك
واسر غيرك فقالت يا مولانا السلطان اني قد اسلمت وانا حامل
وهذا بطني كما ترون وما بقيت الفرنج تنتفع بي فقال لها
الرسول ايما احب اليك هذا المسلم او زوجك الفرنجي فاعادت
عبارتها الاولى فقال الرسول لمن معه من الفرنج اسمعوا
كلامها ثم قال لي خذ زوجتك فوليت بها ثم طلبني ثانيا وقال
ان امها ارسلت لها معي وديعة وقالت ابنتي اسيرة واشتهي
ان توصلها هذه الكسوة فتسلمت الكسوة ومضيت الى الدار
ففتحنا القماش فاذا هو القماش بعينه قد صبرته لها امها و
وجدت الصرتين الذهب الخمسين الدينار والمائة الدينار التي
قد اعطيتها في عكة قد ضمنتها في القماش كما هي بربطي لم يتغير وهؤلاء
الاولاد منها وهي التي صنعت لكم هذا الطعام وهذا جزاء من تعفف وتجنب من الحرام
الى هنا قد وقفت لجمع شرذمة من الحكايات المليحة والاخبار اللطيفة

من الخلفاء الراشدين وغيرهم من الملوك على نحو الايجاز
والاختصار ولو اريد بتأييد الله تعالى وحسن توفيقه ان اجمع
رسالة مفصلة في شرح احوال ملوك الكيانية
ومحاسن سيرتهم ولطائف قصصهم
مشتملة على اخبار كبرهم وشمائلهم
تعالى التوفيق وانه خير
رفيق

وقد فرغ من تحرير هذه النسخة
لنفسه العبد الاقل ... في يوم ... سنة
١٢٨٠
وهو خامس عشر من شهر رجب المرجب